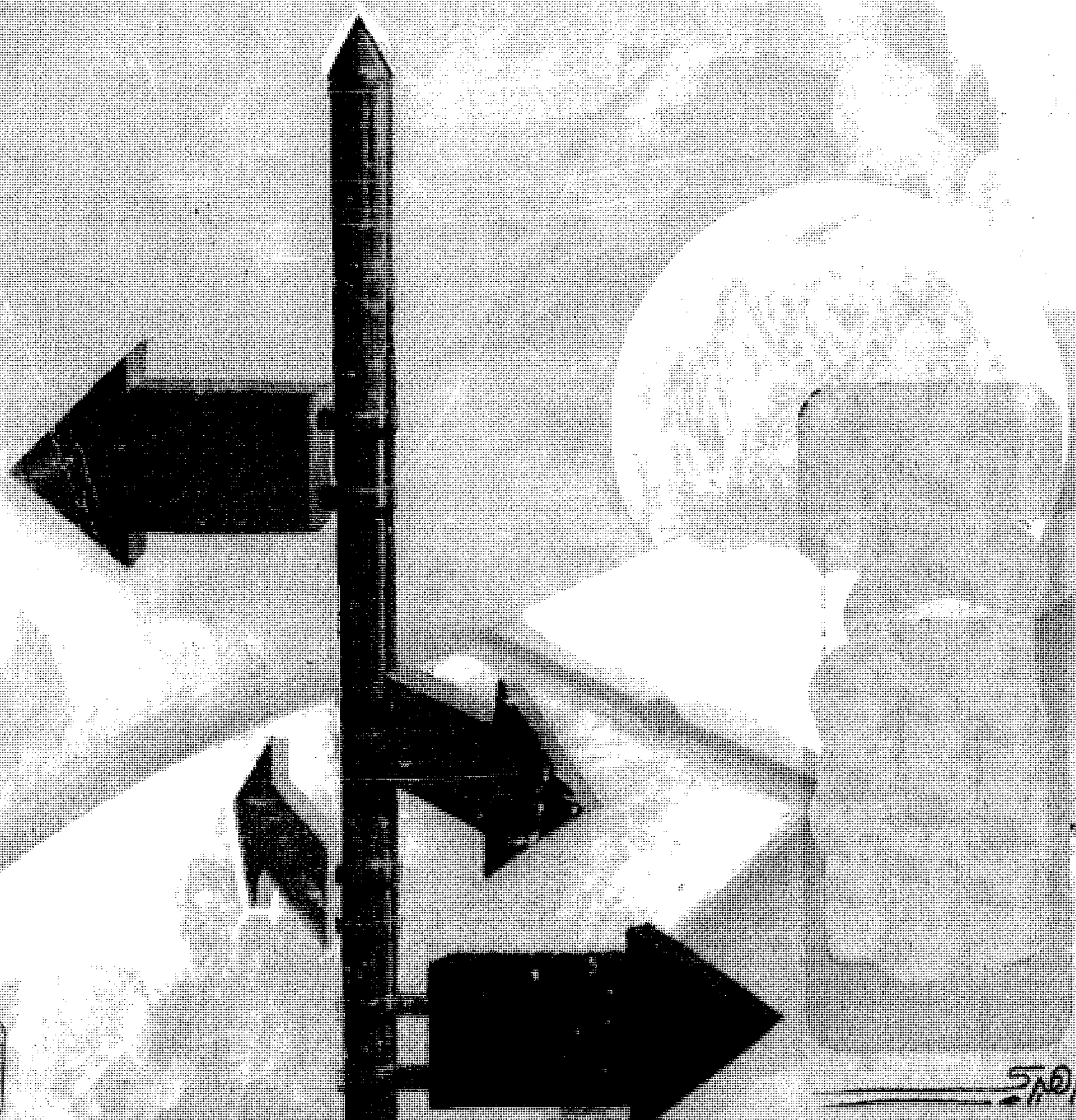
محمّد الحسن

المذاهب والأفكار المعاصرة

في

التصوّر الإسلامي



المذاهب والأفكار المعاصرة

في

التصور الإسلامي

محمد الحسن

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

1418 هـ - 1998 م

* الكتـــــاب : **المذاهب والأفكار المعاصرة**

* الـكـاتـب : محمّد الحَسَن

* الطبـعـــه : الطبعة الرابعة 1998 م .

* النـاشـــــر : **دار البشير للثقافة والعلوم. طنطا.**

* التــــوزيع : دار البشير - طنطا أمام كلية التربية النوعية

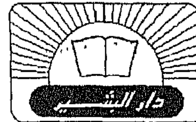
تليفاكس: 308909 - 302404 ت : 228277 - 210907

* التـحـهـيـر الفني : **الندى للتجهيزات الفنية .المحلة الكبرى**

ص.ب 265 **تليفاكس** 228277

* الإيداع القـانونى : 5844/1989

* التـرقيـم الدولى : 977.1540.15.7



دار البشير للثقافة والعلوم

طنطا أمام كلية التربية النوعية

تليفاكس: 308909 - 302404 ☎/ 228277 _ 210907

دار الثقافة . الدوحة . قطر

ص.ب ٣٢٣/

بين يدي البحث

الحمد لله ، ملك الناس ، إله الناس ، أكرم بني آدم ، وجعل أحبهم إليه أنفعهم للناس ، والصلاة والسلام على رسول الإنسانية محمد بن عبد الله ، أرسله الله رحمة للعالمين ، فبلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء ، وبعد :

تميز الإنسان بفكره عن الحيوان : لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وفضله بالعقل على سائر المخلوقين ؛ ليتعرف به إلى الله رب العالمين ، وليميز به الخبيث من الطيب فيسير على هدي النبوة الراشدة التي رسمت طريق السعادة للبشرية قاطبة ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ طه ١٢٣-١٢٤ . و أناط بالمسلمين مسؤولية الدعوة إلى الخير ليحيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ البقرة ١٤٣ .

سبيل الفلاح :

لقد رسم الله طريق النجاح والفوز بسعادة الدارين وحدده في المراحل التالية :

١ ـ الإيمان :

فإذا امتلأ قلب المرء بالإيمان انعكس أثره على الفرد والمجتمع بالخير والمحبة . والإنسان التعيس التافه هو الذي يحرم نعمة الإيمان فيخسر الدنيا

والآخرة ، والأمن والطمأنينة ، فتضيق نفسه ويظلم قلبه ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾ النور ٤٠ .

فإذا أراد الإنسان أن يتحقق بإنسانيته ويضمن سبيل سعادته فعليه أن يختار العقيدة التي ارتضاها الله له والتي تصلح لأن يقيم عليها نظام حياته ويستمد منها مثله وسلوكه في الحياة .

ولقد اختار المسلمون عقيدة الإسلام ، فآمنوا بالله ورسله ، وملائكته وكتبه ، وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره ، وتقووا على ذلك بالعلم الذي به تدحض الشبهات ، وتنكشف أسرار هذا الكون العظيم وتتجلى سمو عظمة خالقه المبدع وصدق الله إذ يقول ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ فاطر ٢٨ .

٢ ـ التطبيق :

إذ لا فائدة من فكرة لا ينعكس أثرها على سلوك المؤمنين بها . فما ذكر الإيمان في آية إلا مقترناً بالعمل ، وما مقت الله شيئاً أكثر من تناقض الأقوال والأفعال ، قال تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ الصف ٢ ـ ٣ ثم إن عدم انسجام أعمال المسلمين مع تعاليم الإسلام يعتبر حجة عليهم إذ يقول غير المسلمين لو أن هذا الدين صالح لأصلح أهله . ورحم الله الشيخ محمد عبده إذ يقول : (إنما حجب الإسلام بالمسلمين) أي بسلوك المسلمين المخالف للإسلام ولقد أعجب أحد المستشرقين بتعاليم الإسلام نتيجة دراسة واعية مجردة فأعلن إسلامه ولما زار بلاد المسلمين وشاهد بعد المسلمين عن إسلامهم قال : الحمد لله أنني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين .

٣ ـ التبليغ :

يقول رسول الله ﷺ « بلغوا عني ولو آية » ويقول « لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » وفي ذلك تشجيع لنشر تعاليم الإسلام التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والظلم وتدعو إلى البر والتقوى والعدل والسلم . لأن الأفكار تموت بموت أصحابها وتجمد بجمودهم وتزدهر وتنتشر بإخلاصهم ونشاطهم ولقد زهد المسلمون مع الأسف بهذا الخير وتخلوا عن هذه المسئولية الربانية فهجروا الدعوة إلى الله وتقاعسوا عن تبليغها . تركها الجاهلون للمتعلمين وتركها المتعلمون للفقهاء وتركها المتفقهون حفاظاً على لقمة العيش خوفاً من الابتلاء فأصبح الإسلام غريباً والعاملون له غرباء فطوبى للغرباء الصالحين حين يفسد الناس والداعين حين يحجم الناس .

٤ ـ الصبر :

كثيراً ما يعتري الملل بعض النفوس حين تستبطىء النصر ، ولو أدركوا أن الزمن جزء من العلاج وأن الأجر يترتب على العمل لا على النتائج ، لما تسرب اليأس إلى نفوسهم ما داموا قد أخلصوا العمل لله ، ففي الحديث « أخلص دينك يكفك العمل القليل » ومثل من يستعجل النصر قبل أوانه كمثل مريض وصف له الطبيب علاجاً على أن يتناول منه ملعقتين كل يوم فلو تعجل وشربه دفعة واحدة لتضرر من علاجه عوضاً عن أن يستفيد منه . ونظراً لصعوبة الصبر عند الابتلاء وثقله على النفوس الضعيفة فقد أجزل الله الأجر للصابرين فقال تعالى ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾الزمر ١٠ .

ذلك ما أشارت إليه سورة من قصار سور القرآن ، حيث أقسم الله

تعالى بالعصر ، إشارة لأهمية الوقت في حياة المسلم فقال : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا** -١ - **الذين آمنوا** - ٢ - **وعملوا الصالحات** - ٣ - **وتواصوا بالحق** - ٤ - **وتواصوا بالصبر** ﴾ .

العمل الجماعي :

ومادامت الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي مهمة كل مسلم ومسلمة وما دام التواصي بالحق سبيل نجاح الأمم كان لابد من تعاون دعاة الإصلاح مع بعضهم البعض ليستفيد المتأخرون من خبرة السابقين ولتجتمع كافة الطاقات الخيرة على توفير السعادة للمجتمع الإنساني الذي لم تزده الحضارة المادية اليوم إلا تعاسة وشقاء .

لذا كان العمل الجماعي لسيادة حكم الله تعالى العادل فريضة شرعية ، وضرورة إنسانية دعا إليها الشرع القويم والعقل السليم فقال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ .

العمل الجماعي فرض كفاية :

والعمل الجماعي للإسلام فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ آل عمران ١٠٤ .

واللام في ﴿ **ولتكن** ﴾ لام الأمر وهي تفيد وجوب تطوع جماعة من المسلمين يأخذون على عاتقهم إقامة شرع الله العادل والحفاظ عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن وجدت هذه الجماعة ولم تتمكن ـ لضعفها ـ من إقامة حكم الله العادل في الأرض وجب على كافة المسلمين نصرتها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . وكل تقصير في هذا السبيل ، إنما هو تفريط في حق هذه الإنسانية المعذبة عامة ، وبحق

المسلمين والمستضعفين منهم خاصة . لأن تقصيرهم في مساعدة الدعاة إلى الله مساعدة غير مباشرة لطواغيت الأرض على إقصاء شرع الله العادل عن الحياة .

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم - يعني كما لعن بني إسرائيل-» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . ورد في الأوسط مرفوعاً : « أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال إن فيها عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين قال : أقلبها عليه وعليهم - وفي رواية الإمام أحمد - به فابدأ . فإن وجهه لم يتمعر فيَّ ساعة قط » أي لم يحمر غضباً لله .

ويقول إمام الحرمين الجويني رحمه الله تعالى : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان بالإجماع وأن التقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جريمة لا يكفرها إلا النهوض بها واستخلاص قوة التنفيذ من الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف . وأن أي تخاذل عن هذا الغرض يؤدي إلى مصائب وكوارث تعم الصالحين والطالحين يقول تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ الأنفال ٢٥ .

إن عدم تعاون دعاة الإصلاح أدىٰ إلى نشوء تنظيمات سياسية وعقدية تباينت أهدافها وغاياتها ؛ مما أدى إلى اختلاف وجهات نظر العلماء في شرعيتها ، كما اختلفت وجهات نظر المصلحين في كونها ظاهرة صحية أم

ظاهرة مرضية لذا كان لابد من تسليط الأضواء عليها لمعرفة جوانب الخير والشر فيها ولمعرفة ما ينسجم مع الإسلام منها وما يتعارض معه . وباعتبارها موضوعاً اجتهادياً طرأ على الأمة الإسلامية في العصر الحديث دفعني إلى المساهمة في دراستها فكلما كثرت الدراسات فيها كلما توضحت حقيقتها وتجلت مواطن الخير والشر فيها إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله .



آراء في مشروعية الأحزاب

١ ـ آراء المعارضين :

يقول الدكتور سليمان الطماوي : لاشك أن النظام الإسلامي وعلى الأقل في صدر الإسلام لا يعرف ولا يستسيغ الأحزاب سواء تعددت أم لم تتعدد . فالفلسفة الإسلامية مقررة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وواجب الحاكم مقصور على وضع هذه السياسة موضع التنفيذ . فالخلاف بين المسلمين ـ على الأقل في تلك الفترة ـ لم يكن يتعدى الخلاف حول الوسائل ولكنه لم يمتد إلى الغايات أو الفلسفة العامة للحكم وفي هذا المجال تجد أن الأسلوب الذي اتبع في عهد عمر رضي الله عنه كان أسلوب النقد والنقد الذاتي بالوسائل المتاحة في ذلك العهد . (عن الأحزاب السياسية فاروق عبد السلام ص ٢٨) .

ويقول أبو الأعلى المودودي في كتابه نظرية الإسلام السياسية ما يلي : وفي مجلس الشورى الإسلامي لا يمكن أن ينقسم أعضاؤه جماعات وأحزاباً ، بل يبدي كل واحد منهم رأيه بالحق بصفته الفردية ، فإن الإسلام يأبى أن يتحزب أهل المشورة ويكونوا مع أحزابهم ، سواء كانت على حق أم على باطل بل الذي يقتضيه الروح الإسلامي أن يدوروا مع الحق حيثما كان لا يحيدون عنه قيد شعرة أبداً .

ويقول أبو الحسن الندوي إنه لا محل في الإسلام لأي نوع من أنواع الأثرة الفردية أو العائلية التي نراها في بعض الأمم الشرقية والأقطار الإسلامية . ولا محل للأثرة المنظمة التي نراها في أوربا وأمريكا وفي روسيا ، فهي في أوربا أثرة حزب من الأحزاب ، وفي أمريكا أثرة

الرأسماليين وفي روسيا أثرة قلة آمنت بالشيوعية المتطرفة وفرضت نفسها على الكثرة وهي تعامل العمال والمعتقلين بقسوة نادرة ووحشية ربما لا يوجد لها نظير في تاريخ السخرة الظالمة . (الأحزاب السياسية فاروق عبد السلام ص ٣٠) .

٢ ـ آراء المؤيدين :

يقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس : تفرق الأمة إلى فرق وأحزاب دليل على الحيوية والقوى المذخورة وعلى الاستعداد للتطور والتقدم ثم يقول : لا يكاد أحد اليوم يتصور وجود ديمقراطية بدون معارضة أو أحزاب متنافسة يناضل بعضها بعضاً ، ويدعو كل منها إلى مبادىء يريد أن يجعل منها دستوراً للحكم . (نقلاً عن كتاب الأحزاب السياسية لفاروق عبد السلام ص ٢٥) .

ويقول عباس محمود العقاد : فحق الاختلاف بالرأي هو الحرية وكل أمة جاز فيها للإنسان أن يخالف رأي غيره وجدت فيها الأحزاب .

ويقول الدكتور عبد الحميد متولي : إن الأحزاب تهدف إلى خلق آراء عامة فيكون وجودها سلاحاً ضد التعسف والاستبداد ، إذ التنظيم في يد الجماعة الضعيفة سلاح من أسلحة الكفاح ضد الأقوياء وعلى هذا تكون أحزاب المعارضة رقيبة على الحزب الحاكم تسدد أخطاءه وتتابع تقصيره وتحدد مسئوليته السياسية . (المصدر السابق) .

خلاصة ما تقدم من آراء :

١ ـ إن الذين يؤيدون فكرة الأحزاب يبنون وجهة نظرهم على أن الإسلام يقرُّ الشورى ويعطي حرية الرأي ولا يحبذ إكراه أحد على

الإيمان بفكرة معينة ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ وإن هذه الحرية التي يقررها الإسلام لا تكون إلا عن طريق إباحة الأحزاب .

٢ - إن الذين يعارضون الأحزاب يؤمنون بما يؤمن به المؤيدون من ضرورة سيادة الحرية العقيدية ، إلا أنهم لا يرون أن الحزبية شرط لممارسة هذه الحرية بل يرون أن الحزبية كثيراً ما تكون سبباً في التسلط وكبت الحريات إذا وصلت إلى الحكم كما نشاهد ذلك في الأحزاب السائدة اليوم .

٣ - يقر الجميع بأن الحزبية بدعة مستحدثة قلدنا بها الغرب وأن المسلمين كانوا يتمتعون بكامل حرياتهم بما في ذلك حرية نقد السلطة ، ولم يصب أحد منهم بأذى اللهم إلا في بعض الحالات النادرة . كل ذلك كان ولم يكن هناك وجود للأحزاب ، والحرية التي كانت في الماضي دون أحزاب يمكن أن تتحقق اليوم بدونها . كما يقررون أنه لا مانع من أن نأخذ من أنظمة غيرنا ما لا يتعارض مع عقائدنا من باب (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها) .

٤ - ويرى المؤيدون أن الحزبية ضرورية لتحرير الأوطان وبدونها يصعب حشد الطاقات وتنظيم الجهود وقيادة الأمة إلى ما فيه تحريرها . بينما يرى المعارضون : أن أول من ينبري لتحرير الأوطان المخلصون من رجالها الذين يأتلفون في جبهة وطنية تقود الأمة للخلاص والتحرير وهذا ما يحدث حتى في البلاد التي تنتشر فيها الأحزاب حيث تجتمع هذه الأحزاب في جبهة وطنية للتحرير .

٥ - يلاحظ أن الذين عارضوا الحزبية كانوا من الذين لمسوا فساد

الأحزاب وعايشوا تعصبها الحزبي الذميم ، وشاهدوا بأنفسهم ممارسات الحزبيين الخاطئة وتفريطهم بحق أمتهم وإسلامهم فأهابوا بالمسلمين أن يبتعدوا عن الأحزاب حرصاً على وحدتهم وضماناً لسيادتهم ، وأن الذين أيدوا الأحزاب هم من الذين عاصروا تسلط أنظمة الحكم العسكرية والفردية التي كمّمت الأفواه وعطلت الحريات ونكلت بالأحرار فنادوا بالأحزاب علّهم يحصلون بواسطتها على حريتهم المكبوتة .

٦ ـ والذي لا خلاف عليه أن الإسلام ينمي الروح الجماعية ويدعو إلى التعاون الجماعي ، فالقرآن الكريم يوجه نداءه بصيغة الجمع للعمل والتعاون ولم يوجهه بصيغة الأفراد لأن طبيعة العمل الجماعي تستدعي التعاون والتنظيم يقول تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ ويقول ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ .

وفي تسويغ العمل الجماعي يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الفتاوى :

أما لفظ زعيم فإنه مثل لفظ كفيل وقبيل وضمين قال تعالى : ﴿ **ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم** ﴾ فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال له زعيم فإن كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك وإن كان شراً كان مذموماً على ذلك . وإن كان رأس الحزب فهو رأس الطائفة التي تتحزب ـ أي تصير حزباً ـ فإن كانوا مجتمعين على أمر أمر به الله ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل فهذا من التفرقة الذي ذمه الله تعالى ورسوله ، فإن الله ورسوله

أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف أمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن الإثم والعدوان .

والذي أراه أن الالتزام الحزبي لا يعني بالضرورة موافقة الفرد قيادة الحزب على الخير والشر بل يتوجب على المسلم الحزبي أن ينطلق من منطلق الحق والعدل فيُؤيد حزبه إن أصاب وينصحه إن أخطأ بأسلوب المحب المهذب والرأي الذي يصدره الحزب يكون معبراً عن رأي الأكثرية التي يجب على القيادة الالتزام برأيها ، لا يعبر عن رأي أفراد الحزب كافة .



تعريف الحزبية

الاضطلاح اللغوي للحزب : من مدلولات الحزب في اللغة أنه دلالة على التفرق والانقسام والاختلاف والشدة والغلظة أحياناً . وعلى التكتل والتجمع . ورد في المعجم حزبه الويل والغم : أصابه واشتد . وحزب القوم : جعلهم أحزاباً . وحازبه . والحازب : الأمر الشديد . والحزب : القسمة والنصيب .

الاصطلاح الشرعي : لكلمة حزب في القرآن عدة دلالات منها :

١ ـ دلالة على الأقوام الضالة من أتباع الرسل . قال تعالى : ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب** ﴾ سورة غافر ـ ٥ ـ .

٢ ـ دلالة على الذين رفضوا الإسلام وتنكروا له . قال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه . قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مآب** ﴾ سورة الرعد ٣٦ .

٣ ـ دلالة على الأقوام الذين تكتلوا وتجمعوا على حرب رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ . قال تعالى : ﴿ **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً** ﴾ الأحزاب ٢٢ .

٤ ـ دلالة على اتباع الشيطان والأهواء عامة . قال تعالى : ﴿ إن

الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ فاطر ٦ .

٥ ـ دلالة فلاح ونجاح إذا نسبت إلى الله قال تعالى : ﴿ **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ المائدة ٥٦ .

اجتماع أحزاب الضلال على حرب الإسلام والمسلمين :

إن المتتبع لكلمة أحزاب في القرآن يلاحظ أنها وردت بصيغة الجمع مما يدل على التعدد ولكنها حين نسبت إلى الشيطان وردت بصيغة الإفراد ﴿ **إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ فاطر ٦ ، فطواها تحت كلمة حزب لاجتماعها على حرب أنصار الحق دفاعاً عن مصالحها ومطامعها . لأن الحق والباطل في صراع مستمر منذ الأزل وحتى تقوم الساعة . قال تعالى : ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** ﴾ الأنبياء ١٨ .

☆ ☆ ☆

الحزب الإسلامي

لابد قبل بيان مدلول الحزب الإسلامي على ضوء المفهوم العصري للحزب من ذكر تعاريف لإخصائيين في علم الاجتماع .

١ ـ تعريف الدكتور سليمان الطماوي : الحزب جماعة متحدة من الأفراد تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين .

٢ ـ تعريف الدكتور أدمون بيريك : الحزب مجموعة من الأفراد المتحدين لتحقيق الصالح القومي بمساعيهم المشتركة على أساس مبادىء

معينة اتفقوا جميعاً عليها .

تعريف الحزب الإسلامي :

الحزب الإسلامي مجموعة المسلمين الذين آمنوا بمبادىء الإسلام شريعة صالحة يقيمون عليها نظام حياتهم ويسعون بكل الوسائل المشروعة ليكون الإسلام دستور الدولة والمصدر الوحيد لتشريعاتها عن طريق وصول المؤمنين به إلى السلطة . فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وللحزب الإسلامي مدلولان :

١ - يدل على المسلمين عامة كقاعدة لهذا الحزب ، والقرآن الكريم هو دستور الحزب ، أما قادة الحزب فهم الحكام المسلمون والعلماء العاملون والمسلمون الغيورون ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ .

وإلى هذا المعنى يشير الشهيد سيد قطب في شرح مفهوم حزب الله فيقول : وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين حزب الله وحزب الشيطان وإلى رايتين اثنتين راية الحق وراية الباطل ، فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل وهما صنفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان ، فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين معه تحت هذه الراية أخوة في الله تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله فتذوب هذه الفوارق كلها تحت هذه الراية الواحدة ومن استحوذ عليه الشيطان فهو تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة .

٢ ـ وأما المدلول الثاني فهو كل تنظيم أو جماعة تعمل على إقامة حكم الله العادل في الأرض أو تجتمع لتحقيق برنامج إصلاحي في جانب من جوانب الحياة يهدف إلى تعزيز مكانة الإسلام وسيادة تعاليمه وهذا ما يثير مشكلة تعدد الجماعات والأحزاب الإسلامية نتيجة تعدد أهدافها .

تعدد الجماعات والأحزاب الإسلامية

المسلمون إزاء تعدد الأحزاب والجماعات على ثلاثة اجتهادات :

١ ـ منهم من لا يرى بأساً في التعدد وحجتهم في ذلك :

أنه ما دامت الدعوة إلى الإصلاح متعددة الجوانب لذا كان تعدد الأحزاب والجماعات الإسلامية أمراً منطقياً فمن المسلمين من يرى الاهتمام بالإصلاح السياسي ومنهم من يرى أولوية إصلاح الجانب الاقتصادي ومنهم من يرى أولوية الاهتمام بالجانب التشريعي أو الأخلاقي أو بها جميعاً لذا وإنطلاقاً من حق الحرية الذي كفله الإسلام لا يرون بأساً بتعدد الأحزاب ما دامت لا تتعارض مع تعاليم الإسلام ولا تمس حرية الآخرين . ومن حجتهم أن السلطة الحاكمة التي منحت نفسها حق تأسيس الحزب الحاكم لا يجوز لها أن تمنع المواطنين من حق منحته لنفسها فالمواطنون متساوون في الحقوق والواجبات كما وأن شعور الحزب الحاكم بأن أعماله وقراراته تخضع لرقابة أحزاب المعارضة ونقدها تجعله أكثر إتزاناً في اتخاذ قراراته خوفاً من أن تفضح المعارضة أخطاءه أمام الجماهير فتنفض عنه .

٢ ـ ومنهم من لا يرى مبرراً لتعدد الأحزاب والجماعات الإسلامية ما دامت متفقة على سيادة شرع الله العادل وما دام التشريع لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي الإسلام لنا ديناً وما دامت وظيفة

الحاكم السهر على تنفيذ الشريعة ومبادئها .

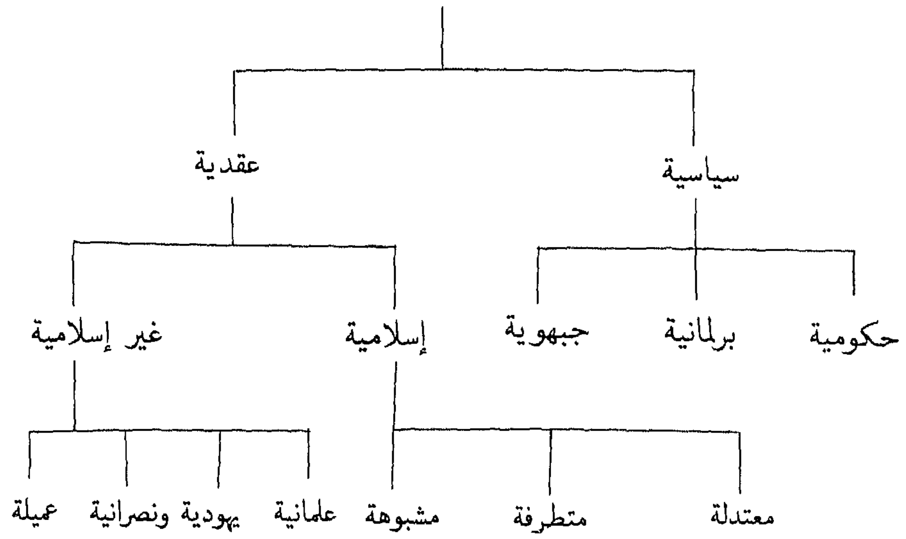
إذا بقي الخلاف في الفرعيات وعلى الوسائل وعلى الأولويات في الإصلاح وهذا ليس مبرراً للتحزب كما وأن تعدد الأحزاب والجماعات كثيراً ما يودي إلى التعصب الحزبي وإلى المحاباة والظلم والتفرق والتخاصم كما نشاهد اليوم فهذا رجعي عفن وذاك يساري نتن ، وهذا يمين اليمين وذاك يسار اليسار وكل حزب بما لديهم فرحون .

ولتجنب الاختلاف بين الأحزاب والجماعات الإسلامية أرى أن يجتمع ممثلوها في لجنة دائمة تكون نواة مجلس الشورى في الدولة المسلمة . تخطط لإنتشار الإسلام ولتحرير المسلمين وللدفاع عنهم في كافة أنحاء الأرض ، وعليها أن تصنع استراتيجية واحدة يلتزمها الجميع ، بذلك تسود روح التعاون والانسجام بين أفراد هذه الجماعات .

٣ - والقسم الثالث يرى أن تمنح الحرية السياسية للمواطنين كافة على مختلف نزعاتهم إسلامية كانت أم غير إسلامية لأن البقاء للأصلح وأن الفكرة القوية هي التي تثبت صلاحها وتشق طريقها إلى قلوب الأناسي وأنه لا إكراه في الدين .

هذا الرأي لا يخلو من مخاطر إذ قد يغرر بالكثيرين من المسلمين السذج فيقعون في أحابيل أعداء الإسلام . كما وأن الدعوة إلى الأفكار التي تخالف دستور الدولة محظورة في كل دساتير العالم .

☆ ☆ ☆


الجماعات والأحزاب
سياسية
عقدية
حكومية
برلمانية
جبهوية
إسلامية
غير إسلامية
معتدلة
متطرفة
مشبوهة
علمانية
يهودية
ونصرانية
عميلة

الجماعات والأحزاب المعاصرة

يمكننا تصنيف الجماعات والتنظيمات المعاصرة إلى قسمين : سياسية وعقدية ونصنف العقدية إلى صنفين إسلامية وغير إسلامية ونصنف غير الإسلامية إلى مسيحية أو يهودية وعلمانية وكافرة ملحدة ، أما الأحزاب الإسلامية فمنها المعتدلة ومنها المتطرفة ومنها المشبوهة ومنها العميلة المدسوسة . أما الأحزاب السياسية فمنها الحكومية ومنها البرلمانية ومنها جبهات مؤتلفة . ولنبدأ الحديث عنها فيما يلي :

الأحزاب السياسية

تنظيمات تهتم بالسياسة الداخلية والخارجية للدولة فتضع لها البرامج والمخططات وتدعو الناس لتأييدها في تحقيق برامجها الإصلاحية وتنشأ هذه الأحزاب بإحدى الطرق التالية :

١ - **بواسطة الأفراد :** حيث تبرز شخصية ذكية مخلصة يلتف حولها الناس نظراً لما تتمتع به من حنكة واتزان وجرأة وإقدام فتدعو أهل الرأي والفكر لمقاومة مستعمر غشوم أو حاكم متسلط أو حكومة فاسدة .

وقد يشكل الحزبَ حاكمٌ متفرد بالسلطة ليكون دعامته في استمرار حكمه فيلتف حوله الانتهازيون وكبار الموظفين ويشكلون حزب الحكومة .

٢ - **بطريقة التكتلات :** حيث تلتقي عدة تنظيمات في جبهة واحدة لتحقيق هدف سياسي مشترك . هذه الأحزاب لا تجمعها عقيدة واحدة . إذ كثيراً ما تجد فيها المتناقضات تجد الجاحد والمؤمن والرأسمالي والاشتراكي والمتفلت والأخلاقي ذلك لأنها تجتمع على أهداف مرحلية ، حتى إذا ما

تحققت هذه الأهداف أو توفي الزعيم الذي يجتمعون عليه انفرط عقدهم وتشتت شملهم ، وقد يتآلف قادة هذا التكتل أو يجتمعون على فكر معين فيستأنفون مسيرتهم بعد تحقيق هدفهم المرحلي وبذلك يصبحون حزباً عقدياً . أما تقييم هذه الأحزاب والجبهات السياسية من منظور إسلامي فيكون بمدى التزام قادتها وأفرادها بأخلاق الإسلام وبموقفهم من الاحتكام إليه كمصدر أساسي ووحيد للتشريع . ولا يفيدهم أمام الله تعالى ما حققوا من إصلاحات إن هم تنكروا للإسلام أو وقفوا منه موقف المتفرج فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

رأي حول إقامة الأحزاب السياسية في الدولة المسلمة

قد يطرح السؤال التالي نفسه : ما هو رأي الإسلام في إقامة أحزاب غير إسلامية يقوم بها مسلمون أو غير مسلمين تهدف إلى تحقيق برنامج إصلاح سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو نفع شخصي :

أقول مستعيناً بالله إن حق المواطن في حرية الرأي والاجتماع والاعتقاد حق مشروع ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾وضماناً لسلامة الدولة المسلمة من عبث المغرضين المندسين بين صفوف الأحزاب كان من حق الدولة أن تضع قيوداً احترازية على أي حزب - لا يقوم على أساس إسلامي - تقدم بترخيص رسمي للدولة ، منها :

١ - أن لا ينص الحزب في دستوره على أية مادة تعارض الإسلام لما في ذلك من مخالفة لدستور الدولة المسلمة فإن الدعوة إلى الفساد محظورة يقول الله تعالى ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ (آل عمران ٨٥) وأن لا يقوم بأي نشاط لترويج أي مبدأ يخالف الإسلام .

٢ ـ أن لا يكون ولاء الحزب لدولة أجنبية فمن المسلمات في الحقوق الدستورية أن لا تسمح الدولة بأي نشاط لصالح دولة أجنبية لما في ذلك من مساس بحريتها وتدخل في شؤونها وتعريض أمنها للخطر .

﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ النساء ١١٥ .

٣ ـ أن تخضع موارد الحزب المالية لرقابة الدولة المسلمة وأن يكون مصدرها من جيوب الأعضاء المنتسبين لها وأن ترفض أية مساعدة أجنبية لما في ذلك من شبهات تمس أمن البلد .

٤ ـ أن لا يمارس الحزب أي تدريبات عسكرية وأن لا يحصل على أسلحة غير مرخصة لأن ذلك من مهام الدولة .

يحق للدولة أن توقف نشاط أي عنصر تشتبه فيه حرصاً على أمن الدولة وعلى سلامة الحزبيين من أن يغرر بهم المندسون بين صفوفهم من العملاء الأخفياء .

الأحزاب العقدية

وهي تنظيمات التقت حول عقيدة واحدة ذات فلسفة محددة تقيم عليها نظريتها للكون والإنسان والحياة وتستمد منها تشريعاتها وقوانينها وهي صنفان إسلامية وغير إسلامية أما غير الإسلامية فهي كذلك صنفان لا دينية علمانية وكافرة ملحدة .

١ ـ **الأحزاب الكافرة :** هي أحزاب تنكر وجود الله والأديان وأثر القيم الروحية في الحياة وتؤمن بالمادة أساساً وحيداً في الحياة كالشيوعية مثلاً ، وهذه الأحزاب لا حاجة لتقييمها إذ ليس بعد الكفر ذنب .

٢ - الأحزاب العلمانية : وهي التي ضلت طريق الإسلام وجهلت ما فيه من خير وسعادة لبني الإنسان ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ (الإسراء ٩٠) فتجاهلته والتمست الإصلاح في غيره من المبادىء المستوردة وهي تحسب أنها تحسن صنعاً . ومن الغريب أن بعض أفراد هذه التنظيمات يلتزم بواجباته التعبدية وينادي بالاقتصاد الماركسي جاهلاً أن في الإسلام نظاماً اقتصادياً إسلامياً متكاملاً يفوق سائر الأنظمة الاقتصادية صلاحاً للحياة ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ البقرة ، ولابد قبل التسرع بالحكم على هؤلاء من أن نوضح لهم حقائق الإسلام وتعاليمه الصالحة لكل زمان ومكان ونبين لهم خطورة موقفهم وأثره على صحة إيمانهم إن هم أصروا على موقفهم من البعد عن الإسلام .

حقائق إلى الذين تحزبوا لغير الإسلام

الحقيقة الأولى : إن الإيمان والإسلام متلازمان إذ لا فائدة من إيمان لا يتبعه عمل ولا فائدة من عمل لا يصدر عن إيمان وقناعة . كما لا يكمل إيمان إنسان يشك في صحة ركن من أركان الإيمان كالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الأخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ، كما لا يكمل إسلام مسلم تردد في التزام ركن من أركان الإسلام من صوم وصلاة وحج وزكاة وشهادة لله بالربوبية ولمحمد بن عبد الله بالنبوة والرسالة . فالإيمان بالله تعالى يقتضي اتباع منهجه والإيمان بالرسل وخاتمهم محمد بن عبد الله يقتضي اتباعه والأخذ عنه لقوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ الحشر ٧ ، والإيمان بالكتب وأكملها القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم وأصح لما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، لأن القرآن الكريم هو كتاب الله العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فالله تعالى

الذي خلق النفوس البشرية وهو أدرى بالنظام الذي يلائمها ويعالج خفاياها ويضبط تصرفاتها ليسود الحق والعدل والسعادة بين بني البشر ، إذ ليس من المنطقي أن تأخذ برأي أناس يخطئون ويصيبون ونُعرض عن حكم الإله المنزه عن النقص والخطأ ، فيكون مثلنا في ذلك : مثل من يعرض عن رأي المهندس المصمم لعمل ما ونأخذ برأي العاملين فيه لإصلاح خلل طارىء .

ولا يقتضي جهلنا ببعض أحكام الإسلام وحكمة تشريعاته أن نلحق النقص في الإسلام . فالتقصير يعود إلينا نحن الذين جهلنا الإسلام فلم نقرأ عنه ولم نفقه أحكامه في الوقت الذي قرأنا الكثير عن غيره في الكتب التي تثير الشبهات حوله وتزين المبادىء العملية وتروج لها . أليس من الإنصاف أن نقرأ عن الإسلام بمقدار ما قرأنا عن غيره ثم نحكم عقلنا بعد ذلك وبتجرد لاختيار النظام الأفضل والأنسب لصلاح ديننا . عندها سنجد أنفسنا وقد اخترنا الإسلام . أما أن نبقى على جهلنا ونتسرع في الحكم عليه فذلك ظلم لأنفسنا لا يقول به عاقل وصدق القائل : الإنسان عدو ما يجهل .

الحقيقة الثانية : إن القرآن وجد ليحكم لا ليقرأ للتبرك فقط وأنه لا خيار لنا في عدم الاحتكام إليه وذلك بدليل قوله تعالى ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ النساء ٦٥ ، فالإيمان إذاً يقتضي الاحتكام إلى شرع الله وقبول أحكامه بكل ارتياح والتسليم لحكمه بطيب نفس ودون حرج وإن خالف أهواءنا وبدليل قوله تعالى ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ وحكم الله مفصل في كتابه وموضح في سنة رسوله الذي لا ينطق عن الهوى . فالله تعالى هو المشرع وليس الحاكم وليس لأحد أن يشرع مقابل الله لأن

في شرع الله العدل والمساواة وسعادة البشرية قاطبة قال تعالى : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾. المائدة (١٥ - ١٦)

الحقيقة الثالثة : تؤلف أحكام الإسلام وحدة متكاملة مترابطة يرتكز بعضها على بعض لذا فلا يجوز أن نأخذ بعضها ونترك البعض الآخر كما لا يجوز أن نستعيض عن بعض أحكام الإسلام بأحكام مستوردة من الشرق والغرب لاختلاف طبيعة وفلسفة النظامين فالإسلام يعالج كافة نواحي الحياة على أساس التوحيد الخالص والتكافل والتعاون والعبودية لله تعالى خلافاً للأسس .. التي يقيم الشرق والغرب انظمته عليها .

فالعبادات تهذب الأخلاق وتصقل السلوك ، والاقتصاد الإسلامي يتدخل في حياة المسلم فينظم كسبه الشريف وتعامله مع المجتمع وكفالته لأسرته وتكافله مع مجتمعه بالزكاة والصدقة والإرث وغيرها فكل حلقة مرتبطة بأختها فإذا ما عولجت ناحية على أساس غير إسلامي أفسدت علاج النواحي المرتبطة بها لذا فما على المسلمين إلا أن يأخذوا الإسلام جملة بتعاليمه وتشريعاته لقوله تعالى ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ البقرة ٨٥ ، ويقول تعالى ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ الحشر ٧ ، وكلمة خذوه فعل أمر وهي تفيد وجوب الأخذ بتعاليم الشريعة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ كما تفيد أن نأخذه كله لا بعضه لأنه لم يقل فخذوا بعضه أو فخذوا منه بل قال فخذوه يعني جميعه . وهذا أمر منطقي لأنه لا يمكن لأي حزب قبول أحد في

عضويته إلا إذا كان قد آمن بمبادىء الحزب كاملة وإلا لأصبح الحزب أحزاباً والجماعة جماعات . وإليكم بعض نقاط الخلاف بين الماركسية والإسلام وما يترتب على الخلط بينهما من خلل

مفارقات بين الإسلام والماركسية

١ - تقوم الفلسفة الماركسية على النظرية المادية التي تنص على أن (لا إله والحياة مادة) لذا فهم يرفضون القيم الروحية والأخلاقية كافة وما يترتب عليها من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالجنة والنار لأنها بنظرهم غيبية وهم لا يؤمنون إلا بما هو مادي بحت فحقيقة العالم كله - كما يرى إنكلز - تنحصر في ماديته .

وأساس عقيدة الإسلام : / لا إله إلا الله / أي لا معبود بحق يعبد بما شرع إلا الله . فالله هو المشرع في نظر الإسلام وليس الحزب أو الشعب . والإيمان بالمغيبات في نظر المسلمين هي أصل من أصول الدين لأنها في نظرهم علمية ومبنية على محاكات العقل السليم المنطقية عرفوها بآثارها كما عرفوا تركيب الذرة وشحنات الكهرباء . كما وأنها ثابتة بنصوص الكتاب والسنة المتواترة .

٢ - انطلاقاً من تبعية الأخلاق للقيم المادية فقد حررت الشيوعية المرأة تحرراً كاملاً بحيث لم يبق أي اعتبار للتفريق بين ما هو شرعي في لقائها مع الرجل وبين ما هو غير شرعي ، واللقاء الجنسي بنظر الشيوعيين كمصدر تنفيس للرجل والمرأة على السواء ولا يعاقب عليه القانون ما دام برضاء الطرفين ودون أجر ويعاقب المرأة إذا تقاضت عليه أجراً .

والإنسان في نظرهم مخلوق حيواني كل همه إشباع المطالب الأساسية

التي حددها ماركس بالغذاء والمسكن والإشباع الجنسي . يقول ماركس في البيان الشيوعي ص ٦١ ـ ٦٣ : أيها الشيوعيون تريدون إشاعة المرأة . ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع إلا إشاعة النساء المتزوجات فقصارى ما يمكن أن يهتم به الشيوعيون هو أنهم يريدون الاستعاضة عن إشاعة النساء المستورة بالرياء والمغطاة بالمداجنة بإشاعة صريحة رسمية .

أما الإسلام فقد صان المرأة من عبث العابثين واعتبر أي لقاء غير شرعي بينهما استهانة بكرامة المرأة ومحاولة لإفساد المجتمع لذا فكل لقاء غير شرعي بين الجنسين يعتبر جريمة يحاسب عليها القانون ولو كان برضاء الطرفين . حفاظاً على الأنساب من الضياع ومنعاً من إشاعة الفاحشة بين المؤمنين وحفاظاً على سلامة المرأة المسلمة من مزالق الفساد . لقد اعتمد الشرع مبدأ الوقاية خير من العلاج فحرم الاختلاط والتبرج وخلوة الرجل بامرأة أجنبية فقال ﷺ لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها محرم . وقال أيضاً « ما اجتمع رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » كما شجع الزواج المبكر وحذر من المغالاة في المهور ومنح المرأة حق أختيار شريك حياتها لئلا تجبر على العيش مع من تكره . بذلك نظم غريزة الجنس لئلا تطغى فتورد صاحبها موارد الهلاك وحافظ على كرامة المرأة المسلمة ونظافة الأسرة المسلمة .

٣ ـ يعتبر الإسلام الملكية الفردية مصونة إن نجمت عن كسب مشروع بعيد عن الغش والاحتكار والاستغلال ومادام صاحبه يؤدي حق الله فيه . ومادام يتصرف فيه وفق ما أمر الله تعالى .

ـ وتمنع الماركسية الملكية الفردية وتحصرها في يد الدولة وهو أمر يخالف الفطرة البشرية ويضعف من روح المنافسة الحرة ومن طموح العناصر النشيطة وبالتالي يؤدي إلى سوء وضعف الإنتاج . وما أن لمس الشيوعيون هذه الحقيقة حتى تراجعوا قليلاً فسمحوا بتملك كميات محدودة

من المتاع والدواجن ومساحات صغيرة من الأرض .

٤ ـ يعتبر الإسلام الزكاة فريضة تعبدية تجمعها الدولة المسلمة وتوزعها وفق المصارف الشرعية المخصصة لها . حفاظاً على نفسية الفقراء أن تتأثر بعطاء أصحاب الفضل عليها أما عطاء الدولة فلا فضل لها فيه لأنها تقوم بواجبها تجاه رعاياها المعوزين والزكاة حق الفقير في مال الغني الذي استخلفه الله عليه لأن المالك الحقيقي هو الله ، وتعطلها الماركسية لأنها من الدين وهي لا تعترف بدين ولأنها ألغت التملك فلم يعد عند أحد فضل مال يبلغ النصاب ثم يحول عليه الحول كي يخرج زكاته .

٥ ـ الأسرة في نظر الإسلام هي اللبنة الأولى في تكوين شخصية الطفل المسلم وحسن تربيته على الكرامة والتضحية والإخلاص لله ولوطنه ولأمته . لذا فقد أحاطها الإسلام بسياج الحماية والرعاية وألزم الإسلام الرجل بالإنفاق على المرأة لكي تتفرغ لهذه المهمة السامية الشاقة : مهمة التربية وإدارة الأسرة حين غياب زوجها ، وسمح للراغبات في العمل والمضطرات إليه باختيار العمل الشريف الذي يتناسب مع طبيعتهن الأنثوية حين يحتاج المجتمع لجهودهن ـ شريطة ابتعادهن عن المحرمات كالتبرج والخلوة بالأجانب من الرجال ولقد حطمت الشيوعية الأسرة حين أجبرت النساء على العمل مع الرجال سواء بسواء فمن لا يعمل لا يأكل . ولم تعطها حرية اختيار العمل الذي يناسبها بل فرضت عليها العمل في المناجم وفي تنظيف الشوارع والخدمة في الحانات وكثيراً ما كان عملاً بعيداً عن مقر عمل زوجها إمعاناً منهم في تمزيق الأسرة لأن الولاء الوحيد في نظر ستالين إنما هو للحزب والدولة فحسب ، والأسرة تنازعهم هذا الولاء ، كما وأنها بنظرهم مظهر من مظاهر المجتمع البرجوازي .

٦ ـ الإنسان في نظر الماركسية لا إرادة له إزاء قوة المادة ، والمجتمع في نظر ماركس هو الأصل ، والفرد لا كيان له إلا باعتباره فرداً في القطيع أو ترساً في آلة . لذا فالدولة هي التي تختار له نوع العمل وتحدد له مكانه باسم المجتمع الذي تمثله وتحرمه حق الاعتراض والاختيار وهذا ما يتضح من تسمية نظامها بدكتاتورية البروليتاريا (الطبقة العاملة) .

والإنسان في نظر الإسلام كائن إيجابي له حرمته وكرامته وحرية اختيار العمل الذي يريد والمكان الذي يرغب العيش فيه شريطة أن يحافظ على حرية وكرامة الآخرين وأن يلتزم بضوابط الشريعة من حلال وحرام .



التربية الحزبية البناءة

مهما قيل في جواز الحزبية أو عدمه فإن الحزبية موجودة فعلاً كما وأنها ذات أثر فعال في حياة الأمم والشعوب نظراً لاحتكاك عناصر الأحزاب بعناصر أفراد مجتمعهم وفي عناصر الأحزاب الأخرى . ولكي تتجنب الأمة مخاطر التطرف والتعصب الحزبي والتسلط على الضعفاء وغمطهم حقوقهم كان لابد للأحزاب من التزام تربية أخلاقية فاضلة في تربية عناصر أحزابهم ، وتلكم أهم أسس هذه التربية .

١ - **احترام الرأي المخالف :** لأن المخالفين لأفكارنا هم أصحاب فكر مثلنا ، اهتموا بمصلحة أمتهم وفق ما هداهم إليه تفكيرهم . لذا فهم أفضل ممن انشغلوا عن أمتهم بمصالحهم الشخصية وعاشوا بلا مبدأ ولا عقيدة . وأصحاب الرأي المخالف أناس اجتهدوا فأخطأوا وخطؤهم لا يبرر لنا تسفيه رأيهم والحقد عليهم بل يجدر بنا أن ننظر إليهم نظرة المشفق النصوح الذي يتوجب عليه أن يبين لهم خطأ اجتهادهم بالحكمة والموعظة الحسنة . وصدق الله إذ يقول ﴿ **ولوكنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ (آل عمران ١٥٩) فإن النصيحة واجبة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وليعلم الغيورون أن التنافر والتعصب الحزبي لا يخدم مصلحة الوطن التي يجب على كافة الحزبيين وغير الحزبيين التعاون للحفاظ عليها .

كما وأن اختلاف وجهات النظر في الوسائل والمناهج والفرعيات أمر عادي ولا يمكن الاستغناء عنه إذ لا يمكن صب أفكار الناس في قالب واحد نظراً لتفاوت قدرات الناس فلو أن كل خلاف في وجهة نظر أدى إلى الانشقاق والانقسام والتهاتر لانقسم كل حزب وأسرة وجماعة إذ كثيراً ما يختلف أعضاء التنظيم الواحد في وجهات النظر فلو أن أناساً أبدوا

وجهـة نظرهم ثم التقـوا على رأي الأكثريـة لمـا ترتب على اختـلافهم أي أثر سلبي ولساد التعاون والحب بين الناس كافة .

٢ - **الإنصـــاف والتجرد** : من المستحسن أن تقيّم مـواقف الأحـزاب الأخرى بإنصاف وتجرد فنبيِّن مـا لهـا ومـا عليهـا ومـا يحقق المصلحـة العـامـة ومـا يسيء إليهـا ومـا يتفق مـع عقيـدة الأمـة ومـا يخـالفهـا امتثـالاً لأمر الله تعالى ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ﴾ .

والنقـد الموضوعي إذا كان بعيـداً عن التجريـح والإسـاءة إلىٰ صـاحبـه لا تترتب عليـه آثـار سيئـة ولا يثير الأحقـاد والسخـائم بين النـاس بـل يـدع بـاب التفـاهم مفتوحـاً أمـام المختلفين . والفجور في الخصومـة ليس من صفـات المؤمنين يقول عليـه الصـلاة والسـلام « آيـة المنـافـق ثـلاث إذا حـدث كـذب وإذا خاصم فجر وإذا ائتمن خان » .

٣ - **العـدل والإحسـان** : وذلـك بـأن يعـدل الإنسـان مـع خصـومـه ويسـاعـد المستحقين منهم وأن يبتعـد عن الانتقـام منهم والتشفي بهم . فـإذا صار خصم تحت تأثيره يجـدر بـه أن يعـامله بـالعـدل وأن يعطيـه حقـه وأن لا يقف في طريـق خير يسعى إليـه فـإن أمثـال هـذه المـواقف الشريفـة العادلة كثيراً مـا تكون سببـاً في تقـارب المتخـاصمين وزوال مـا بصـدورهم من حقـد أو حسـد وصـدق الله إذ يقـول : ﴿ **ولا يجرمنكم شنـآن قـوم** ﴾ بغض قـوم ﴿ **على أن لا تعـدلـوا . اعـدلـوا هـو أقرب للتقـوىٰ واتقـوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ المائدة ٨ .

٤ - **الاستقـامـة وحسن الخلق** : مـا دام الحزبي قـد تصـدى للإصلاح فهـو محط أنظـار النـاس فـإذا أسـاء : كانت إسـاءتـه كبيرة وإسـاءة غيره صغيرة إذ يقـول النـاس : لـو أن هـذه الفكرة صـالحـة لأصلحت أهلهـا لـذا يجـدر بكل متصـدر لـلإصـلاح أن يكـون قـدوة في استقـامتـه وحسن قيـامـه بـواجبـه

وبصدقه وحسن معاملته للناس لكي يتمكن من كسب ثقتهم وحسن توجيههم لأن الناس لم يعودوا يؤمنون بالأفكار المجردة إلا إذا شاهدوها متمثلة في حياة المؤمنين بها والداعين إليها وصدق الله إذ يقول ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ الصف ٢ ـ ٣ .

ومن المؤسف أن يكون الحزبي اليوم أول من يكسب وآخر من يضحي وحبذا لو استطاع تغيير هذه الصورة ، عندها يكون جديراً بثقة الآخرين .

٥ - **الابتعاد عن النقد والتجريح** : سواء لأعضاء تنظيمه أو لأعضاء التنظيمات الأخرى لأن الدخول في المهاترات لا طائل وراءه قال تعالى : ﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم** ﴾ الأنعام ١٠٨ . وليعلم المرء أن الاستمرار في النقد والتجريح يجعل ذلك الخلق الذميم طبيعة متأصلة لدى صاحبه فيصبح ممقوتاً مذموماً بين الناس ويصير عنصراً معوقاً ومهدماً بدل أن كان مصلحاً وبناءاً .

٦ - **الابتعاد عن العصبية الحزبية** : وذلك بأن لا نناصر أبناء تنظيمنا على الحق والباطل بل يتوجب علينا أن نشجع المحسن ونساعده ونلوم المسيء ونقاومه كما يجدر بالحزب الحاكم أن ينصف الناس من غير حزبه وأن يمنح المواطنين جميعاً فرصاً متكافئة ولئن قدم أبناء حزبه على من يكافئهم في عمل ما فلا يجوز له أن يقدم الحزبي على من هو أكفأ منه لما في ذلك من ظلم وتفريط بالأمانة وإثارة للأحقاد وتبديدٍ للطاقات لأن المفروض بالحاكم أن يكون لجميع المواطنين ـ يمنحهم الأمن والعدل والفرص المتكافئة فإذا ظلم عاش الناس في ضيق عظيم وكانت مسؤوليته أمام الله كبيرة والظلم ظلمات يوم القيامة ففي الحديث عن أنس رضي

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف أنصره ظالماً قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره » رواه أحمد والبخاري والترمذي حديث صحيح .

٧ ـ أن يربي الحزبيون أنصارهم على الولاء للفكرة والمبادىء لا للأشخاص والزعامات :

لأن تعلق الأفراد بالرئيس أو الزعيم كثيراً ما يؤدي إلى إصابته بالغرور وجنون العظمة بسبب المنافقين حوله كما يؤدي إلى التبعية الشخصية لا الفكرية فإذا انحرف الزعيم عن مبادىء التنظيم انحرف معه أنصاره بسبب تعلقهم الشخصي به لأن الثقة المفرطة في شخص ما تعطل تفكير الواثقين به فيأخذون بآرائه دون مناقشة أو إعمال فكر وعندها يصبح القائد أو الزعيم أشبه بزعيم عصابة يهدد ويتسلط برجاله الموالين له . أما إذا كان الولاء للمبادىء والأفكار فإن انشقاق أو انحراف بعض القياديين لا يؤثر على وحدة التنظيم إذ لا يجوز لإنسان مهما علا شأنه أن يكون سبباً في تفريق أي تنظيم فالإخلاص للأفكار والولاء للمبادىء لا يقيم وزناً للعلاقات الشخصية والصلات الودية إذا تعارضت مع الولاء للفكرة ، فالأشخاص زائلون والأفكار باقية والقائد إنسان يخطىء ويصيب لذا يجب على الأفراد أن يناقشوا ويفكروا بكل أمر ويحددوا مواقفهم عن قناعة لا عن تبعية عمياء . وليعلم الأفراد أن إخلاص القائد لمبادئه يقاس بمدى حرصه على وحدة أتباع هذا المبدأ ورحم الله خالد بن الوليد حين تلقى أمراً بعزله من قيادة الجيش الإسلامي فتقبله برحابة صدر وساعد القائد الجديد أبا عبيدة بن الجراح ولم يثر أية ضجة ولم يفكر بأي تمرد .

الانقسامات الحزبية

١ ـ أسبابها : لقد مرت في عصرنا الحديث موجة الانقسامات الحزبية حتى لا يكاد ينجو منها تنظيم واحد . لذا كان لابد من التعرض لهذه الظاهرة المرضية الخطيرة لمعرفة أسبابها ووصف العلاج المناسب لها ليستفيد المتأخرون من خبرة المتقدمين ولعل أهم أسباب هذه الانقسامات يرجع إلى ما يلي :

١ ـ قد يتفق أعضاء الحزب الواحد على الأفكار والمبادىء ولكنهم يختلفون في التخطيط والوسائل أو حول موقف سياسي فيقع الخلاف وينتهي بالانقسام .

٢ ـ وقد يقع الخلاف حول شخصية الرئيس أو حول شخصية قيادية كبيرة فيرى فيها البعض عائقاً في تقدم مسيرة التنظيم ويرى فيها آخرون القيادة الملهمة التي لا غنى عنها .

٣ ـ وقد يصل إلى قيادة التنظيم بعض الوصوليين من أصحاب المصالح فيقع الخلاف بينهم وبين المخلصين للتنظيم ويشتد الصراع وقد ينتهي بالانقسام .

٤ ـ وقد تتسلل بعض عناصر المخابرات أو بعض عناصر الأحزاب الأخرى المتخفية إلى قيادة التنظيم بعد أن تحسن الجهة المستفيدة انتقاءهم وإعدادهم ثم تزودهم بالمال الوفير ليثبتوا بتبرعاتهم السخية إخلاصهم وليكسبوا بها الأنصار لهم حتى إذا ما وصلوا إلى مركز قيادي عملوا على تفتيت التنظيم ونقل أخباره وإقصاء المخلصين من أعضائه دون أن يثيروا أية شبهة حول تصرفاتهم المدروسة الموجهة من الخارج .

٢ ـ **علاجها** : لعلاج هذا المرض الخطير لابد من اتخاذ إجراءات وقائية وأخرى علاجية :

أ ـ **الإجراءات الوقائية** : وهي إجراءات تتخذ قبل الوقوع في الخطأ الذي يؤدي إلى الانقسام وأهمها : ١ ـ الاهتمام بالكيف لا بالكم : وذلك بانتقاء النوعيات الجيدة لترشيحها للتنظيم لأن الاهتمام بتكثير العدد دون الاهتمام بالنوعيات الجيدة سيؤدي إلى التحاق عناصر سيئة بالتنظيم وقد تكون عميلة لجهات مشبوهة فتصبح بعد تمكنها عبئاً ثقيلاً يعيق مسيرة العمل .

إذ ليس كل إنسان يصلح للتنظيم فهناك الفوضوي والثرثار الذي لا يكتم سراً والانتهازي لذا كانت عملية الانتقاء ضرورية لأمن وسلامة التنظيم .

كما لا يشترط لنجاح التنظيم أن ينضم أفراد الشعب كافة إلى تنظيمه بل يكفيه أن يعمل لكسب النخبة من العناصر النشيطة الذكية المهذبة المخلصة ذوي المؤهلات القيادية فإن نسبة أكبر حزب حاكم في العالم لا تتجاوز نسبة أعضائه ١٠٪ من مجموع السكان كما في الإتحاد السوفيتي .

٢ ـ وضع المرشح للتنظيم تحت الدراسة عدة أشهر وذلك لمعرفة طباعه وسلوكه وأصدقائه ومن الذي رشحه وعلى ضوء هذه الدراسة تعطي القيادة رأيها بقبوله .

٣ ـ عدم ترقية العضو المنظم إلى درجة أعلى قبل مكوثه زمناً كافياً في المرتبة الأدنىٰ . وعدم السماح لأي كان مهما بلغ مركزه العلمي أو الاجتماعي من الوصول إلى القيادة قبل مضي عدة سنوات على انتسابه للتنظيم يمر خلالها متدرجاً بالمراكز القيادية الأدنى فالأعلى وهكذا ، ذلك

لأن الـزمن عـامـل هـام في نضـوج الأفراد واكتسـاب الكفـاءات والخبرات وفي التثبيت من إخـلاصهم لفكرتهم ويـلاحـظ أنـه ليس كل عضـو أهـلاً للقيـادة فقـد نجـد إنسـانـاً جيـداً في الانقيـاد والطـاعـة مخفقـاً في صـلاحـه للقيـادة . والـذي لا خلاف فيـه أن ذوي الخبرة الطويلـة أنجـح في القيـادة ممن يكافـؤهم من ذوي الخبرة اليسيرة وقـد يعترض البعض على هـذا الرأي بحجـة قلـة الكوادر القيـاديـة فيقول مـا المـانع في أن نشغل بعض مراكز القيـادة الشـاغرة بمن نثـق بهم ممن لا ينطبـق عليهم شرط القـدم فـأقـول : إذا تسـاهلنـا بشرط القدم فلابد من توفر شرطين هما الثقة والكفاءة .

٤ ـ عـدم التسـاهل في أي ظـاهرة قـد تؤدي إلى انقسـامـات واضطرابـات مهما صغرت فظهـور تكتـلات أو محـاولات تشهير ببعض القيـاديين أو ظهـور بعض الخـلافـات بين أعضـاء التنظيم كل ذلـك وأمثـالـه يجب أن تعيره القيـادة اهتمامـاتهـا فتسـارع للقضـاء عليـه في مهـده قبـل أن يستفحـل أمره وتتسع رقعته فإن معظم النار من مستصغر الشرر .

ب ـ **الإجراءات العـلاجيـة :** وهي إجراءات يجب اتخـاذهـا من قبـل أعضـاء التنظيم فور علمهم بوقـوع الانقسـام وأقصـد بـالانقسـام مـا كان شرخـاً كبيراً في صف التنظيم ولا أقصـد بـه فصـل عضـو أو أكثر فمـادام جسم التنظيم متماسكاً كان الخطر ضعيفاً وإليكم أهم هذه الإجراءات :

١ ـ عـدم التسرع بـالانحيـاز إلى إحـدى الطـائفتين المتنـازعتين حتى وإن كانت إحـداهمـا أقرب إلى القلب من أختهـا لأن التسرع في الانحيـاز إلى إحـدى الطـائفتين المتنـازعتين يشجعهـا على التشبث في مـواقعهـا والتصلب في مـواقفهـا فيصعب على المصلحين تقريب وجهـات النظر وتتعثر مسـاعي الإصـلاح وقـد يـؤدي ذلـك إلى خـذلان الحـق إن كانت الفئـة الثـانيـة على حق .

٢ - التبين : يقول تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ ولابد لمن يتدخل للإصلاح من أن يتبين وجهة نظر الفريقين المتخاصمين حتى يتمكن من معالجة الموضوع ويكون ذلك إما بالاستماع إلى كل طرف على انفراد وهذا الأفضل أو بالاستماع إلى وجهات نظر الطرفين معاً وفي مجلس واحد وبعد ذلك يعطي رأيه في حل هذا الخلاف . أو بالانحياز إلى أصحاب الحق .

٣ - التحكيم : ونقصد به قبول المتنازعين بقرار لجنة موثوقة من الطرفين تخصص للفصل في أمر النزاع سواء كانت من المنتظمين أو من أصدقائهم وقبول التحكيم يعني الالتزام بالانصياع لقرار التحكيم ومن رفضه كان باغياً وظالماً لأن رفض الانصياع للتحكيم ليس إلا معولاً يهدم في بناء التنظيم ويقضي عليه . لذا فواجب أعضاء التنظيم أن ينفضوا عن الرافضين لقرار التحكيم ويأتلفوا مع المنصاعين له الحريصين على وحدة الصف الراغبين في الإصلاح يقول تعالى : ﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ الحجرات .

٤ - الحسم : فإن لم يتم الاتفاق على لجنة التحكيم وتعسر الوصول إلى حل وطال أمد الخلاف يحسن الانحياز إلى أقرب الفئتين إلى الحق ، وإن كانت الطائفتان في البعد عن الحق سواء ولم نتمكن من المفاضلة بينهما يحسن الابتعاد عن هذه الفتنة وعدم الانحياز إلى إحداها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً« ولئن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

وإن استجاب الطرفان لقرار الحسم وجب الإصلاح بينهما ، وإزالة أسباب الجفاء ، وإقامة العدل فيما بينهما ، وإعطاء كل ذي حق حقه قال تعالى : ﴿ **فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب**

المقسطين ﴾ الحجرات .

٥ - الابتعاد عن الجدل : ويحسن بالأعضاء الذين ينتظرون حسم الخلاف ونتائج الإصلاح أن يبتعدوا عن الجدل والخوض في مسائل الخلاف فإنه ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل . إذ لا يجوز أن تشغلهم قضايا الخلاف عن مهمتهم الرئيسية ألا وهي إعداد أنفسهم وتزكيتها ودعوة غيرهم والتناصح معهم .

٦ - التزام خُلُق الإسلام : والأهم من ذلك كله أن لا يخرج المتخاصمون عن حدود الشرع في خصومتهم لأن الفجور من صفات المنافق كما لا يجوز استخدام الوسائل المحرمة كالكذب والاتهام بغير دليل والتشهير والغيبة والنميمة . كما لا يجوز قطع الرحم والامتناع عن السلام والقطيعة أكثر من ثلاثة أيام وإن يذكروا وصية رسول الله ﷺ في الفتن (القاعد فيها خير من القائم) .

من عِبَرِ الماضي

ولابد قبل الانتهاء من بحث الخلافات الحزبية من إعطاء نماذج عن دور المخابرات في صفوف التنظيمات المعاصرة ، فإنه لم يعد سراً تسلل عناصر المخابرات إلى تنظيم جماعة الإخوان في مصر، حيث دفعوا بعناصرهم ومن خدع بهم إلى احتلال المركز العام للجماعة في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٣ ، مطالبين باستقالة حسن الهضيبي الذي انتخب مرشداً عاماً ، بحجة حداثة عهده بالجماعة ، وأشهروا السلاح مهددين بضرورة الاستجابة لطلبهم ، ولكن المرشد العام رفض طلبهم وتهديدهم ؛ لأنه لا يملك أن يرد بيعة شرعية صارت أمانة في عنقه وتدخل الشباب المخلص لدعم الشرعية ، بقوة السلاح وحاصروا المهاجمين ، وأصبح الوضع يهدد بالانفجار وسارع المخلصون للقضاء على الفتنة ، واتصل محدثي بمدير شرطة القاهرة آنذاك

أرشده للاتصال بوزارة الداخلية فاستغرب وهل يوجد أحد بعد منتصف الليل ، فكان الجواب بالإيجاب ، وأدار محدثي قرص الهاتف ليسمع صوت وزير الداخلية آنذاك يرد على الهاتف ، إنه كان يقود المعركة حتى بعد منتصف الليل فذهب إليه الشيخ محمد فرغلي وسعيد رمضان ليضغط على عميله المخلص رئيس النظام الخاص بالانسحاب دون إراقة دماء ، ومما يؤكد ذلك ما كتبه أحمد عادل كمال في كتابه « النقط فوق الحروف » ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ عن دور السلطة في تأزيم الخلاف وكيف طلب الضابط محمد عبد الرحمن نصر سكرتير شؤون البوليس الحربي من عبد الرحمن السندي اغتيال المرشد حسن الهضيبي وبعض أعضاء الجماعة واعداً إياه بأن الحكومة سوف تغمض عينها . ويذكر كذلك أن مجموعة من الهيئة الغاضبين يزيد على الأربعين مسلماً كانوا يعدون للهجوم على أعضاء الهيئة التأسيسية وأنه ذهب إليهم في مكان اجتماعهم في بيت أحد الإخوان قرب المركز العام واستطاع صرفهم عن عزمهم مما أحبط مخطط عبد الناصر في تدمير الجماعة وكان ذلك سبباً في اعتقاله بعد ذلك ، وكان لهذه المجموعة العميلة دور في محاولة تقسيم إخوان سوريا كذلك ، لقد أرسلوا عميلهم ن . ج لهذه المهمة غير أنهم لم يفلحوا ولقد تبين من مجرى الحديث أنهم كانوا يوقعون العرائض من أفراد الجماعة السوريين يطالبون فيها ببيعة حسن الهضيبي مرشداً عاماً في الوقت الذي يعملون فيه لإقصائه في مصر بينما كانوا وبنفس الوقت يوقعون العرائض في مصر لبيعة مصطفى السباعي مرشداً عاماً في الوقت الذي يحاول أنصارهم إقصاءه في سوريا كل ذلك لكي يجهزوا على هذه الجماعة بتكريس انقساماتها ويتمكنوا من ضربها ولم تكن التنظيمات الأخرى أقل حظاً من هذا التسلل لقد أصبح التنظيم الناصري تنظيمات عدة ، والحزب الشيوعي حزبان ، كما وأن تسلل شخص إلى مركز مرموق ي أي تنظيم كان أمراً عاديّاً وأكثر من أن يحصى .

☆ ☆ ☆

التحالف السياسي في الإسلام

كثر الحوار حول سؤال عن رأي الإسلام في التحالف بين فئتين ، فئة مسلمة ملتزمة بالإسلام وبين فئات غير ملتزمة بالإسلام كله أو بعضه ، لتحقيق هدف مشترك كتحرير وطن محتل إو إسقاط حكم جائر . وهل يصر الإسلاميون على أن يلتزم المتحالفون بمبادىء الإسلام وتحكيمه ، ولو أدى ذلك إلى انهيار التحالف أم يتفقون على النقاط المشتركة فحسب . ثم ما الأسس التي تجب مراعاتها في الاتفاق .

ولابد للإجابة عن هذا السؤال من الرجوع إلى سيرة سيدنا محمد ﷺ ودراسة معاهداته وتحالفاته وعهوده والتي ألخصها فيما يلي :

أ ـ تداعى بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو مرة إلى دار عبد الله بن جدعان وتعاهدوا على أن لا يجدوا في مكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته . وشهد سيدنا محمد ﷺ هذا الحلف مع عمومته فقال فيه بعد البعثة : « شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت » .

ب ـ منذ أن دخل رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً كتب إلى يهود المدينة كتاباً حدد فيه المبادىء الدستورية للدولة الجديدة الناشئة تضمنت موادعتهم وإقرارهم على أوضاعهم وتأمينهم على حرياتهم الشخصية والدينية والمالية . وتلكم بعض نصوص هذه الوثيقة التاريخية : (هذا كتاب محمد النبي بين المؤمنين المسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة من دون الناس المهاجرين من قريش ـ وعدد القبائل المشتركة معهم ـ متعاقلون فيما بينهم وهم يفدون عانيهم

بالمعروف والقسط بين المؤمنين المتقين ، وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى عليهم ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمناً بكافر ولا ينصر كافراً على مؤمن وأن ذمة الله واحدة ، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولامتناصرين عليهم وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد .

وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وأن اليهود يهود بني عوف أمة واحدة مع المؤمنين . لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته . وعدد كافة قبائل يهود وقال : لهم ما ليهود بني عوف .

وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

وأن لا يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم وأن يثرب حرام جوفها على أهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وأن بينهم النصر على من دهم يثرب . وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم وأن الله جار لمن بر واتقى) .

محمد رسول الله .

وقد يظن البعض أن عهد السلم هذا مع اليهود شبيه بما يطرح اليوم من حلول سلمية مع اليهود ، والحق أنه لا مجال للتشابه بينهما للأسباب التالية :

١ - يهود المدينة في ذلك الوقت مستوطنون يعيشون مع العرب منذ زمن بعيد بينما يهود اليوم مهاجرون إلى فلسطين ومغتصبون ، حلوا مكان أهلها المشردين لذا فوجودهم غير شرعي .

٢ - يهود المدينة أقلية في المدينة مركز الدولة الإسلامية الأولى يخضعون لحكم المسلمين العادل ويهود فلسطين اليوم يحكمون المسلمين بقوة الحديد النار ودعم الدول الاستعمارية الكبرى الحاقدة على الإسلام وأهله ويضغطون على المسلمين لترحيلهم والاستيطان مكانهم .

٣ - مسالمة رسول الله ﷺ لليهود لم تساعد على زيادة قوتهم العسكرية ومسالمة يهود اليوم في فلسطين وتوقف المقاومة ضدهم في الداخل والخارج تؤدي إلى الاستقرار والازدهار . وتوافد المهاجرين ورؤوس الأموال وتساعد على استكمال معامل الأسلحة الفتاكة وعلى تطوير الزراعة والصناعة والتجارة وبتطبيع العلاقات مع الدول العربية - المتخلفة مع الأسف - تجد دولة إسرائيل في بلادهم سوقاً رائجة لتصريف منتجاتها واستيراد المواد الخام منها ولعمري هل هناك استعمار أقوى من هذا الاستعمار .

٤ - يهود المدينة على ضعفهم كانوا ينقضون عهدهم مع رسول الله ﷺ حين يظنون أن الفرصة مواتيه للتغلب على المسلمين فكيف بيهود اليوم الذين صنعهم الاستعمار على يده وزرعهم في قلب العروبة والإسلام لتكون دولتهم منطلقاً لتحطيم أية قوة عربية أو إسلامية مجاورة . ترى فهل توفي هذه الدولة بالتزاماتها وتتراجع عن أطماعها أم أنها ستنقض العهد كلما وجدت الفرصة مناسبة وصدق الله إذ يقول عنهم ﴿ **أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾ البقرة ١٠٠ .

جـ - صلح الحديبية : جرى بين المسلمين والمشركين من أهل مكة حين رغب المسلمون المهاجرون والأنصار في حج بيت الله الحرام وتصدى لهم المشركون فتم نتيجة التفاوض بين سهيل بن عمرو ممثل قريش ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العهد :

١ - اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهم الناس ويكف بعضهم عن البعض الآخر .

٢ - على أنه من أحب أن يدخل في حلف محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة وقالت نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم .

٣ - على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وخيل إلى بعض المسلمين أن في هذا الشرط موقف ضعف من المسلمين ولم يدركوا الحكمة التي أدركها رسول الله ﷺ من أن المرتد عن الإسلام يفضل عدم بقائه بين صفوف المسلمين ، ومن أسلم من المشركين فوجوده بين ذويه يساعده على تبليغ الدعوة لهم .

٤ - وأن بيننا (بين المسلمين وقريش) - بيعة مكفوفة - أي صدوراً منطوية على الخير - وأنه لا أسلال ولا أغلال .

٥ - وأنك ترجع عنا عامك هذا وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فتدخلها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثاً ومعك سلاح الراكب والسيوف في القرب . ولا تدخلها بغيرها .

يلاحظ أن هذه المعاهدة حققت للمسلمين مكاسب عدة أهمها :

١ - الكسب المعنوي : فإن في تفاوض المسلمين مع المشركين اعترافاً ضمنيا من المشركين بقوة المسلمين حين جلسوا معهم جلسة الند للند .

٢ - هدنة السنين العشر مكنت المسلمين من تبليغ دعوتهم في جو آمن فكسبت الأنصار ودخل الناس في دين الله أفواجا ولم يستفد المشركون

غير تجنب ويلات الحرب والتي شملت المسلمين كذلك .

لقد كانت نتائج الهدنة هذه خلافاً لنتائج الهدنة الأولى في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ حين قبلت الجيوش العربية وقف إطلاق النار ، فمكنت اليهود من تأمين السلاح وهجرة المقاتلين وتدريبهم مما كان له أكبر الأثر في انتصارها على العرب آنذاك .

د ـ حلف المطعم بن عدي : وهو زعيم بني نوفل بن عبد مناف ومشرك من مشركي مكة طلب منه رسول الله ﷺ الدخول في جواره بعد أن اشتد به أذى المشركين في مكة والطائف فاستجاب المطعم لحماية رسول الله ﷺ ، وأخرج معه قومه شاهرين أسلحتهم وأعلن عند البيت الحرام حمايتهم له وأذعنت قريش لهذه الجيرة وكفت أذاها عن رسول الله ﷺ ، ولم ينس رسول الله ﷺ فضل المطعم عليه فقال حين أسروا سبعين رجلاً من المشركين في بدر: « لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء لتركتهم له » مع ما هم عليه من عقيدة فاسدة . لأن رسول الله ﷺ كان يميز بين من يحارب المسلمين وبين من يسالمهم .

هـ ـ مشروع التحالف مع بني عامر بن صعصعة : لقد طلب رسول الله ﷺ الحماية من بحيرة بن فراس زعيم قبيلة عامر بن صعصعة . فاشترط بحيرة لحماية الرسول الكريم أن يكون له الحكم من بعده فرفض رسول الله ذلك الشرط قائلاً : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » فأجابه بحيرة : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا . لا حاجة لنا بأمرك . (المقريزي في إمتاع الأسماع) مما تقدم نخلص للنتائج التالية :

١ ـ لا أرى مانعاً من اتفاق فئات إسلامية مع مسلمين غير ملتزمين بالإسلام كله أو بعضه أو مع غير مسلمين !! على إنصاف مظلوم أو الأخذ على يد ظالم أو على مصلحة مشتركة تفيد المسلمين في تدعيم قوتهم وانتزاع حريتهم . ولا أرى التشدد في فرض شروط قد تؤدي إلى تصدع التحالف والإبقاء على الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وهذا ما استفدناه من موقف الرسول الكريم في حلف الفضول وأنه لو دعي إليه في الإسلام لأجاب .

٢ ـ إذا كان التحالف لتسلم حكم في بلد ما فعلى المسلمين أن يشترطوا على المتحالفين معهم قبولهم بحكم الإسلام واعتبار الفقه الإسلامي مصدر التشريع ولا يجوز التساهل في هذا الشرط حتى ولو انفرط عقد التحالف لقوله تعالى : ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ .

٣ ـ لا يجوز للمسلمين أن يستعينوا بتنظيمات تجاهر بكفرها في قتال أعداء الإسلام ، لأن الكفر ملة واحدة فقد ينقلب الكافرون في لحظة حرجة على المسلمين فيضعفون موقفهم وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : (إنا لا نستعين على المشركين بالمشركين) رواه أحمد .

٤ ـ يجدر بالمسلمين مسالمة جيرانهم والمتعايشين معهم من غير المسلمين والإحسان إليهم وعدم المكر بهم لقوله تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ وهذا يستفاد من عهد الحديبية (وأن بيننا بيعة مكفوفة) .

٥ ـ يحق للمسلمين إلغاء أي شرط يخالف تعاليم الإسلام كأن يحلل حراماً أو يحرم حلالاً . كما حدث في شرط بند من بنود الحديبية فقد

نصت إحدى بنوده على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، وقد بينا الحكمة من قبول الرسول الكريم بهذا الشرط ، غير أن هذا البند عام يشمل النساء والرجال وإن رد الرجال لا حرج فيه أما رد النساء ففيه حرج ومخالفة شرعية لعدم جواز استمرار الحياة الزوجية بين المسلمة والكافر لذا لما أسلمت مشركة وطالب أهلها بردها نزل قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ وفي ذلك حكم صريح في عدم جواز استمرار الحياة الزوجية بين مسلمة وكافر .

لذا فقد ألغى رسول الله ﷺ هذا الشرط ورفض ردها إلى زوجها .

٦ ـ يحق للأمير المسلم إلغاء أي اتفاق نكل الطرف الآخر عن شرط من شروطه فقد ألغى رسول الله ﷺ عهد الحديبية حين نقضت قريش عهدها فحاربت خزاعة حليفة رسول الله ﷺ مما برر له زحفه على مكة لفتحها .

٧ ـ يجب على المسلمين الاستجابة لنداء السلم وإيقاف الحرب مع خصومهم بشرطين :

أ ـ اذا كان ذلك لا يعطي لخصمهم فرصة التقوي على المسلمين .

ب ـ إذا لمس المسلمون من خصومهم رغبة صادقة بمسالمتهم لقوله تعالى : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾ .

الحركات الإسلامية بين الاعتدال والتطرف

١ ـ الصوفية .

٢ ـ السلفية .

الصوفية

بين الاعتدال والتطرف

مخطط البحث

١ ـ نشأة الصوفية وتاريخها .

٢ ـ تعاريف اصطلاحات المتصوفين .

٣ ـ السفر والمقاومات والمعرفة .

٤ ـ الأحوال والمجاهدة .

٥ ـ العوامل المساعدة في التربية الروحية .

٦ ـ شطحات بعض المتصوفين .

٧ ـ أصناف المتصوفين على ضوء الواقع .

٨ ـ تجاوزات بعض المنتسبين للصوفية .

٩ ـ المعتدلون من الصوفية والسلفيين ينهلون من معين واحد .

مراجع البحث

١ ـ الرسالة القشيرية	للقشيري
٢ ـ التصوف في الإسلام	د . عمر فروخ
٣ ـ تربيتنا الروحية	سعيد حوّى
٤ ـ المنطلق	محمد أحمد راشد
٥ ـ تاريخ التصوف الإسلامي	د. عبد الرحمن بدوي
٦ ـ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية	الشيخ عبد الوهاب الشعراني
٧ ـ في التصوف والأخلاق	د . عبد الفتاح بركة
٨ ـ نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها	د. عرفان عبد المجيد فتاح
٩ ـ الشريعة والطريقة	المحدث محمد زكريا الكاندهلوي

الصوفية

نشأتها وتاريخها : يقول ابن خلدون : لاشك أن التصوف اتجاه ديني وأنه من العلوم الشرعية الحادثة في الملة . ويعتبر رينولد كبير الباحثين في الصوفية : أن التصوف هو فلسفة الإسلام الدينية ، وعرفها بعضهم بأن الصوفية هي إدراك الحقائق الإلهية . ووصفها الجنيد : بأن الصوفية ذكر مع اجتماع ، وجد مع استماع ، عمل مع اتباع . ويقول في الرسالة : التصوف عنوة لا صلح فيها . وعرفها الجزيري : أن التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب ، وخلاصة هذه التعاريف : التصوف هو بذل الجهد في تهذيب النفس للارتقاء بها إلى مستوى أكمل .

وحول نشأة التصوف وتأثرة بالعقائد الأخرى : يقرر لويس ماسينيون ما يلي :

١ ـ أن التصوف الإسلامي نشأ من التأمل المتواصل للقرآن وللأحاديث النبوية لذا كانت نشأته إسلامية خالصة .

٢ ـ نتيجة للاتصال بالأفكار الأجنبية انضافت إليه قسمات أجنبية كانت بمثابة زخارف وتنويعات .

٣ ـ تأثرت الصوفية بالأزمات النفسية والسياسية .

٤ ـ أبرز السمات الأجنبية التي تأثرت بها الصوفية هي اليونانية والمسيحية ، أما النزعات الأخرى فتشابهات لا دليل عليها . ولقد رفض الصوفيون هذه التهم ؛ وذلك لما بين طبيعة التصوف الإسلامي وطبيعة التبتل والرهبنة من اختلاف .

أما تاريخ الصوفية : فقديم جداً شاع في الديانات والأمم كلها في الوثنية والمجوسية واليهودية والنصرانية والإسلام كما عرفتها بعض الأمم البدائية .

أما اشتقاق كلمة التصوف : فقيل من سوفيا اليونانية ومعناها الحكمة وقيل من الصفاء ، وقيل من الصوف ، لباس الأنبياء والصديقين وشعار المساكين .

ويقول ابن الجوزي : لم يكن عجيباً أن يتقشف بعض المسلمين في عصر صدر الإسلام ، ويزهدوا في الدنيا لأنهم لما تفرقوا واختلطوا بالأمم التي دخلت في الإسلام ، وشاهدوا الإقبال على الدنيا في ـ القرن الثاني ـ أحدث ذلك رد فعل ظاهر ـ فابتعد بعضهم عن الدنيا مرة واحدة ، وانقطعوا إلى العبادة ، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ، وأخلاقاً تخلقوا بها .

نشأة علم التصوف : نتيجة تعمق الصوفيين في فهم النصوص الشرعية وتذوقهم لمعانيها نشأ ما يسمى **بعلم الإشارة :** وهو الذي يكشف عن المعاني واللطائف والأسرار المخزونة والطرائف والحكم المستوحاة من معاني القرآن الكريم وأخبار الرسول الكريم ﷺ .

أهداف علم التصوف :

يهدف علم التصوف إلى تحقيق هدفين أساسيين :

١ ـ **هدف تربوي :** يرمي إلى تهذيب النفس والارتقاء بها في مقامات الإسلام ـ الإيمان والإحسان والتقوى والشكر حتى تبلغ الكمال ؛ فيؤدي صاحبها واجبه كوارث محمدي تجاه مجتمعه ؛ بالدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول النبي ﷺ : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » ويقول أبو حفص الحداد النيسابوري (حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن) عوارف المعارف ـ.

وهذا ما حدا بعلم التصوف إلى دراسة النفس والروح والقلب ، ومعرفة وسائل الارتقاء بها ؛ ليسعد مزكيها ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ (الشمس : ٩، ١٠) .

٢ - **وهدف تعليمي :** يهدف إلى التحقق بالمعارف الإلهية ، والوقوف على أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وعلى الجانب القلبي والذوقي من قضايا الفقه ؛ وذلك بإطلاق الخيال لفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يصل السالك إلى اليقين وهو على ثلاثة مراتب :

أ - علم اليقين : وهو يأتي عن طريق الدليل النقلي من آيات وأحاديث ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين** ﴾ (التكاثر : ٥) .

ب - عين اليقين : وهو يأتي عن طريق المشاهدة والكشف ﴿ **ثم لترونها عين اليقين** ﴾ (التكاثر : ٧) .

جـ - حق اليقين : وهو ما يتحقق عن طريق الذوق ﴿ **وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ (الواقعة : ٩٥، ٩٦) .

كما يقسمون الإيجاد إلى عالمين :

١ - **عالم الأمر :** وهو لا يخضع للأسباب والمسببات وهو ما يسمى بعالم الغيب .

٢ - **عالم الخلق :** وهو يخضع للأسباب والمسببات وهو ما يسمى بعالم الشهادة .

اهتمامـــات علم التصـــوف : يهتم علم التصـــوف بـــالروح والنفس والقلب باعتبارها وسيلة للارتقاء .

أ - الروح : هـــو ذلـــك السر الربـــاني الـــذي يبعث الحيـــاة في جسم المخلـــوقـــات وهي سر من أسرار الله تعـــالى ، لا يمكن أن يبحث في مـاهيتهـا . يقـول الله تعـالى : ﴿ **ويسألـونـك عن الروح قـل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ الإسراء ٨٠ .

والروح في أصلهـا صـافيـة شفـافـة مفطـورة على الإيمـان الكامـل . يقـول رسول الله ﷺ : « كل مولود يـولـد على الفطرة فـأبـواه يهـودانـه أو ينصرانـه أو يمجسانه » رواه البخاري .

وقـد تتعكر الروح لتـأثرهـا ببعض المطـالب المـاديـة لـذا يهتم الصـوفي بمجاهدتها لإعادتها إلى صفائها .

ب - النفس : بعض الصـوفيين يعتبر النفس هي الروح بعـد مخـالطتهـا البـدن . وكثيراً مـا تقـع النفس تحت تـأثير مطـالب البـدن فتتطلـع إلى الرغبـة في الخلـود الحسي والمعنـوي ﴿ **هـل أدلك على شجرة الخلـد وملـك لا يبلىٰ** ﴾ والنفس على مراتب :

أدنـاهـا النفس الأمـارة بـالسـوء : التي تعـاود إلى أمره بـالسـوء كلمـا سنحت لها الفرصة ، وكلمـا وجـدت فيـه ضعفـا وميلاً إلى الشهوات فقـد ورد في سورة يوسف ﴿ **وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ .

وتليهـا النفس اللـوامـة : وهي التي لم تبلـغ درجـة الكمـال ، فتضعف أمـام بعض المنكرات ـ فتلـوم نفسهـا ـ وتصمـد أمـام أخرى . تلـك هي نفس معظم المـؤمنين قـال الحسن رضي الله عنـه (هي والله نفس المـؤمن مـا ترى المؤمن إلا يلوم نفسه والفـاجر لا يحـاسب نفسـه) ووصفهـا مجـاهـد : (بـأنهـا

تلوم نفسها على الشر لِمَ فعلته وعلى الخير لِمَ لا تستكثر منه) (ولقد رفع الله قدرها حين أقسم بها في الآية من سورة القيامة ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾(القيامة : ١،٢) .

ثم النفس الملهمة : التي أنار الله بصيرتها ، عرفت الحق فاتبعته وعرفت الشر فابتعدت عنه قال سعيد بن جبير : هي التي ألهمها الله فجورها وتقواها ، وقال ابن زيد : هي من جعل فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه للفجور . قال الله تعالى : ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ (سورة الشمس) . وقال ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾ يعني يفرق به بين الحق والباطل .

ثم النفس المطمئنة : وهي التي بلغت الكمال وصفها الحسن البصري بأنها النفس المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله وقدره . قال تعالى : ﴿ **ياأيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾ (الفجر : ٢٧ ـ ٣٠) .

ثم النفس الراضية المرضية : التي أشارت إليها الآية السالفة : رضيت بكل ما أصابها من الله فاعتقدت أنه خير لها ، ولو كان في ظاهره شراً لها ، لأنه لا يصدر عن الله إلا ما فيه الخير . قال تعالى : ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** ﴾ .

ج ـ القلب : ليس المقصود بالقلب عند الصوفيين تلك العضلة النابضة بالحياة ، إنما المقصود تلك البصيرة التي تكشف لصاحبها حقائق الأمور من خير وشر ، وهو الميزان الذي يميز به الخبيث من الطيب . فتنعكس معرفته على الجوارح ، فتستقيم على نهج الله وصدق رسول الله ﷺ « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا

وهي القلب » رواه البخاري . فمرض القلب وصحته هي من اختصاص علم التصوف .

والقلوب من حيث استعدادها للصلاح على مراتب :

١ ـ **القلب الأجرد** : وهو قلب المؤمن الذي أشرق بنور الله وذاق حلاوة الإيمان وصنَّفه الصوفيون على أربع حالات (الهدىٰ : وهو بداية حب الله ، الود : وفيه يثبت حب الله ، والحب : وفيه ينشغل القلب بمرضاة الله ، والعشق : وفيه ينشغل بالله عن غيره) .

٢ ـ **وقلب أغلف** : وهو قلب الكافر غلفته المعاصي فأظلم والعياذ بالله تعالى .

٣ ـ **قلب منكوس** : وهو قلب المنافق يؤثر ما عند غير الله على ما عند الله .

٤ ـ **قلب مصفَّح** : قلب فيه إيمان ونفاق في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « القلوب أربعة : قلب مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفَّح . فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نور ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » لذا قالوا الإيمان يزيد وينقص . يقول رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم » رواه الطبراني في الكبير وهو حديث حسن . وفي حديث آخر« جددوا إيمانكم

قيل : يارسول الله كيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله » رواه أحمد بإسناد جيد (يعني بالذكر) .

والقلب في نظر الصوفيين مطلق ، والعقل مقيد ، لذا فالعقل المقيد لا يعي المطلق ، وهو الله لذا فالعقول بنظرهم لا يتوصل بها إلى المعرفة الكاملة .

السفر ومراتب المتصوفين : لقد سمي الصوفيون الحياة سفراً والمقصود بالسفر : هو الانتقال بالنفس الإنسانية من مرتبة أدنى إلى مرتبة أكثر كمالاً . وقد عمم بعض الصوفيين السفر على كل مجالات الحياة فقالوا : العالم كله في سفر ينتقل من شأن إلى شأن بدليل الآية ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ (الرحمن : ٢٩) وقد سموا الصوفي الذي يسعى للوصول إلى الله سالكاً (ومريداً) وسائراً فإذا انتهت مرحلة الإعداد والمجاهدة ، ووصل إلى مقام المعرفة ، دخل في المرحلة الثانية وسمي عارفاً أو مراداً أو واصلاً . وهو المقام الثابت للصوفي . فالمريد هو المبتدىء والمراد هو المنتهي . والمراد هو الذي اختاره الله لنفسه واصطفاه من عباده وأعطاه كافة مقامات الوصول ، وكافة أنواع المعارف والأنوار عن طريق الوهب الإلهي ، وجعل في قلبه واعظ الحق ، فتطمس في قلبه أنوارُ التوحيد سائرَ الظلمات والشبهات ، وينتقل من حال إلى حال حتى يتحقق من مقام التمكين في التكوين ، فلا يؤثر عليه تغيير الأحوال ، متمكناً من الله ، ثابتاً معه ، وتكون رغبة قلبه في الحقيقة ، ورغبة سره في الحق .

وحقيقة الإرادة كما وصفها القشيري : نهوض القلب في طلب الحق سبحانه .

أما شروط الإرادة فهي : رفع السد والحجاب بين المريد وبين الحق

سبحانه مستندين إلى قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ (يس : ٩) والسد بين المريد وبين الحق سبحانه أربعة أشياء هي : (المال والجاه والتقليد والمعصية) يقول القيشري : المريد من له إرادة ، والعالم من له علم ، لأنه من الأسماء المشتقة . فليس المريد عند الصوفية من أحكم إرادته مقابل إرادة الله ، بل من أحكم إرادته في تسليم نفسه لله ، وعندئذ يكون أمام إرادة الله بلا إرادة .

المقامات والأحوال : من طبائع الأمور أن يجتاز السالك طريقه إلى الله على مراحل ، يعالج فيها نفسه العلاج الملائم لتلك المرحلة مما يساعده على استئناف السير ، وبذل المزيد من الجهد ، حتى يتوصل إلى غاية هذه المرحلة فيقيم فيها ما شاء الله لذا سمي **مقاماً** . ثم ينتقل إلى مرحلة أسمى وهكذا ، وقد تعترض السالك في الطريق أمور روحية لا تلبث أن تزول ، وقد اصطلح الصوفيون على تسميتها **أحوالاً** . يقول القشيري : الحال : معنى يرد على القلب من تغير تعمد أو اجتلاب أو اكتساب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج . فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، فالأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل من بذل المجهود (الرسالة) وقد اختلف الصوفيون في تصنيف المقامات فعدها أكثرهم سبعة ، وبعضهم عشرة ، وذلك نتيجة التداخل بين المقامات فعددها الطبراني سبعة وهي : التوبة ـ الورع ـ الزهد ـ الفقر ـ الصبر ـ التوكل ـ الرضا ـ وترك الباب مفتوحاً حين قال وغير ذلك وزاد عليها السهروردي : الشكر : والخوف ـ والرجاء ـ واشترط الصوفية على السالك أن لا ينتقل من مقام إلى آخر قبل التحقق الكامل به . وقد يصبح الحال مقاماً كمراقبة النفس ومحاسبتها باستمرار .

المقامات :

فـالمقـامـات إذن هي مراتب تصـل إليهـا النفس الإنسـانيـة نتيجـة تزكيتهـا ، ويبـدأ الصـوفي سفره بـالمرحلـة التمهيـديـة وهي الاستعـداد النفسي والعـزيمـة القـويـة على اجتيـاز المقـامـات الـواحـد تلـو الآخر ، والتي تـؤلف بمجموعهـا طريقـه ، فـإذا اكتمل استعـداد المسلم لـلأخـذ بـالطريقـة بـدأ المقـام الأول وهـو : **١ ـ التـوبـة :** قـال الله تعـالى : ﴿ **وتـوبـوا إلى الله جميعاً أيهـا المـؤمنـون لعلكم تفلحـون** ﴾ . وعن أنس قـال : قـال رسـول الله ﷺ « التائب من الذنب كمن لا ذنب لـه قيل : يـارسول الله مـا علامـة التوبـة ؟ قال الندامة » . قال أرباب الأصول من أهل السنة : شروط التوبـة حتى تصح ثلاثة أشياء .

١ ـ الندم على ما عمل من مخالفات .

٢ ـ ترك الزلة في الحال .

٣ ـ والعـزم على أن لا يعـود إليهـا . هـذا بـالإضـافـة إلى رد المظـالم لأصحابها فور الاستطاعة . تلك هي **التوبة النصوح** التي لا يضعف صاحبهـا أمام شهوة أو نزوة ، ولا تبقي عليه أثراً لمعصية خفية أو علنية . والتوبة عنـد المريد المبتدىء تكون بـذكر الـذنب ، والنـدم على فعلـه ، وهي عنـد المتقـدم تكون بنسيان الذنب ، والاستمرار في الريـاضـة الروحيـة . وقـد صنفوا التوبـة ثلاثة أصناف :

أ ـ **التـوبـة :** وهي مـا كانت خـوفـاً من عـذاب وهي صفـة عـامـة المسلمين .

ب ـ **الإنـابـة :** وهي مـا كانت طمعـاً في ثـواب وهي صفـة الأوليـاء والمقربين .

جـ ـ الأوبة : وهي ما كانت استجابة لأمر الله ، وهي صفة الأولياء المقربين ﴿ **واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب** ﴾ (صۤ : ١٧) .

٢ ـ مقام الورع : إذا تمكن المريد بمقام التوبة أصبح يخشى الوقوع في الإثم فيحترز منه ويتقي الشبهات .

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

أما علامة الورع فهي في قول الرسول ﷺ عن النواس بن سمعان أن رسول الله ﷺ قال : « البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم والبخاري .

أما مرتبة الورع العليا فهي في حديث الرسول ﷺ عن أبي ثعلبة أن رسول الله ﷺ قال : « البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون » رواه أحمد .

هذه المرتبة كما يقول الشراح لا يعرفها إلا أرباب القلوب ؛ والورع على وجهين ورع ظاهر : وهو أن لا يتحرك المرء إلا لله تعالى . وورع باطن : وهو أن لا يدخل القلب سوى الله تعالى .

ولقد فسره أبو ذر الغفاري بالحديث الشريف « من حسن إسلام المرء

تركه ما لا يعنيه » وفسره سفيان الثوري بقوله : (ما رأيت أسهل من الورع : ما حاك في نفسك تركته) وفسره أبو علي الدقاق (بأنه ترك الشبهات وتحرى الحلال في المطعم والملبس) كما عرف التقوى بقوله: (أن يطاع الله فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر) .

٣ ـ **مقام الزهد** : قد يطلق ويراد به الانصراف عن الشيء مطلقاً ، وقد يراد به الزهد في ما دون الحرام وحقيقة الزهد : أن لا يفرح الزاهد بالدنيا إن أقبلت ، ولا يحزن عليها إن أدبرت مصداق قوله تعالى : ﴿ **لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ الحديد ٢٣ . لذا كان الزاهد سخياً كريماً سمحاً رضياً . وللزهد مراتب يروي القشيري أن الإمام أحمد بن حنبل جعل الزهد على ثلاثة أوجه .

أ ـ ترك الحرام وهو زهد العوام .

ب ـ ترك المفضول من الحلال وهو زهد الخواص .

جـ ـ ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهوزهد العارفين .

٤ ـ **مقام الفقر** : هو شعور المريد بافتقاره إلى الله تعالى ، والاكتفاء من الدنيا بما يعينه عى طاعة الله والعيش الكريم ، ولا يعني ذلك أن يكون الصوفيون فقراء يتكففون الناس ؛ إذ قد يكون منهم أغنياء كباراً ، ولكن هذا الغنى لا يشغلهم عن الله تعالى . لأن الفقر في نظر الصوفيين ليس خلو اليد من الأملاك والمال ، إنما هو شعور الفقير السالك أن ما يملكه ليس له . بهذا يكون في عطائه جواداً ، وفي أخذه متعففاً قنوعاً ، قال الفرسيني : (الفقير هو الذي لا يكون له إلى الله حاجة) وفسر القشيري قوله (بأنه أشار إلى سقوط المطالب والرضا بما يجريه الحق سبحانه) .

٥ ـ مقام الصبر :

وهو مقام أخلاقي لا يتم جهد بدونه ، ولا يتوصل إلى هدف بغيره ، والصبر على رأي القشيري قسمان :

أ ـ صبر على ما هوكسب العبد فيدخل تحت الأمر والنهي .

ب ـ صبر على ما هو ليس بكسب له ، وهو أحكام الله عليه ، والتي قد يناله فيها مشقة وبلاء . قال سهل : الصبر انتظار الفرج من الله تعالى ومعناه : الوقوف مع الله بحسن الأدب ودون تبرم أو تململ يقول أبو علي الدقاق (حد الصبر أن لا تعترض على التقدير) .

والصبر ليس عملاً سلبياً مخصصاً ، فهو سلبي في الأمور السلبية كالصبر على القضاء ، وإيجابي كالصبر على العبادة ، وعلى إقبال الدنيا ، لذلك قالوا : الصبر على الطلب عنوان الظفر ، والصبر في المحن عنوان الفرج .

٦ ـ مقام الرضا :

لا يتم التوكل إلا بالرضا والرضا : هو حسن تقبل المسلم لقضاء الله وقدره بنفس راضية مطمئنة لعدالة الله فيه .

وقد اعتبر الصوفيون العراقيون الرضا من الأحوال العشرة بينما ، اعتبره الخراسانيون من المقامات . يقول أبو علي الدقاق : (ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا بأن لا تعترض على الحكم والقضاء) وبهذا يكون السفر قد بلغ مداه ، وأصبح قلب السالك من الصفاء ما يجعله أهلاً لتلقي المعارف عن ربه ، ويتمتع بفراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله ، وبهذا يكون قد وصل إلى مقام المعرفة .

المعرفة عند الصوفيين :

يقول الأستاذ الدقاق : المعرفة على لسان العلماء هي العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم . وكل عالم بالله تعالى عارف وكل عارف عالم . والمعرفة عند الصوفيين غاية الطريق وهي قسمان : معرفة حق ، ومعرفة حقيقة .

أما معرفة الحقيقة : فهي معرفة ذات الله تعالى على حقيقته وهذه لا سبيل للوصول إليها لقوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ أي عرفوه حق معرفته . ذلك لأن العقول البشرية عاجزة عن إدراك حقيقة ذات الله تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ لذا قالوا : ما عرفه غيره ولا أحبه سواه .

أما معرفة الحق : فهي معرفة الله تعالى بما تدل عليه أسماؤه التي سمى بها نفسه ، وصفاته التي وصف نفسه بها ولذا قالوا : المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ، ثم صدق في معاملاته ، ثم تنقى من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب انتظاره ، ودام بالقلب اعتكافه ، وصدق في جميع أحواله .

والمعرفة في نظر الصوفي إنما تأتي عن طريق القلب بعد مجاهدته وتحققه بالإيمان الصادق، فمتى انكشف للصوفي شيء - ولو كان يسيراً بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري - فقد صار عارفاً بصحة الطريق .

ولقد مثل الإمام الغزالي هذه المعرفة التي تأتي من القلب كالحوض الذي ينبع ماؤه من قعره ، فالتصوف إلى جانب كونه سلوكاً في الحياة فهو منهج في المعرفة ، أساسه التأمل الباطن والمجاهدة الروحية . يتنقل

الصوفي في مدارج المعرفة حتى ينتهي فيها إلى اليقين ، ومشاهدة الحقائق على ما هي عليه مصفاة خالصة .

الأحوال : جمع حال وهي حالة نفسية ترد على قلب السالك نتيجة تزكيته دون قصد منه أو تعمد ، ولا يستطيع لها دفعاً . وقد عدها الطوسي بعشرة أحوال وهي :

١ ـ مراقبة النفس وكبح جماحها .

٢ ـ القرب من الله بالطاعة والعبادة والذكر والتنفل .

٣ ـ محبة الله تعالى يقول سهل : (الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة) .

٤ ـ الخوف الذي يحجب عن المعصية .

٥ ـ الرجاء برحمة الله تعالى يقول الجنيد : الخوف يقبض والرجاء منه يبسط .

٦ ـ الشوق إلى لقاء الله تعالى .

٧ ـ والأنس بقرب الله تعالى .

٨ ـ الطمأنينة بسكون القلب وارتياحه .

٩ ـ المشاهدة يوم القيامة .

١٠ ـ اليقين يقول أبو عبد الله الأنطاكي : أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نوراً وينفي عنه كل ريب ، ويمتلىء به القلب شكراً ومن الله تعالى خوفاً . وقد أضاف البعض الأحوال التالية :

١١ ـ الوجد : ثمرات الأوراد فيه تنصرف الحواس عمن حولها إلى التأمل في الله وحده .

١٢ ـ الفناء : وفيه يبطل الشعور ويتعطل الإحساس .

١٣ ـ فناء الفناء وذلك حين لم يعد يدرك شيئاً مما حوله .

١٤ ـ البقاء وفيه يفقد المريد إحساسه بذاته فيفقد المخلوق ويوجد الخالق ويفنى الإنسان ويبقى الله ـ على حد تعبيرهم ـ.

المجاهدة : كثيراً ما تمرض النفس البشرية فإن كان مرضها فكرياً فعلاجه العلم ، وإن كان نفسياً فعلاجه المجاهدة . قال الله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ (العنكبوت) وقال : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ وقال : ﴿ **إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ (القمر : ٥٤،٥٥) من الآيات السابقة نجد أن الهداية ثمرة الجاهدة وأن التقوى ثمرة الهداية وأن التقوى موصلة إلى الله تعالى ، أما مراحلها : فالصدق ، وأداء الفرائض ، والتطوع بالنوافل ، أما أركان المجاهدة فهي :

أ ـ العزلة : يفسرها القشيري بقوله : (العزلة هي اعتزال الخصال الذمية لا التنائي عن الأوطان) والعزلة بمفهوم اعتزال الناس فهي علاج نفسي لكثير من الحالات ؛ كالعزلة أثناء الفتن وعدم الخوض فيها هذا إذا لم يتبين الحق . والاعتزال بقصد تهذيب النفس والعبادة والخشوع والتفكّر في عظمة الله تعالى وفي أسرار الكون والخلق ، شريطة أن لا يفرط بحق أحد ، وأن لا يطيل أمدها . يروي أبو بكر الرازي عن يعقوب السوسي قوله : (الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء من الرجال ولأمثالنا الاجتماع أنفع) اللمع .

ب ـ الصمت من فوائد العزلة وفيه قوله تعالى : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** ﴾ وفي الحديث الشريف « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » يقول القشيري : الصمت سلامة وهو الأصل فإذا كان الدعي والمقتضي من الحق وجب الكلام ، فالسكوت في وقته صفة الرجال ،

والنطق في موضعه من أشرف الخصال ، ومن سكت عن الحق فهو شيطان أخرس .

جـ ـ السهر : والمقصود به أن يكون في طاعة الله ورد في الحديث الشريف قيل : يارسول الله أي الدعاء أسمع قال :

« جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات » أخرجه الترمذي بإسناد حسن .

د ـ الجوع : كثيراً ما يكون الجوع علاجاً لبعض أمراض النفس ؛ كالبطر ، والعجب ، والشهوة الجنسية قال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » كما نهى عن الشره وكثرة الطعام بقوله : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » رواه الترمذي يقول ذو النون : (لا تسكن الحكمة في معدة ملئت طعاماً) ويقول الداراني : (مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع) .

الشريعة والطريقة : يقولون بأن الشريعة هي معرفة السلوك إلى الله تعالى، والحقيقة هي دوام النظر إليه ، والحقيقة والشريعة متلازمتان لا يتم أحدهما إلابالآخر . والطريقة : هي سلوك طريق الشريعة والعمل بمقتضاها . يقول أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : قد درج أشياخ الطريق كلهم على أن أحداً منهم لم يتصدر قط للطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة ووصوله إلى مقام الكشف الذي يستغني به عن الاستدلال . ومن هنا قالوا للمريد تفقه في دينك أولاً ثم تعال ادخل في الطريق . لأن التصوف والعلم قرينان لا يفترقان ، ذلك لأن من يرد الله به خيراً يفقه في الدين .

يقول الدكتور أبو الوفا : أصبحت كلمة طريقة عند الصوفية في القرن الثالث عشر والرابع عشر تشير إلى مجموعة الآداب والأخلاق التي تتمسك بها طائفة الصوفية .فمن أجمع إرادته وأبصر طريقه فعليه أن يسلكه ، وإن سلوك الطريق وقطع مراحله يكون بوضع غايته نصب عينيه ؛ حتى لا يفتر السعي ، ولا ينحرف عن الجادة ولا تصرفه عن النشاط الصوارف . يقول الجنيد : (الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام واتبع سنته ولزم طريقته) طبقات الصوفية ـ.

العوامل المساعدة في التربية الروحية

أ ـ **الاجتماع** : اجتماع المسلمين على الذكر والتلاوة والتفقه والتناصح يساعد على سلوك الطريق الصحيح ، وعلى تهذيب النفس ، والارتقاء بها حتى تتحقق بالعبودية لله ففي الحديث : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » وفي حديث آخر « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا وما هي رياض الجنة ، قال : حلق الذكر » أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب . وقد أكد معاذ بن جبل مشروعية الاجتماع وضرورته بقوله « اجلس بنا نؤمن ساعة » فأخذها ابن رواحة وقال لأبي الدرداء (تعال نؤمن ساعة إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً) .

ب ـ **الإنشاد** : لاشك أن إنشاد المعاني الإسلامية الصادقة أكثر تأثيراً في النفس مما لو سمعت من غير إنشاد ، شريطة أن نحسن اختيار الشعر بحيث يتضمن ما يحض على فعل الخير ، والبذل ، والتضحية ، واستنكار الفساد ، وذكر مآثر الأجداد ، وبيان محاسن الشريعة وأن يكون بعيداً عن الزهد

والصبابة ، والغزل برسول الله ﷺ وكما يحسن أن لا نكثر منها لئلا تشغلنا عن ترتيل القرآن الكريم ، وتدبر معانيه ، وتذوق بلاغته ، فتكون في فترات محدودة كالملح للطعام ، وكفترة ترويحية منشطة لدفع الملل ، وعلى أن لا نتخذها هواية وغاية للبسط والسرور .

ج ـ **الشيخ** : إذا كان العلم يؤخذ من صفحات الكتب وأقوال العلماء فإن تربية النفس وتهذيبها يحتاج إلى مرآة تعكس عليها نفس المريد ليرى فيها عيوبه ، ووسيلة مجاهدتها وإصلاحها ، هذه المرآة هي نفس الشيخ الخبير بمداخل النفوس ، ووسائل تهذيبها قال تعالى : ﴿ **ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾ (الكهف : ١٧) فإذا انتفى الضلال كان للولي المرشد أثر عظيم في تنشيط السير إلى الله ، يُزود السالك بالخبرة والعلم ويختصر عليه الطريق ويزوده بالتقوى ، لذا نجد رسول الله ﷺ يرسل مصعب بن عمير مع أهل المدينة بعد أن بايعوه بيعة العقبة ليكون لهم ولياً مرشداً ، ومعلماً ناصحاً . وكان لجهوده أثر طيب في نشر الدعوة ، وإعداد رجالاتها ونظراً لما للشيخ أو الأمير من أثر كبير في توجيه وتربية من التزموا بالتلقي عنه والاقتداء به وجب على الشيخ أن يكون عند حسن ظن أتباعه به ، مؤهلاً لحمل المسؤولية العظيمة التي أنيطت به وذلك بالاهتمام بما يلي :

١ ـ العلم أن يدرس العلم على يد عالم متفقه ، والتجويد على يد حافظ مجود ، وأن يلم بعلوم القرآن والحديث ، وأن يدرس سيرة رسول الله ﷺ القدوة الحسنة ، والأفكار المعادية للإسلام ليحذر أتباعه منها . قال تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ (التوبة ١٢٤) . وقال تعالى : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا**

ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (البقرة ١٥١) تلك هي مهمة العلماء ورثة الأنبياء .

٢ ـ الالتزام بتعاليم الإسلام : مع أهله ومن يعول والوقوف عند حدود الشرع لأن الالتزام دليل صدق الإيمان ، فمتى تناقض قول الشيخ مع فعله فقد التأثير بغيره يقول تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ (الصف : ٢ ، ٣) .

٣ ـ حسن الأسلوب في الدعوة : يقول تعالى مخاطباً نبيه : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ . ويقول تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ فإذا كان الشيخ حليماً عليماً ، حسن الأسلوب في التبليغ ومعالجة نفسيات مريديه ، متدرجاً في تلقين العلم والأدب كان عظيم الأثر ، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

٤ ـ كما اشترطوا في الشيخ أن يكون معرضاً عن حب الدنيا والجاه متأدباً على يد شيخ قدوة بصير ، أخذ أدبه عن شيخ قدوة سابق وهكذا . لذا روى القشيري عن أبي يزيد البسطامي قوله : (من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان) الرسالة .

د ـ أدب المريد مع الشيخ : أن لا يتقدم على شيخه بقول أو فعل ، وأن يلزم السكون بجانبه وحسن الاستماع له ، وأن لا يرفع صوته بحضرته ، ولا ينبسط أمامه بالضحك والكلام، وأن لا يكتم شيئاً من أحواله عن شيخه وعلى الشيخ أن يحفظ سره فيكتمه عن غيره . يقول القشيري : ولا ينبغي للمريد أن يعتقد العصمة في المشايخ ، بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم ، ويحسن الظن بهم ، ويراعي مع الله حده فيما

يتوجب عليه من أمر .

ـ **هل يجوز أن يكون للمريد أكثر من شيخ ؟** يجيب على هذا السؤال الشيخ محي الدين بن عربي بقوله (اعلم أنه لا يجوز لمريد أن يتخذ له إلا شيخاً واحداً ، لأن ذلك أعون له في الطريق ، وما رأينا مريداً قط أفلح على يد شيخين ، فكما أنه لم يكن وجود العالم بين إلهين ، ولا المكلف بين رسولين ، ولا المرأة بين زوجين فكذلك المريد لا يكون بين شيخين) . هذا إذا كان قصد المريد سلوك الطريق ، أما إذا كان قصده التبرك بالشيخ فلا يمنع أن يجتمع بأي واحد .

مما تقدم نستطيع القول إن التصوف الصافي هو : علم النفس التربوي في الإسلام . يهدف إلى دراسة النفس البشرية لمعرفة أحوالها ، ومواطن الضعف فيها ، والأمراض التي تنتابها ، ووسائل علاجها ، والعمل على تزكيتها ، والارتقاء بها إلى مستوى التحقق الكامل بالإسلام ، وإخلاص الدين لله . ويقول الدكتور عبد الفتاح بركة : ونرى أننا لا نكون مغالين إذا قلنا : إن التصوف قد سد فراغاً كبيراً في بنيان الثقافة الإسلامية ، حيث نجد أن جانب العقيدة قد تكفل به علماؤه الأفذاذ ، ويقول : قد نجد في بعض قواعد علم الكلام ما يمكن أن يعتمد عليه في دراسة أسس وقواعد الأخلاق ، وقد نجد في بعض كتب الفقه إشارات لجوانب في المعاملات مما يعتبر مقياساً لحقوق وإقراراً للعدالة ، وقد نجد في بعض المواعظ والحكم إشارات إلى الأدب وتهذيب النفس ، ولكننا لن نجد عند هؤلاء جميعاً نظاماً متكاملاً لدراسة الجانب الأخلاقي في الإسلام كعلم مستقل بذاته . وإذا نحن أرسلنا النظر ليكشف لنا عن طوائف المسلمين من شغل نفسه بهذا الجانب لم نجد غير الصوفية (ص ٧٣ في التصوف والأخلاق) .

أصناف المتصوفين : يمكننا أن نقسم الصوفيين إلى قسمين :

١ - قسم فهم الإسلام فهماً سليماً ، وسلك الطرق المشروعة لتهذيب النفس وتزكيتها ، وأخذ نفسه بالعزيمة القوية في العبادات والطاعات ، والتزموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسلكوا الطريق إلى الله دون شطط أو ابتداع أو تطرف ؛ فكانوا منارات هدى ، وأئمة دين ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

٢ - وقسم أخذ بظاهر الطريق ، وابتعد عن الجوهر ، وأغرقوا في تصوراتهم ، واشتطوا في تأويلاتهم ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشغلوا فراغهم بالأذكار والألحان والولائم ، ووقعوا في تجاوزات ومخالفات شرعية سنتعرض لتوضيحها قياماً بواجب النصيحة لله ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله .

☆ ☆ ☆

شطحات بعض المتصوفين

١ ـ المعرفة والتأويل الرمزي والإشراقي :

يرى بعض المتصوفين أن التصوف إلى جانب كونه سلوكاً في الحياة فهومنهج في المعرفة ، أساسه التأمل الباطني ، والمجاهدة الروحية ، وبذلك يكونون قد أضافوا إلى مناهج المعرفة ونظرياتها لوناً جديداً في المعارف يعتمد على الإلهام والكشف .

إن أول من نادى بهذه الفكرة أبو الفتوح يحي بن حبش الملقب بشهاب الدين السهروردي ولد عام ٥٤٩ هـ في ميدا القديمة الواقعة شمال غرب إيران بسهرورد .

ويذهب كوربان إلى أن مذهب السهروردي مركب من عناصر متباينة معقدة أساسها الجمع بين الغنوصية والأفلاطونية ، وديانات الفرس القديمة ، ومذاهب الصابئة في الكواكب والنجوم ، وهو على ما يبدو يجمع بين الحكمة الشرقية والمشرقية المثلة في ديانات الفرس القديمة ، ومذهبها في ثنائية الوجود (النور والظلمة) وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية المحدثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر . يقول الشيرازي في الأسفار الأربعة عنه (شيخ أتباع المشرقين والمحيي رسوم الفرس في قواعد النور والظلمة) ويصف السهروردي أصحاب الفلسفة الإشراقية بقوله : (قوم ما وقفوا عند العلم الرسمي بل جاوزوه إلى العلم الحضوري الاتصالي الشهودي) عن الحكمة المشرقية .

هذه المعرفة لا يمكن اكتسابها بالعقل والرؤية ، أو البحث النظري والتفكير المجرد ، بل لابد لاكتسابها من سوانح نورانية . يلقيها النافث

القدسي في روح المتأله ، تكون منبئا لأصول الفلسفة الإشراقية . فإذا ما تجردنا من الملذات الجسمية تجلى لنا نور إلهي لا ينقطع مدده عنا ، هذا النور هو الواهب لكل الصور ، ومصدر النفوس على اختلافها ، ويسمى الروح المقدسة أو بلغة الفلاسفة العقل الفعال) عن هياكل النور للسهروردي . ويقول السهروردي في عواف المعارف ص ٣٨ : (إن التفسير المألوف المعتمد على المأثور لا يتسع المجال فيه إلا للقول المنقول عن رسول الله وصحابته من بعده ، أما التأويل فتمتد العقول فيه بالباع الطويل) . يقول نيكلسون في كتابه في التصوف الإسلامي : استطاع الصوفيون ـ متبعين في ذلك الشيعة ـ أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً يلائم أغراضهم . على أن كل آية بل كل كلمة في القرآن تخفي وراءها معنى باطناً لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات وجدهم . وزعموا أن الوقوف على ظاهر نصوص الشرع حجاب يمنع الوصول إلى حقائق الأمور . آخذين برأي الأفلاطونيين الذين يرون أنه ليس في الألفاظ إلا ظلالاً شاحبة للحقيقة المجردة . ويؤكد ذلك السهروردي بقوله : إمام أهل الحكمة رئيسنا أفلاطون . لذا كان شعارهم حدثني قلبي عن ربي .

ولقد استنكر عليهم العلماء أن يكون الإلهام سبباً في المعرفة ؛ لأنه لو تقرر ذلك لبطل القياس بالعقل وانتهى الاستنباط . يقول أبو منصور الماتريدي الحنفي : السبل التي يوصل بها إلى العلم بحقائق الأشياء هي العيان والخبر الصادق عن الرسول المعصوم عن الخطأ في التبليغ عن ربه ، والنظر المبني على الاستدلال العقلي : والقياس والبرهان . سئل سري السقطي عن أهل التصوف فأجاب التصوف اسم لثلاثة معان هي :

١ ـ الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه .

٢ ـ ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة .
٣ ـ ولا تحمله الكرامات على هتك ستار محارم الله تعالى .

فلو أن كل عارف كشف عن باطن الآيات بشكل يخالف فيه بقية العارفين لأصبح الدين الواحد أدياناً ، وأصبح الحق أهواء لذا قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي » يقول الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى في رسالة التعاليم : القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف .

٢ ـ إسقاط التكاليف الدينية عن الواصلين :

يقول الدكتور عرفان فتاح : ظهرت هذه الدعوة في الفكر الإسلامي ـ بادىء الأمر ـ عند غلاة الشيعة ممن استباحوا لأنفسهم التحرر من سلطان الشريعة ، ومن القانون الديني والأخلاقي ، والنزوع إلى الإباحية والإلحاد . وهي نزعة ربطها بعض الكتاب أمثال الأشعري والبغدادي والشهرستاني في ديانات الفرس القديمة مثل المزدكية والزروانية .

(فالمعمرية) مثلاً هم فرقة من الخطابية استحلوا الزنا وسائر المحرمات وتركوا الصلاة وتأولوا على ما استحلوا قول الله تعالى : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم** ﴾ . كما استحل (الجناحية) المحرمات بتأويلهم الآية الكريمة ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا** ﴾ (وقد اعتبر البيروني هذه الدعوة من أخص خصائص طريقة باتنجل الهندية .

وقد سرت هذه النزعة على بعض غلاة الصوفيين فزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ، ولا تلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده (عن مقالات الإسلاميين) وزعم قوم أن المحظور على غيرهم من المحرمات مباح لهم إذا بلغوا درجة

الولاية - المنزلة الخاصة - وتأولوا لذلك قوله تعالى : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ (فإذا وصل اليقين سقطعت عنه التكاليف . مع أن العلماء فسروا اليقين بالموت ، غير أن بعض المتهاونين في أحكام الشرع سولت لهم أنفسهم هذا التفسير الخاطىء الجافي لسنة رسول الله ﷺ حيث يقول : « إني لأتقاكم لله وأكثركم خشية له » متفق عليه . هذا شأن رسول الله وحبيبه الذي أوصانا الله بالاقتداء به بقوله ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ (كان من أعبد الناس ، وأكثرهم ذكراً ، مع أنه من العارفين الواصلين . لقد أشفق المسلمون عليه من كثرة عبادته ، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فأجابهم بقوله « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

٣ - وحدة الوجود :

يقول الدكتور عرفان فتاح : ومذهب الوحدة المطلقة لم يكن له وجود في الإسلام بصورته الكاملة قبل ابن عربي ؛ فهو الواضع لدعائمه ، والمؤسس لمدرسته ، والمفصل لمعانيه ومراميه .

فقد قرر المذهب في صورته النهائية ، ووضع له مصطلحاً صوفياً كاملاً استمده من كل مصدر وسعه أن يستمد منه ، كالقرآن الكريم والحديث وعلم الكلام والفلسفة المشائية والأفلاطونية الحديثة ، والغنوصية المسيحية والروائية فلسفة فليون اليهودي . كما انتفع بمصطلحات الإسماعيلية الباطنية والقرامطة وإخوان الصفا ، ومتصوفه الإسلام المتقدمين عليه ، وادعى كرومر ربط هذا القول بأصول بوذية ، كما ادعى ميركس نسبته إلى أصول يونانية في الصميم ، وأنها مستمدة من كتابات ديوثبسيوس الأربوفاغي .

لقد عرف الفكر الفلسفي صورتين لمذهب وحدة الوجود :

أ - أولاهما مادية بحتة فيها تغدو الألوهية اسماً بلا مسمى ؛ لأنها تحصر فيما

يتناوله الحس ، وتقع عليه التجربة ، ويصبح العالم المادي هو الكل الواحد الحقيقي ، ولا شيء سواه وتعرف هذه الصورة باسم ـ نيتير اليزم ـ.

ب ـ وثانيتهما : روحانية خالصة تنكر العالم الظاهر ولا تعترف بالوجود الحقيقي إلا الله تعالى الحق . أما الخلق فظل للوجود الحق ، ولا وجود لهم بذاتهم . وهكذا نسب إلى ابن عربي ما يلي :

(إن الله هو الطبيعة ، وهو الجامع لكل شيء في نفسه ، والحاوي لكل الوجود الظاهر بصورة كل موجود ، يرى في كل صور وأشكال الموجودات ، ويصير وجودها كوجود الظلال بالنسبة لأشخاصها ، وكصور المرايا بالنسبة للمرئيات وبهذا لا يكون للعالم المادي وجود منفصل بذاته ، فهو إما وجود وتجليات عقلية للجوهر الكلي أو صفات وأحوال للكل الإلهي الواحد . وتغدو الألوهية الحقيقة الكلية المطلقة الأزلية الأبدية التي تستوعب الكون كله فكل الأشياء في العالم واحد والله هو الكل في الكل وتعرف هذه الصورة باسم أكوسميزم) .

كما نسب إلى ابن عربي في فصوص الحكم : (وقد ثبت عند المحققين أن ما في الوجود إلا الله ، ونحن وإن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به ، فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق ، والوجود والحق واحد وليس ثم شيء حوله مثل ، لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان) . ويقول : سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها . وبناء على ذلك فليس ثمة خلق ولا وجود ولا عدم بل فيض وتجل . والكائنات كلها تخضع للقانون العام ، فلا حساب ولا مسؤولية ولا مدلول للطاعة أو المعصية ، ولا للثواب أو العقاب فالكل في نعيم مقيم ، والفرق بين الجنة والنار في المرتبة . ورحمة ربك وسعت كل شيء وبهذا تسيطر فكرة الجبرية على الوجود كله ؛ فتتعطل إرادة الإنسان ، ويسقط الإلزام الخلقي ، وترتفع المسؤولية الأخلاقية بزوال ركنيها

العقل والحرية ، وفي ذلك إسقاط لإنسانية الإنسان .

٤ ـ **الحلول** : هي امتداد لفكرة وحدة الوجود قال به الحلاج ، يقول عنه ابن النديم : إنه كان رجلاً محتالاً مشعبذاً ، يتعاطى مذاهب الصوفية ، ويتحلى ألفاظهم ، ويدعي كل علم . يظهر مذاهب الشيعة للملوك ، ومذاهب الصوفية للعامة . يدعي أن الألوهية قد حلت فيه ، وأنه هو تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . يقول عنه ابن خلكان : إن الإمام الجويني إمام الحرمين كان يذمه ويقول : اتفق هو والجنابي وابن المقفع على إفساد الناس ، تفرقوا في البلدان ، فكان الجنابي في هجر والبحرين ، وابن المقفع في بلاد الترك ودخل الحلاج العراق (عن البداية والنهاية) وكان ابن العماد الحنبلي في شذراته يؤكد الصلة بين الحلاج والقرامطة ، فيذكر أن الحلاج لما أدخل بغداد عام ٣٠٠ هـ مشهوراً على جمل علق مصلوباً نودي عليه أن هذا من القرامطة فأحرقوه ، ويرى نيكلسون أن السبب الرئيسي في صلب الحلاج اتهامه أنه كان يدعو سراً إلى مذهب القرامطة الذين أغاروا بعد تسع سنين على مكة وسرقوا الحجر الأسود .

يقول الحلاج : إن من هذب نفسه في الطاعة وصبر على اللذة وصفا حتى لا يبقى فيه شيء من البشرية حل فيه روح الله ، كما حل في عيسى عليه السلام ، ولم يرد شيئاً إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله لذا قال : أنا الحق . وما في الجبة غير الله ، ولقد زعم الحلاج لنفسه الخلود . روى الخطيب البغدادي ونقل عنه ابن كثير أن الحلاج قال باتحاد اللاهوت مع الناسوت ، أو الروح الإلهي بالروح الإنساني .

قال لأصحابه مرة وهو مريض : لا يهولنكم هذا الأمر ـ يعني الموت ـ فأنا عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً . وقد سبقته إلى ذلك غلاة الشيعة فزعموا أن الإمام من آل البيت لا يجوز عليه الموت ، كما زعم النادوسية أن جعفر بن محمد

الباقر لازال حياً .

كما قال عبد الله بن سبأ : إن سيدنا عليا في السماء وأنه لم يمت . كما قالت بعض فرق النصارى بالموت الظاهري كالدوسينيون وقال ابن خلدون : إن قول الغلاة بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه صلوات الله وسلامه . كما لاحظ نيكلسون بأن الحلاج كان يعتقد بأن الولي المتحد بذات الله هو أسمى مقاماً من النبي الذي بعث برسالة خارجية . من أقوال الحلاج : (يعني هو وذات الله) .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدناً
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

لقد استنكر علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة هذه الأفكار الدخيلة على الإسلام ، وقالوا بكفر المؤمنين بها ، وهذا ما أودى بحياة الحلاج والسهروردي . كما تصدوا للرد على هذه الأفكار الشاذة ؛ فألف حجة الإسلام أبو حامد الغزالي كتابه المنقذ من الضلال في الرد على هذه الأفكار المغرقة في التطرف ، ولئن رفض بعض المتصوفين هذا الحكم على غلاتهم القائلين بوحدة الوجود ، وفلسفوا هذه الفكرة بأنها تفسير لكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الكفر ، إلا أنني لا أرى أن هذه التبريرات تسوغ لهم الخروج على إجماع أهل السنة والجماعة ، ومناداتهم بأفكار لم يقل بها أحد من سلفنا الصالح ، والتي قد تؤدي بالكثير من العوام إلى الكفر ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » .

☆ ☆ ☆

تجاوزات بعض المنتسبين إلى الصوفية

١ - من المنتسبين للصوفية في عصرنا الحاضر من **يبقى كل حياته مشغولاً بإصلاح القلب وسلامته** . كما يبقى بعض مدعي السلفية طول حياته مشغولاً بتصحيح العقيدة ومحاربة المذهبية سواء بسواء ، غافلين عما يدبر للقضاء على الإسلام من مكائد ، متشاغلين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعن التعاون لتحكيم شرع الله ، لأن ذلك في نظرهم سياسة ، والسياسة محرمة على الصوفيين ، لأن قلبهم مشغول بالله والمشغول لا يشغل ، ولا أعلم ما فائدة انشغال قلوبهم بالله إذا لم تستجب لأمر الله ؛ فتهتم بأمر المسلمين ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم . ترى ماذا يريد أعداء الإسلام منا أكثر من أن ننشغل بالعبادة والذكر ، وندع لهم تصريف شئون الحياة حسب أهوائهم ، لذا نرى المتسلطين من أعداء الإسلام يحاربون دعاة الإسلام ، ويشجعون مشايخ الطرق . وإنصافاً للحقيقة أقول : إن الفاهمين لحقيقة التصوف لم يقصروا في الدفاع عن السلام في الماضي يقول ماسينيون : (بحق إن الإسلام لم ينتشر في الهند بواسطة الحروب بل انتشر بواسطة الصوفية كما يرجع إليهم الفضل في المصالحة بين الطوائف الكبرى) كما وإن انتشار الإسلام في أفريقيا السوداء جنوبي الصحراء إنما يرجع الشطر الأكبر إلى الفرق الصوفية كالتيجانية والسنوسية والشاذلية ، ولقد كان للصوفيين مراكز للمرابطة في سبيل الله ، يعيشون فيها متطوعين للدفاع عن الثغور الإسلامية يتزودون فيها بالزاد الروحي والتدريب العسكري ، حتى إذا دعا الداعي للجهاد هبوا للدفاع عن وطنهم الإسلامي الكبير وما عبدان والرباط إلا بعض هذه الرباطات التي رابط فيها أمثال مقاتل بن سليمان وحماد بن سلمة وبشر الحافي رحمهم الله جميعاً . فحبذا لو تأسى المتأخرون بسلفهم من الصوفيين الأوائل .

٢ ـ كثيراً ما يتساهل بعض المحسوبين على التصوف في التزام أحكام الشرع ، لذا نذكّر السالكين بالتزام الإسلام ، والوقوف عند حدود الشرع حتى يكونوا من المقبولين عند الله تعالى كما لا يجوز للشيخ أن يسمح للمريدة بالسفر من بلد إلى بلد لحضور الحضرة دون محرم ، ولا أن تذهب إلى الذكر دون إذن وليها ، كما لا يجوز للشيخ ـ مهما بلغ من صلاح ـ أن يلتقي بمريدة وحدهما ففي الحديث « ما اجتمع رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » إذ لا فائدة من العبادة والذكر إذا بنيت على مخالفة الشرع ، وتجاوز حدود الله تعالى . كما لا يجوز له أن يوصلها بسيارته إلى بيتها بعد منتصف الليل إلا ومعه محرم ، ولا يعطيها العهد أو الطريقة ، فقد استنكر الشيخ محمد الغمري على المطاوعة (المشايخ) وفقراء الأحمدية الذين يأخذون العهد على النسوان ، ويصير أحدهم يختلي بهن في غيبة أزواجهن وتقول له يا أبي ويقول لها يا بنتي ، وقال : إن ذلك خارج عن قواعد الشريعة ، وإن من استحل ذلك أخطأ مستدلاً بالآية الكريمة ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ ﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** ﴾ ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه .

٣ ـ طلع علينا بعض المندسين في صفوف المتصوفة **بفكرة الإخلاء والإملاء :** ومفادها أن القلب المليء بالذنوب والمعاصي لا يدخله نور الله قبل إخلائه من ظلمات المعاصي ـ لذا فما على الراغب في السير إلى الله إلا أن يعترف للشيخ أو نائبه ، فيخلوا قلبه بهذا الاعتراف من المعاصي ، ويصبح مستعداً لتقبل نور الله تعالى . وهذه لعمري مخالفة شرعية ومكيدة شيطانية . إذ لا يجوز هتك ستر امرىء مسلم بكشف معاصيه ؛ لأن الله لا يحب أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين . وأما الهدف الشيطاني من ورائها فهو أخذ مثالب على المريد أو المريدة حتى إذا ما فكر أحدهم بترك الشيخ هدده بنشر أسراره ، فيضطر

للاستمرار معه وينحرف به إلى حيث يشاء ، ألا فليتق الله أصحاب هذه الفكرة الخبيثة ، وليعلموا أنه من ستر مؤمناً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن فضح مؤمناً فضحه الله ولو كان في جوف رحله .

٤ ـ **تجاوز حدود الأدب والطاعة مع الشيخ** : يقيم بعض المشايخ المحسوبين على الصوفية مراسم للاجتماع بهم ما سمعنا بها في تاريخ الصدر الأول من الإسلام . يدخل المريد على الشيخ فينحني له منكباً على يدي الشيخ لتقبيلها ، ثم يرجع إلى الوراء منتصباً حتى إذا ما أذن له بالجلوس جلس بين يدي الشيخ كما يجلس في التشهد بين يدي الله تعالى . فإذا ما استأذن للخروج قبّل يد الشيخ ورجع القهقرى وجهه للشيخ وظهره إلى الباب ، حتى إذا ما خرج من حضرة الشيخ انفتل وعاد إلى وضعه الطبيعي ، وإذا سار الشيخ سار مريدوه خلفه على بعد خطوتين ، مع أن رسول الله ﷺ نهى عن سير أحد خلفه تواضعاً لله فقال : « خلو ظهري للملائكة » وإذا ركب طلب من مرافقه أن يركب خلفه أو أن يسبقه إلى مكان محدد يقول السهروردي : ينبغي للمريد أنه كلما أشكل عليه من حال الشيخ شيء أن يذكر قصة موسى مع الخضر الذي علم من الأسرار ما خفي على سيدنا موسى عليه السلام .

أما الطاعة عندهم فهي طاعة عمياء يتدخل الشيخ حتى في قضاياهم الشخصية ، أما شعاراتهم في ذلك (ما أفلح مريد قال لشيخه لِمَ) (يجب على المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل) (لا يجوز أن يتردد المريد إذا طلب إليه شيخه تطليق زوجته) وهكذا مع أن الطاعة في الإسلام طاعة مبصرة وطاعة بالمعروف . ولا مانع من أن يستشار الشيخ في بعض القضايا ، على أن يكون للمريد الرأي الأخير بعد تمحيص الآراء ودراستها والمفاضلة بينها .

٥ ـ **تجاوزات في هيئة الذكر** : ينتظم الذاكرون في حلقات ، حلقة الشيخ

في الوسط . وما أن يطل الشيخ بطلعته البهية حتى يهب كل من بالمسجد واقفاً ، فإذا أخذ الشيخ مكانه في صدر الحلقة ، وأشعرهم بابتداء الذكر بدأ الجميع بالتمايل والذكر الهادىء على إيقاع صفقات الشيخ ، أو من ينوب عنه ، وبدأ صوت المنشد العذب يتمازج مع همهمات الذاكرين وكأن الجميع في حلقة رقص السماح وبتزايد سرعة الصفقات يزداد الوجد والهيام ، وقد يشتد الوجد بأحدهم فيصرخ من قحف رأسه :

الله هو حي ـ وقد يصرخ بالفارسية ـ واستيكاناً ـ كلمات لا يفهم معناها . وقد يتظاهر بالغيبوبة فيباغت أحدهم بارتمائه عليه وقد يصفع أحدهم صفعة يتطاير الشرر من عينيه على أثرها ، فيضطر ذلك للرد عليه بالمثل . وقد يرتمي على الأرض وهو يرتجف بحالة تشنجية من شدة الوجد حتى إذا باركه الشيخ عاد إلى وضعه السوي . وقد يفتل وسط المتحلقين ـ كالصياح ـ على قدم واحدة . كل ذلك طبعاً حباً في الله وشوقاً إليه ؟؟ والأغرب من هذا أنهم يبررون فتلتهم هذه بانفتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين أبلغه رسول الله ﷺ رضاء الله عنه . أنها السعادة الكبرى يغيب فيها المرء عن واقعه ويعيش في نشوة السعادة ، وقد يقوم ببعض الحركات يعبر بها عن سعادته ، ولكن أبا بكر رضي الله عنه لم يكررها ، ولم يتخذها عادة كبعض عادة المدعين.اليوم لأنه يعرف أن أفضل الذكر الخفي وأن القلب المتصل بالله ساكن وقور .

٦ ـ الأولياء والكشف والكرامات :

الكشف والكرامات والرؤيا الصالحة ليست هدفاً للصوفي بحد ذاتها ، ولكن حصولها دليل على صحة الطريق ، وبشارة على قبول الله تعالى لمن أخلص السير إليه .

أما أدلة القائلين بالكرامات فتتلخص بما يلي :

أ ـ أن الله كشف عن بصيرة السيدة مريم العذراء الصالحة الصديقة فتمثل لها الملك بشراً سوياً وبشرها بسيدنا عيسى عليه السلام .

ب ـ مر رسول الله ﷺ مع أصحابه في بقيع الغرقد وأنبأهم بعذاب اثنين في قبرهما أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة . وقال لأصحابه ولولا تمرغ قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع (رواه أحمد) فهذا يدل على إمكانية الكشف لو زال المانع .

جـ ـ روى البخاري عن أسيد بن حضير « بينما كان يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت فقرأ فجالت ، فسكت فسكتت ، ثم قرأ فجالت ، ثم انصرف وكان ابنه يحي قريباً منه فأشفق أن تصيبه ، ولما أخره رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال : وتدري ما ذاك قال : لا والله ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى عنهم » وفي ذلك إكرام من الله لأُسيد برؤية الملائكة .

د ـ روى ابن الجوزي في كرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أسامة ويعقوب عن نافع مولى ابن عمر وعن ابن عمر أنه بينما كان يخطب الجمعة فصاح « ياسارية بن زنيم الجبل ياسارية بن زنيم الجبل ظلم من استرعى الذئب الغنم » فجاء كتاب سارية إلى عمر بن الخطاب أننا نصرنا يوم الجمعة ـ ساعة ناداه عمر ـ على بعد مئات الأميال فقال : سمعت صوتاً ياسارية بن زنيم الجبل ظلم من استرعى الذئب الغنم ، فعلوت بأصحابي الجبل ونحن قبل ذلك في بطن الوادي ، ونحن محاصروا العدو ففتح الله علينا . والآثار في ذلك كثيرة .

أما ما يراه بعض المتصوفة من أن كشف ما وراء الغيب ثمرة من ثمرات مقام المعرفة ، وأن الكرامة جاهزة تحت إبطه يظهرها متى شاء فذلك ما يتعارض مع نصوص كتاب الله وسنة رسوله .

يقول تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ روى سالم عن عبد الله عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال : (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وقرأ سورة لقمان ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ (آية : ٣٤) .

ومن المفيد في هذا الباب أن نسمع رأي الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى إذ يقول :

١ ـ للإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٢ ـ التمائم والرقي والودع والرمل والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة .

٣ ـ ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ .

والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع الاعتقاد أنهم ـ رضوان الله عليهم ـ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً في حياتهم ولا بعد مماتهم ، فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم . انتهى رأي البنا رحمه الله تعالى .

وهناك ظاهرة ألبست لباس التصوف ولابد أن نعرج عليها وهي ظاهرة ضرب الشيش وهو جسم حديدي مدبب الرأس يضرب به (من أخذ الطريقة) جسمه في المناطق الحساسة دون أن يصاب بأذى ، وقد يدوس على النار ، أو يأكل الزجاج المحمي ، وهذه خاصة باتباع الطريقة الرفاعية ، وقد كثرت التعليلات لهذه الظواهر ، فمن قائل عنها سحر أو رياضة روحية ، كما يفعل فقراء الهنود ولكن الرأي الراجح أنه ليس لها تعليل شرعي أو علمي ويقولون : إن صدرت عن تقي فهي كرامة له ، وإن صدرت عن عاص فهي استدراج . بدليل قوله تعالى : ﴿ **من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا** ﴾ ويقول الإمام المجدد الشيخ أحمد السرهندي في رسالته إلى الأنجال : إن حصول التصفية والتزكية مرتبط بأداء الأعمال الصالحة التي تكون لرضاء الله تعالى وهذه موقوفة على بعثه الأنبياء ، وأما الصفاء الذي يحصل عليه أهل الفسق والكفر فهو في الحقيقة صفاء النفس وليس بصفاء القلب ، وصفاء النفس لا يقودها إلى الضلال والخسران . وفي حالة صفاء النفس هذه ما يحصل لأهل الكفر والفسق من كشف لبعض الأمور الغيبية فإنه استدراج ، فيجب أولاً تصحيح العقائد وتعلم الأحكام الفقهية ، والفرائض والحلال والحرام ، ثم إن شمل المرء التوفيق الرباني بسلوك طريق الصوفية فتحصيلاً لليقين والاطمئنان وتسهيلاً للأعمال الصالحة وطرد الكسل الناتج عن النفس الأمارة بالسوء ، يقول الجنيد رحمه الله تعالى : كل طريق مسدود إلا من مشي مقتفياً خطى رسول الله ﷺ (الفتوحات المكية) إنه من لم يطع أمر الله فلا مقام له عند الله ، وإن الله لم يتخذ ولياً جاهلاً .

المعتدلون من الصوفيين والسلفيين ينهلون من معين واحد :

إن ما نسب من كفر لبعض كبار رجالات التصوف لم يصل في نسبته إليهم درجة اليقين كما وأن امتداح السلفيين لكبار المتصوفين مما يعزز هذا الرأي

لأنه يستحيل عليهم أن يمتدحوا مبتدعاً أو مشكوكاً في عقيدته . لذا فالأسلم لنا عدم التسرع بتكفير أحد وندع أمرهم إلى الله وقد أفضوا إلى ما قدموا :

أ ـ يقول الإمام النسائي صاحب السنن أن (ابن أدهم) (ثقة ، مأمون ، أحد الزهاد) والنسائي في علم الرجال حجة يميل إلى التشدد في توثيقهم .

ب ـ أما الفضيل بن عياض صاحب كتاب التهذيب فيقول فيه أمير المحدثين عبد الله بن المبارك : (أما أورع الناس ففضيل) ويقول فيه الدارقطني : (إمام بغداد ثقة) .

جـ ـ أما الجنيد فيقول فيه ابن تيمية : (كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة إمام هدى) .

د ـ ويقول ابن تيمية عن الشيخ عبد القادر الجيلاني : من أعظم مشايخ زمانه أمراً بالتزام الشرع وترك الهوى . أما أراؤهم بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنبع من مشكاة واحدة هي مشكاة النبوة الصادقة :

أ ـ يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في فتوح الغيب : الفائز من اختاره الله وجعله جهبذاً وداعياً للعباد ونذيراً لهم وحجة فيهم هادياً مهدياً . ويقول : (إذا صلح قلب العبد للحق عز وجل وتمكن من قربه أعطي المملكة والسلطنة في أقطار الأرض ، ويسلم إليه نشر الدعوة في الخلق والصبر على أذاهم ، ويسلم إليه تغيير الباطل وإظهار الحق) هذه هي الغاية القصوى من بني آدم لا منزلة تفوق منزلته إلا النبوة .

ب ـ يقول ابن تيمية في شرح الآية الكريمة : ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم** ﴾ قالت طائفة من السلف يدخل فيه من آمن وهاجر واجتهد إلى يوم القيامة .

جـ - ويقـول ابن القيم في مفتـاح دار السعـادة تعقيبـاً على كـلام الحسن البصري : فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد .

د - يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رسـالتـه التحفـة العراقيـة : إن أعمـال القلوب من أصول الإيمان وقواعد الـدين ، وهي مثل محبـة الله تعـالى ورسولـه ﷺ . والتـوكل والإخـلاص والشكر والصبر والخـوف والرجـاء ، وقـد اتفقت الأئمة على أن هـذه الأعمـال كلهـا واجبـة على جميع الخلق وأن النـاس في هـذه الأعمال أيضاً على ثلاث درجـات : ١ - ظـالم لنفسـه . ٢ - مقتصـد . ٣ - سابق بالخيرات ، وقال : إن المقتصد والسابق بالخيرات من أولياء الله الـذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .

فأولياء الله هم المتقون وهم صنفان : خـاص وعـام فـالعـام هم المقتصـدون ، والخاص هم السابقون في الخيرات .

يقـول الإمـام المجدد السرهنـدي : الشريعـة ثـلاثـة أجـزاء : العلم والعمـل والإخلاص ، وما لم تتحقق هذه الأجزاء الثلاثة لا تتحقق الشريعـة والطريقـة والحقيقـة التي امتـاز بهـا الصوفيـة ، كلاهمـا تعملان لتكميل الجـزء الثـالث من الشريعـة أي الإخلاص إذاً فـالغرض من تحصيلهـا مـا هو إلا تكميل للشريعـة وليس أي أمر آخر على الإطلاق ، وإن الشريعة كفيلة بجمع العادات الدنيوية والأخروية ، وإن الطريقة والحقيقة خادمة للشريعة .

وخلاصة القول : أن المسلم الصـادق إذا درس حقـائق الإسلام ولم يتقعر في فهمها ، ولم يطلق العنان لفكرة في معـانيهـا ، ولم يجمـد عنـد حرفيـة النص ، ووقف عنـد حـدود فهم السلف الصـالـح ، ولم يخرج عن اجتماع آرائهم : فـلا يمكن لـه أن يتطرف أو يشـذ ، سـواء كان صـوفيـاً أم سلفيـاً ؛ لأن الصـوفي المعتـدل أعطى الأولـويـة في اهتمامـه لتهـذيب النفس دون إهمـال الجـوانب الأخرى ، والسلفي المعتدل أعطى الأولوية بتمحيص النص دون إهمال الجوانب

الأخرى كما اتضح لنا من تشابه آرائهم .

نسأل الله أن يجعل لنا فرقاناً ، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

السلفية

مخطط البحث

١ ـ تعريف السلفية والسلف .

٢ ـ مدلولها قديماً وحديثاً ـ مناهجهم ـ آراؤهم في التوحيد والعبادة .

٣ ـ أصناف مدعي السلفية في العصر الحديث .

٤ ـ لمحة عن أسباب الخلافات الفقهية .

٥ ـ ما يؤخذ على أسلوب المتطرفين من مدعي السلفية :

ـ عدم احترام الرأي المخالف .

ـ التصريح بتكفير المسلمين .

ـ إثارة مواضيع الخلاف .

ـ الخروج على إجماع السلف والخلف .

ـ محاربتهم أتباع المذاهب ودعوتهم عامة المسلمين إلى الأخذ من السنة مباشرة.

مراجع البحث

١ ـ السلفية في المجتمعات المعاصرة — د . محمد فتحي عثمان

٢ ـ الإنصاف في أسباب الاختلاف — ولي الله الدهلوي

٣ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام — ابن تيمية

٤ ـ السعوديون والحل الإسلامي — جلال كشك

٥ ـ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف — د . يوسف القرضاوي

٦ ـ مشكلات في طريق الحياة الإسلامية — محمد الغزالي

٧ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية — الإمام أبو زهرة

٨ ـ مجموعة الرسائل الكبرى — ابن تيمية

٩ ـ عقيدة السلف أصحاب الحديث — إسماعيل صابوني

١٠ ـ مجموعة الرسائل — حسن البنا

السلفية والسلفيون

السلفية :

هي رجوع إلى هدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة . ويعرفها الدكتور فتحي عثمان بأنها : التوحيد الخالص الذي جاء به رسل الله وأنبياؤه جميعاً . وهي الحنفية : ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ومن ثم كانت كل دعوة مخلصة إلى تجديد أمر هذا الدين تلح على توثيق عرى المؤمنين بمصدريه الخالدين كتاب الله وسنة رسوله . ويعرفها الشيخ محمد الغزالي بقوله :

السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون ، وتعمق ولاءها لكتاب الله وسنة رسوله ، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية ، لإعلاء كلمة الله دون النظر إلى عرق أو لون .

ودعوة السلف دعوة قديمة تصدت للرد على الفرق الفلسفية المنحرفة ؛ فدونت كتب التوحيد لأهل السنة والجماعة رأيين رأي السلف ورأي الخلف .

والسلف الصالح : هم صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان ، وتابع التابعين . وقد استند بعض العلماء في هذا التصنيف إلى الحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ثم ظهرت هذه الدعوة على أيدي بعض المصلحين والمجددين أمثال الطحاوي وابن تيمية ، وأخذت شكلها المنظم في العصر الحديث على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والذي قامت دعوته في الجزيرة العربية على عاملين اثنين :

أولهما : ترسيخ عقيدة التوحيد وتنقيتها من الشوائب .

ثانيهما : محاربة البدع ومظاهر الشرك المتفشي بين جهال المسلمين

كنذرهم للأولياء ، وتقديم الأضاحي لهم ، ودعوتهم من دون الله ، وتمسحهم بقبور الصالحين منهم .

تلك هي مشاكل العصر الذي عاشه محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وتلك محاولات الإصلاح فيه ، والتي تصدى لها الشيخ محمد بالنصح والإرشاد تارة ، وبقوة السلاح تارة أخرى حين دعمه سلطان السعوديين ، وها هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعرف بدعوته في كتاب أرسله إلى السويدي عبد الرحمن بن عبد الله عالم العراق قال فيه : (واخبرك أنني والحمد لله متبع ولست مبتدعاً . عقيدتي وديني الذي أدين به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة . لكنني بينت للناس إخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به ؛ من الذبح والنذور والتوكل والسجود وغير ذلك مما هوحق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، والذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، والذي عليه أهل السنة والجماعة) .

منهاجهم :

يلخصه ابن تيمية بقوله : إنه لا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً واستدلالاً إلا من نصوص القرآن الكريم والسنة المبينة لها . وإنه ليس للعقل سلطان في تفسير القرآن وتأويله إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات وما تضافرت عليه الأخبار ، وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو في التصديق والإذعان ، وتقريب المنقول من المعقول ، وعدم المنافرة بينهما .

آراؤهم في التوحيد :

يرى ابن تيمية أن مذهب السلف هو إثبات كل ما جاء في القرآن الكريم من فوقية وتحتية ، واستواء على العرش ، ووجه ويد ومحبة وبغض وما جاء في السنة من ذلك أيضاً من غير تأويل ولا تعطيل ، ويوضح ذلك في مجموعة الرسائل الكبرى ص ٩٣ فيقول : (ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل ، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، ولا ذاته بذوات خلقه . ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، أو وصف به رسوله . ويقول : وليس أحد من السلف أو من الصحابة أو من التابعين يخالف ذلك نصاً ولا ظاهراً . لم يقل أحد منهم أن الله ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه في كل مكان ، ولا أن الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه داخل العالم ، ولا أنه خارجه ، ولا متصل به ، ولا منفصل عنه ، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها) .

ويرد على ذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ العقائد الإسلامية ص ١٩٣ فيقول :

فهل هذا حقاً هو مذهب السلف ؟ ونقول في الإجابة على ذلك : لقد سبقه بهذا الحنابلة في القرن الرابع الهجري ، وادعوا أن ذلك منهج السلف . وناقشهم العلماء في ذلك الوقت ، وأثبتوا أنه يؤدي إلى التشبيه والجسمية لا محالة ، وكيف لا يؤدي إليهما والإشارة الحسية إليه جائزة . لذا فقد تصدى لهم الإمام الفقيه الخطيب ابن الجوزي في كتابه (دفع التشبيه) فنفى أن يكون مذهب السلف ذلك ، ونفى أيضاً أن يكون ذلك رأي الإمام أحمد ، وقال : رأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ، فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد تنزلوا إلى مرتبة العوام ؛ فحملوا الصفات على مقتضى

الحس ، فسمعوا أن الله خلق آدم على صورته فأثبتوا لله صورة ووجها زائداً عن الذات ، ثم يقول : وقد أخذوا بظاهر الأسماء والصفات وسموها الصفات تسمية مبتدعة ، ولا دليل لهم في ذلك من العقل ولا من النقل ، ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل اليد على النعمة والقدرة ، والساق على الشدة ، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، والشيء إنما يحمل على حقيقته إن أمكن ، فإن صرفه صارف حمل على المجاز . وقد استتر هذا المذهب نتيجة استنكار الحنابلة له ، حتى أعلنه شيخ الإسلام ابن تيمية في جرأة وقوة .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة : إن الادعاء أن هذا المذهب مذهب السلف موضع نظر ، وقد رأينا رأي ابن الجوزي في ذلك ولنا نظرة أخرى :

وهي من الناحية اللغوية في قوله تعالى : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ و ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ (هل يفهم من هذه العبارات المعاني الحسية أم يفهم منها أمور أخرى تليق بذات الله تعالى كتفسير اليد بالقوة والنعمة ، والوجه بالذات ، وأن اللغة تتسع لهذه التفسيرات ، والألفاظ تقبل هذه المعاني ؟ ويوصلنا ذلك إلى أمور فيها تنزيه وليس فيها تجهيل .

وهذا ما يراه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه إلجام العوام عن علم الكلام) فيقول في حديث الرسول الكريم : « القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » . إن كلمة إصبعين تطلق على معنيين : أحدهما الوضع الأصلي وهو عضو من عظم ولحم وعصب ، وهذا على الله محال . وثانيهما استعارة هذا اللفظ لمعنى آخر كأن يقول : البلد في يد الأمير حتى ولو لم يكن للأمير يد .

ثم يقول الشيخ أبو زهرة : ونحن نرى رأي ابن الجوزي والإمام الغزالي ، ونرى أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفسرون بالمجاز إذا تعذر إطلاق

الحقيقة ، كما يفسرون بالحقيقة أيضاً .

بين السلف الصالح والخلف : والمعتدلون العالمون من متبعي السلف الصالح لا يرون الفجوة كبيرة بين السلف رضوان الله عليهم والخلف في هذا الموضوع للأسباب التالية :

١ ـ لاتفاق السلف والخلف على تنزيه الله تعالى عن المشابهة لخلقه .

٢ ـ كل منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص في حق الله تعالى غير ظواهرها التي وضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات . وذلك مترتب على اتفاقهما على نفي التشبيه .

٣ ـ كل من الفريقين يعلم أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجول في النفوس ، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغات مهما اتسعت لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم وحقائق ما يتعلق بذات الله تبارك وتعالى من هذا القبيل . هذا ما رآه حسن البنا رحمه الله في رسالة العقائد ويتابع الإمام رأيه فيقول : وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل ، وانحصر الخلاف بينهما في أن الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورة التنزيه إلى ذلك ؛ حفاظاً لعقائد العوام من شبهة التشبيه وهو خلاف لا يستحق ضجه ولا إعناتاً ، فقد لجأ أشد الناس تمسكاً برأي السلف رضوان الله عليهم إلى التأويل في عدة مواطن وهو الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من ذلك تأويله لحديث « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » وقوله ﷺ : « القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » ويقول الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى : ولقد رأيت للأمام النووي رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلاف حيث قال : (يجوز التأويل شرعاً وعقلاً بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين) . وخلاصة القول : إن

الخلاف بين السلف والخلف ينحصر في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع وهو أمر هين كما ترى .

أما نظرتهم إلى العبادة : فيرون أنها تقوم على أساسين هامين هما :

١ ـ عبادة الله وحده وعدم إشراك غيره معه .

٢ ـ عبادة الله بما شرع على لسان نبيه ومن هذين الأساسين يخرج ابن تيمية بما يلي :

أ ـ منع التقرب إلى الله بالصالحين من عباده وأوليائه من خلقه مستدلاً على ذلك بقوله تعالى ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى** ﴾ .

ب ـ منع الاستغاثة بغير الله تعالى ، ومنع التوسل بالصالحين من الموتى وغيرهم ، وعدم النذر إليهم ، فيقول في ذلك : (إن من يعتقد أن هذه النذور باب الحوائج إلى الله تعالى ، وإنها تكشف الفقر وتفتح الرزق ، وتحفظ المصير فهو مشرك يجب قتله) ولكن المعتدلين من السلفيين يختلفون مع الشيخ في موضوع التوسل بقول الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى : إن الدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس في مسائل العقيدة (رسالة التعليم) .

جـ ـ لا يجوز زيارة قبور الصالحين بقصد التبرك حتى ولا قبر رسول الله ﷺ بهذا القصد : ويستدل على ذلك بقول رسول الله ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

تلك لمحة عن أفكار السلفيين . أما في عصرنا الحاضر فقد أطلقت السلفية على المتحررين من المذهبية وهؤلاء على ثلاثة أقسام :

تصنيف متبعي السلف الصالح في العصر الحديث :

١ ـ قسم من العلماء المتفقهين إذا سئلوا أفتوا بالرأي الذي يغلب في ظنهم أنه أقوى حجة ودليلاً ، ولو خالفوا فيه رأي بعض الأئمة الأربعة .

وكثيراً ما يذكرون للسائل الرأي المخالف لرأيهم دون تعصب أو انتقاص من قدر مخالفيهم ، ولم يشغلوا أنفسهم بالخلافات الفقهية والأخذ والرد عليها ، وإنما انشغلوا بالدعوة إلى الله ، وبيان محاسن الإسلام على غيره من الأنظمة الوضعية ، وبالعمل على تربية جيل مسلم واعٍ ، يتحمل مسؤولية الدعوة إلى الله ، وبمعالجة مفاسد المجتمع جزاهم الله عنا وعن المسلمين كل خير .

٢ ـ وقسم ثان : لم يأخذ برأي الأئمة الأربعة بل بأدلتهم ، ويدعو من لديه الكفاءة العلمية إلى الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة ، مع تأدبهم مع الأئمة الكرام ، وهؤلاء لا بأس لمسلكهم كذلك . وعلى هؤلاء القسمين تترتب مسئولية تقويم القسم الثالث والأخذ على يده بالتخفيف من تطرفه وغلوائه .

٣ ـ القسم الثالث : شغلوا أنفسهم والمسلمين معهم بالخلافات الفقهية في فرعيات امتلأت بها بطون الكتب لم يخرجوا عنها ، ونالوا من الأئمة الكرام بشكل أو بآخر ، ودعوا عامة المسلمين إلى التحرر من المذاهب ، والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة ، وتسرعوا بالحكم على من خالفهم بالكفر تارة ، وبالشرك تارة أخرى ، وأعرضوا عن معالجة مشاكل العصر وأمراض المجتمع ، مع أنه لو كان محمد بن عبد الوهاب بين أظهرنا لما وسعه إلا أن يكون من السابقين في معالجة مشاكل العصر وبأسلوب العصر . هؤلاء الإخوة هم الذين نود أن نعالج أسلوبهم بروح المحبة والأخوة ، آملين أن يتلمسوا خطأ هذا الأسلوب ، فيرجعون عنه إلى الأسلوب الذي يوحد ولا يفرق ، ويسابق الزمن ولا يتخلف عنه .

الخلافات الفقهية :

ولابد قبل حوار هؤلاء الإخوة من ذكر لمحة عن الخلافات الفقهية وأسبابها ، حتى تكون الرؤية واضحة لا لبس فيها . إن المتتبع لنشأة الفقه الإسلامي ونشأة المذاهب فيه يدرك بوضوح أن الخلافات في الفرعيات أمر لابد منه ، وأن الإجماع على أمر فرعي متعذر ، وذلك لأسباب وجيهة لخصها الإمام ولي الله الدهلوي في كتابه (الإنصاف في أسباب الاختلاف) وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) والتي أوجزها بما يلي :

١ - **اختلافهم في الاجتهاد :** منها أن صحابياً سمع حكماً في قضية لم يسمعه الآخر ، فاجتهد الآخر برأيه فهو : إما أن يقع اجتهاده موافقاً للحديث ، أو أنهم يثبتون له حديثاً يخالف اجتهاده فيرجع عنه ، كما حدث مع سيدنا عثمان رضي الله عنه حين رجع عن رأيه في مكان المعتدة التي توفي زوجها عنها ، وأخذ بحديث الفريعة أخت أبي سعيد الخدري حيث قال لها رسول الله ﷺ « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » وإما أن لا يصل إليه الحديث أصلاً فيبقى على اجتهاده ويقع الخلاف .

٢ - **اختلافهم في توثيق الرجال :** كأن يكون الحديث قد بلغه ولكن لم يثبت عنده لضعف في أحد رجال إسناده ، وإما لأنه لم يبلغه مسنداً بل منقطعاً مع أنه وصل لغيره متصلاً .

٣ - **اختلافهم في شروط صحة الحديث :** فقد يكون المحدث بالحديث ضعيفاً عنده ، وثقة عند غيره - ومعرفة الرجال علم واسع - فيحتمل أن يكون الصواب مع من يعتقد بضعفه لاطلاعه على سبب جارح ، وقد يكون الصواب مع الآخر لمعرفته بأن هذا السبب غير جارح . ومنها أن يعتقد بأن المحدث

سمع الحديث عمن حدث عنه ، ويعتقد آخر أنه لم يسمعه عنـه . ومنهـا مـا رآه البعض بأنه لا يعتد بحديث عراقي أو شـامي ، وأن الحجـازيين وحـدهم الـذين ضبطـوا السنـة فلم يشـذ منهـا شيء ، وأنـه في أحـاديث العراقيين والشـاميين اضطراب ، مع أن الرأي الصائب (أنه إذا صح الحديث كان حجـة دون النظر إلى موطن الراوي) .

٤ - اختلافهم في خبر الآحاد : فقد اشترط بعضهم في الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره ، كأن يشترط عرض الحـديث على الكتـاب والسنـة ، واشتراط البعض بأن يكون المحدث فقيهـاً إذا خـالف قيـاس الأصول ، واشترط بعضهم انتشـار الحـديث وظهـوره إذا كان فيما تعم بـه البلـوىٰ وسبب ذلـك أن بعضهم نظر إلى صحة السند لا إلى صحة المتن ، ومنهم من نظر إلى صحـةالمتن لا إلى صحة السند .

٥ - اختلاف الفهم : ومثـل ذلـك أن يروا فعـل رسـول الله ﷺ فيحملـه بعضهم على القربة ، ويحمله بعضهم على الإباحة كالرمل في الطواف .

٦ - اختلاف التـأويل : فقـد حج رسـول الله ﷺ مفرداً ثم أدخـل العمرة فصار قارناً ، فظن بعض من شاهده أنـه كان قـارنـاً ، وظن البعض الآخر أنـه كان متمتعاً .

٧ - تفـاوتهم في السهو والنسيـان : منهـا مـا رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ اعتمر عمرة في رجب (وذلـك لبيـان فضـل العمرة في هـٰذا الشهر) فحكمت عليه عائشة رضي الله عنها بالسهو لأنهـا لا علم لهـا بهـٰذه العمرة . وقد رد بعض العلماء بأن عـدم علمهـا لا ينفي حصول العمرة . لأنـه القـاعـدة الأصولية (أن الخبر المثبت يقدم على الخبر المنفي) .

٨ - **ومنها اختلاف الضبط** : فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما « أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » فاعتبرته السيدة عائشة رضي الله عنها واهماً وقالت : غفر الله لأبي عبد الرحمن إنه وهم إن الله تعالى يقول : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ إنما قال رسول الله ﷺ « إن هذا ليعذب الآن وأهله يبكون عليه » وفسر بعض العلماء هذا الاختلاف بقوله إن السيدة عائشة اعتبرت الباء للمصاحبة (ببكاء) واعتبرها ابن عمر رضي الله عنه سببية بسبب بكاء أهله عليه .

٩ - **ومنها اختلافهم على علة الحكم** : فقد علل بعضهم قيام رسول الله ﷺ للجنازة تعظيماً للملائكة ، وعلله بعضهم لحصول الموت ، وعلل آخرون قيام رسول الله ﷺ لجنازة يهودي كراهة أن تعلو فوق رأسه .

١٠ - **ومنها اختلافهم في الجمع بين المتعارضين** : رخص رسول الله ﷺ بالمتعة عام خيبر ، ثم نها عنها ، ثم رخّص عام أوطاس ، ثم نها عنها ، فقال ابن عباس : الرخصة للضرورة ، والنهي عنها لانتفاء الضرورة ، وقال الجمهور : الرخصة إباحة والنهي نسخ لها .

أفلا ترون معي بعد هذا البيان أنه من الجهل الصراح ومن التعصب المقيت أن يقول أحد بأن الحق في هذا المجال لا يتعدد ، أو أن يقدم أحد على تسفيه رأي مخالفيه ، وأن يتهمهم بالابتداع ومخالفة السلف .

خطأ التسمية : بعد عصر التابعين حمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، أخذوا عمن اجتمعوا بهم فقه العبادات والمعاملات ، ورووا أحاديث رسول الله ﷺ ، وسمعوا فتاوى العلماء ، وكان نهجهم في ذلك موحداً :

أ ـ الاستمساك بالمسند من أحاديث رسول الله ﷺ والمسند جميعاً .

ب ـ وإذا اختلفت أحاديث رسول الله ﷺ رجعوا إلى أقوال الصحابة لمعرفة المنسوخ أو المصروف عن ظاهره .

جـ ـ وإن اختلفت مذاهب الصحابة والتابعين في مسألة فالمختار عند كل عالم مذهب أهل بلده وشيوخه .

د ـ فإن اتفق أهل البلد وعلماؤه على شيء أخذوا عليه بالنواجذ وهو الذي يقول فيه مالك : السنة التي لا اختلاف فيها عندنا كذا وكذا .

هـ ـ وإن اختلفوا أخذوا بأقواها وأرجحها ؛ إما لكثرة القائلين به ، أو لموافقته لقياس قوي ، أو تخريج من الكتاب والسنة ، وهو الذي يقول في مثله مالك : هذا أحسن ما سمعت . هذا مسلكهم في الحرص على اتباع السلف ، أما أقوالهم فإليكم بعضاً منها : روي في اليواقيت والجواهر عن أبي حنيفة رضي الله عنه قوله : لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي . وكان إذا أفتى يقول : هذا رأي النعمان بن ثابت وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

وكان الإمام مالك رضي الله عنه يقول : ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ . ولقد شاور هارون الرشيد الإمام مالكاً أن يحمل الناس على مذهبه فأبى ، وروى الحاكم والبيهقي عن الإمام الشافعي قوله : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، ولقد كان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول : ليس لأحد مع الله ورسوله كلام يقول الإمام الشافعي أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس .

بعد أن عرفنا أقوال الأئمة الكرام ومنهجهم في اتباع السنة والسلف الصالح ، وإذا عرفنا أن اثنين منهم من السلف الصالح والتابعين (أبا حنيفة

ومالك) واثنين من تابعي التابعين ، عندها ندرك بوضوح أنهم السلفيون بحق ، لذا فلا داعي أن يحتكر السلفية من تحرروا من المذهبية ؛ لئلا يقيموا بهذه التسمية الحواجز بين المسلمين ، لأن جميع المسلمين مذهبيين وغير مذهبيين وعلى رأسهم أئمة المذاهب جزاهم الله عنا وعن المسلمين كل خير متفقون على وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، عاضون عليها بالنواجذ .

أما الملاحظات التي نريد أن نوجه النظر إليها فأوجزها بما يلي :

١ ـ ضرورة احترام أصحاب الرأي المخالف ، والتأدب مع من يفضلنا في العلم والتقى ، فذلك من خلق السلف ؛ لأن التعصب للرأي الشخصي ليس إلا تسلطاً فكرياً يرفضه الإسلام ويأباه الذوق السليم . يقول الدكتور القرضاوي : إن أولى دلائل التطرف هي التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود . والمتطرف كأنما يقول لك : رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ لا يحتمل الصواب ، وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبداً ، لأن اللقاء يمكن ويسهل في وسط الطريق وهو لا يعرف الوسط ولا يعترف به ، فهو مع الناس كالمشرق والمغرب ، لا يقترب من أحدهما إلا بمقدار ما يبتعد عن الآخر .

وها هو الإمام أحمد يمتدح الإمام الشافعي الذي يختلف معه في كثير من القضايا بقوله : (كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن) وعن الشعبي جاءه رجل يسأله عن شيء فقال : كان ابن مسعود يقول فيه كذا وكذا فقال السائل : أخبرني أنت برأيك ، فغضب الشعبي وقال : ألا تعجبون من هذا أخبرته عن رأي ابن مسعود ويسألني عن رأيي وديني عندي أثر من ذلك . رواه الدارمي .

فحبذا لو اتبعنا السلف في مواقفهم مع مخالفيهم لكنا صادقين في ادعائنا

حبهم وفي السير على نهجهم .

ومن استعراضنا لأسباب الخلاف تبين لنا أن الإجماع على أمر فرعي متعذر ، وأن الاختلاف في الفرعيات أمر لابد منه ، وأن احتمال تأويل النص لأكثر من وجه هو سر مرونة الشريعة وصلاحها لكل زمان ومكان . يقول الشيخ محمد الغزالي : إن هناك أنواعاً من الخلاف الفقهي واللغوي لا أخشى منها أبداً بل أعدها من طبيعة البشر الذهنية والنفسية ، أما الخلاف المولود على مصاطب الفراغ والثرثرة والشاغل لمحاولات اللهو والبطالة ، فهو معصية لله وتوهين للأمة .

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عمرو بن العاص : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر » رواه الخمسة .

هذا حكم رسول الله ﷺ على المجتهد المخطىء .

وغلاة مدعي السلفية يطعنون في كل من خالفهم من الأئمة الكرام وغيرهم مع أنهم لم يبلغوا من العلم والفضل معشار ما وصلوا إليه .

كما وأن بعضهم ينكر على الجماعات الإسلامية أن تضم بين صفوفها أفراداً على مذهب من مذاهب الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ، وكأنهم يظنون أنهم يستطيعون أن يصبوا أفكار الناس في قالب واحد ، وقد عجزوا هم أنفسهم أن يكونوا على رأي واحد إذ إن كثيراً ما نجد علماء يتسمون بالسلفيين مختلفين في فرعيات كثيرة ، مما دفع بعضهم أن يسمي منهجه بالسنة الصحيحة على مذهب السلف الصالح ليتميز عن غيره من العلماء السلفيين الذين خالفوه في بعض آرائه ؛ باعتبار أن الحق عنده لا يتعدد ، والصواب ما يراه هو فحسب . وكأن السنة سنتان سنة صحيحة وسنة غير صحيحة .

يقول الشيخ محمد الغزالي : والشيء الذي نرفضه ويرفضه جمهور العقلاء

أن يحسب أحد أن رأيه دين ، وما عداه ليس بـدين . ورحم الله حسن البنـا حين نسف فكرة التعصب المذهبي بقوله : (نجتمع على مـا اتفقنـا عليـه ويعـذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) لأنه لا يجوز أن يكون الخلاف المـذهبي سببـاً في تفرقة المسلمين ، وعائقاً في سبيل توحدهم وتوحيد جهودهم .

فإن يد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

٢ ـ التسرع بالحكم على المسلمين بـالشرك أو الكفر ظلم عظيم وخطر كبير : إن أقصى درجات التطرف أن يقـدم مسلم على تكفير المسلمين ؛ فيهـدر بـذلـك عصمتهم ، ويستبيـح دمـاءهم ، ومن نعمـة الله تعـالى أن الإسـلام ليس حكراً لأحـد ، يـدخل فيـه من يشـاء ويخرج منـه من يشـاء ، لـذا فمن المـؤسف أن يتعرضوا في أحكامهم للعلماء العاملين ، والدعـاة المجتهـدين ، والأدبـاء المتفقهين الـذين أجمعت الأمـة على صـلاحهم ، واهتـدى الكثيرون بـدعـوتهم ، فـأخـذوا مقطعـاً من كـلامهم وبتروه عن أولـه وآخره ، وأولـوه حسب فهمهم لـه ، وأصـدروا حكمهم الجـائر بـالكفر على النص تـارة ، وعلى قـائلـه تـارة أخرى ، والقاعـدة الأصوليـة : أن من يـدخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجـه منـه إلا بيقين مثله وأن اليقين لا يزول بالشك .

وقـد أثر عن العلمـاء إجمـاعهم أن الأصـل حمـل حـال المسلم على الصـلاح . وكان بعض السلف يقول : (وإني لألتمس لأخي المعـاذير من عـذر إلى سبعين عذراً ثم أقول لعل له عذراً آخراً لا أعرفـه) كما أجمع العلمـاء على أن التكفير لا يجوز إلا في خمسة مواطن أوردها الشهيد حسن البنا في رسالة التعاليم وهي :

أ ـ إذا أنكر شيئاً علم من الدين بالضرورة .

ب ـ إذا أقر بكلمة الكفر .

جـ ـ إذا كذب صريح القرآن .

د ـ إذا فسر القرآن على وجه لا تحتمله اللغة العربية .

هـ ـ إذا عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

ونظراً لخطورة التسرع بتكفير المسلمين فقد هدد رسول الله ﷺ المتساهلين فيه بنزع الإيمان عنهم : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه » متفق عليه .

٣ ـ ليس من الحكمة إثارة مواضيع الخلاف بين عامة المسلمين ـ حضرت دروس أحدهم سنين عدداً لم يخرج فيها عن المواضيع الخلافية أبداً وكأن ما يتعرض له المسلمون اليوم من تيارات الغزو الفكري ، والفساد الخلقي ، والاستبداد السياسي ، ومخططات التنصير ، والإبادة الجماعية ، والتصفية الجسدية ، لا تعدل في نظرهم تحريك الإصبع في التشهد ، أو الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان بصوت منخفض بدلاً من المرتفع ، وبقول : بسم الله على الطعام بدل بسم الله الرحمن الرحيم وغيرها ، وكأنهم يعيشون في عصر غير عصرهم ، ويتعاملون مع مجتمع غير مجتمعهم ، مع أن خطة السلف تقضي بالابتعاد عن كثرة الجدل الذي لا طائل وراءه لقوله ﷺ : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » .

كما تقضي بالبعد عن التشدد ، وعدم السؤال عن فرعيات لا تقدم وتؤخر ، فها هو ابن عباس رضي الله عنه : يمتدح المسلمين الأوائل من السلف الصالح لابتعادهم عن التعمق والتشدد فيقول :

(ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاثة عشر مسألة حتى قبض كلهن في القرآن) .

وعن ابن إسحاق قال : (أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر مما سبقني منهم فما رأيت قوماً أيسر سيرة ولا أقل تشديداً منهم) .

يقول الشيخ محمد الغزالي : لم يكن هذا الخلاف موجوداً حينما شغلت الأمة برسالتها ، وعبأت قواها كلها لتقليم أظافر الشعوب الباغية على الإسلام ، فلما استراحت من هذه الأعباء - وما كان لها أن تستريح - أخذت تتحدث في دينها ، وتتقعر في فهم عالم الغيب ، بعد أن أراحت نفسها من الكدح في عالم الشهادة .

٤ - من الجرأة على الله والتطاول على الفتيا أن يحاول مسلم خرق إجماع السلف والخلف مع أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجتمع أمتي على خطأ » ومن الغرابة أن يجهد مسلم نفسه سنوات طويلة بالمطالعة ليخرج علينا برأي يشذ فيه عن إجماع الأمة وعلمائها ؛ فيقول بتحريم الذهب المحلّق على النساء ، وليثبت سنية ركعتين راتبتين بعد وتر العشاء ، أو بعد فرض العصر ، وليقول بعدم عصمة نساء النبي ﷺ من الكبائر .

وقد يفتي أحدهم بحكم ثم يرجع عنه بعد سنوات لثبوت حديث ناسخ له ، فكيف يقدم مسلم على تحمل مسؤولية من تبعه في اجتهاده الخاطىء طيلة هذه السنوات . لذا فلا يجوز لمسلم أن يصل به الاعتداد بالنفس إلى التسرع بالإفتاء فليعلم كل مسلم أن حفظه لأحاديث رسول الله ﷺ ، ودراسته علوم الحديث ، لا تؤهله للترجيح والاجتهاد ، إنما يجدر بالمجتهد كذلك أن يكون ملماً باللغة العربية وأصولها ، وأقوال الفقهاء ، والتفسير ، والسيرة ، والناسخ والمنسوخ .

يقول الإمام البغوي شارح السنة : المجتهد من جمع خمسة أنواع من العلم :

أ - علم كتاب الله عز وجل وناسخه والمنسوخ منه .

ب - وعلم سنة رسول الله ﷺ .

جـ - وأقاويل علماء السلف من إجماعهم واختلافهم ، ومعظم فتاوى فقهاء

الأمة ، حتى لا يقع حكمه مخالفاً لأقوالهم ، فيكون فيه خرق للإجماع ـ انظر حرص العلماء المجتهدين الكبار على أن لا يخرجوا عن الإجماع ـ.

د ـ علم القياس وهو طريقة استنباط الحكم من الكتاب والسنة إذا لم يجده صريحاً في نص الكتاب أو السنة أو إجماع .

هـ ـ علم اللغة ؛ لأن الخطاب ورد بلسان العرب ، فمن لم يعرفه لا يقف على مراد الشارع .

وإليك مثلاً عن أحد المجتهدين :

قال إسحاق بن راهويه : (لقيني أحمد بن حنبل بمكة فقال : تعال أريك رجلاً لم تر عيناك مثله فأراني الشافعي قال : فتناظرنا في الحديث فلم أر أعلم منه ، ثم تناظرنا في الفقه فلم أر أفقه منه ، ثم تناظرنا في القرآن فلم أر أقرأ منه ، ثم تناظرنا في اللغة فوجدته بيت اللغة وما رأت عيناي مثله قط) أفليس من المضحك أن يحشر بعض متفيقهي هذا العصر نفسه ليقول : نحن رجال وهم رجال ، فيتجرأ على خرق الإجماع ، في الوقت الذي تورع العمالقة الكبار عن خرقه .

٥ ـ ليس للمسلم العادي إمكانية الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة ؛ وذلك لجهله بعلوم الحديث ، وبالناسخ والمنسوخ ، وبقواعد الترجيح ، وبعلوم العربية ، ولعدم وجود الفراغ الكافي للاطلاع والتحقيق ، لذا فمن الخطأ أن ندعوا كافة الناس إلى الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة . فقد نتج عن هذه الدعوة مغرورون ، وأنصاف متعلمين ، ومتفيقهون ، أفتوا بغير علم ، وتنطعوا في الدين ، وأساءوا فهمه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . قال أحدهم : إن إمكانية الأخذ من السنة أمر ميسور في عصرنا الحاضر ؛ إذ يمكن لأي مسلم أن يأخذ من كتاب المجموع مثلاً ثم يتعرف على أدلة الأئمة في قضية ما ، ويغربلها

ثم يختار الدليل الأصح . ولقد نسي الشيخ أن الغرابيل ليست ذات مقياس واحد ، وأن كل امرىء معجب بغرباله ، وأن هذه الغرابيل لن تعطينا أفكار موحدة كما يظن لأنها لم تنزل من ثقب واحد بل من ثقوب مختلفة الاتساع وصدق الله إذ يقول : ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة** ﴾ . سمعت حديث أحدهم ساعة ونصف الساعة تقريباً يحاول فيها أن ينفي تهمة عدم احترامه للأئمة الأربعة فإذا به يتهم كل من يتبع أولئك الأئمة الذين يدعي تقديرهم واحترامهم فيقول بالحرف الواحد : التمذهب بمذهب معين هو لاشك بدعة في الإسلام (وطبعاً البدعة ضلالة والضلالة في النار) أما حجته في عدم جواز اتباع مذهب فقهي معين فهي :

١ ـ يقول الشيخ وبالحرف الواحد : السلفيون يرون التقليد للإمام الواحد تشريكاً في نبوة الرسول ﷺ لغيره معه .

ونحن نسأل الشيخ الكريم ترى حين اختلف الصحابة أو التابعون في بعض الأحكام فأيهم اتبع الرسول وأيهم خالفه ؟! ونظراً لما يعلم الرسول ﷺ من أن الاختلاف في الفرعيات أمر تقتضيه الفطرة لذلك قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » ولم يقل عليكم بسنتي فقط ليعرف المسلمين أن سنته وسنة الصحابة الذين عايشوه وفهموا الإسلام عنه إنما هي سنة واحدة .

٢ ـ ويستدل الشيخ عن عدم جواز اتباع مذهب فقهي بالحديث الشريف « لا يكن أحدكم إمَّعة » ولكن استشهاده كان في غير محله ـ لأن الحديث لم يرد ليمنع المسلمين من اتباع الأئمة الكرام ، ولكنه ورد ليمنع المسلمين من الانجراف في تيار الفساد حين تعم البلوى ، وأوصاهم أن يوطنوا أنفسهم على الإحسان حين يسيء الناس فلا يكونوا إمعة .

٣ ـ كما يستشهد الشيخ بالآية الكريمة ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم**

لا تعلمون ﴾ ويقول : ولم تقل الآية فاسألوا واحداً من أهل الـذكر ـ لـذلـك فلا يجوز بنظره الاقتصار على إمام واحد واتباعـه . هـذا التفسير الحرفي يقتضي أن نجمـع أهـل الذكـر ونسألهم أو نقرأ آراءهم ، وهـذا يشـق على الكثيرين . لقـد كان المسلمون يسـألون رسول الله ﷺ عن دينهم ، ثم راحوا يسـألون أصحـابـه من بعـده ، ثم أتسعت رقعـة البلاد الإسلاميـة فصـاروا يستفتـون علمـاء بلـدهم لثقتهم بعلمهم ، ولعدم معرفة غيرهم ، فانتشر مـذهب كل إمـام في القطر الـذي عاش فيه ، واتبعه مسلمو ذلك القطر ، كما يتبع السلفيون شيخهم السلفي سواء بسواء ، فلماذا يبشرون الأمة بـالهلاك وجمـاعتهم بـالنجـاة ، ولمـاذا يحكمون على ٩٩ ٪ من المسلمين متبعي المذاهب بالابتداع ، وخضوعهم للشيطـان حين يقول الشيـخ : وذر الشيطـان قرنــه في حمـل بعض الأفراد للتعصب ـ لإمــام لــه ـ ويشملهم في مضمون الآية الكريمة ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتَّبع غير سبيل المؤمنين نولِّـه مـا تولى ونصلـه جهنم وسـاءت مصيرا** ﴾ أليس في ذلـك تحريف للكلم عن بعض مواضعـه ، ثم مـا هي حجتـه أمـام الله باتهام مسلم ليست لديه إمكانية استنباط الحكم فأخذه عن أحد الأئمة لأنه من السلف أولاً ، ولأنـه من خير القرون حسب وصف الرسول الكريم ثـانيـاً ، ولأنـه جمع كافة العلوم التي تخوله الاجتهاد والإفتـاء . نحن ننكر التعصب أيـاً كان لونـه ، سـواء للمـذهب أو لمحـاربة المـذهب . دعـوا النـاس أحراراً يعبــدون ربهم على المذهب الذي يشـاؤون ، لا تنفِّروا ولا تكفِّروا ، فـإن تنـافر القلوب لا يخـدم غير أعداء الإسلام .

فـاتقـوا الله واخرجـوا من هـذه الـدوامــة التي تحبــط الأعمــال ، وتضيـع الأوقات ، وتطمع الأعداء .

ولعل الرأي السديد في هذا الموضوع رأي الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى والذي ورد في رسالة التعاليم كما يلي :

أ ـ على كل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين .

ب ـ ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه (وفي ذلك دعوة للتفقه) .

جـ ـ وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى رجح عنده صدق من أرشده وكفايته (وفي ذلك دعوة لعدم التعصب للمذهب ودعوة للانقياد للحق) .

د ـ وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر . تلك هي بعض النصائح أذكر بها إخواني الذين تعثروا في طريق العمل الإسلامي بروح الصدق والمحبة ، أنير بها السبيل الذي سلكوه ؛ علهم يستبينوا الطريق السديد طريق الذين شرّفهم الله بحمل لواء دعوة الإسلام والجهاد في سبيلها ، توحيداً للصفوف ، وجمعاً للطاقات المتنافرة ؛ استعداداً لمعركة المصير التي فرضها علينا أعداء الإسلام في الشرق والغرب ، حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ألا قد بلغت اللهم فاشهد .

☆ ☆ ☆

نماذج من الجماعات الإسلامية المعتدلة

١ ـ جماعة التبليغ في باكستان .

٢ ـ الجماعة الإسلامية في باكستان .

٣ ـ جماعة النور في تركيا .

٤ ـ حزب السلامة الوطني في تركيا .

٥ ـ الإخوان المسلمون في العالم العربي .

٦ ـ حزب التحرير .

جماعة التبليغ

أسسها : الشيخ محمد إلياس في دلهي بالهند في أواخر القرن الرابع عشر الهجري .

هدفهم : تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة وبذلك يكونون أقرب ما يكونون إلى جماعة وعظ وإرشاد منهم إلى جماعة منظمة .

وسائلهم : الخروج إلى الأقطار والأمصار لتبليغهم رسالة الإسلام ولوعظهم وإرشادهم . فهم يجمعون ما يمكن جمعه من أنصارهم ، ويسافرون من بلد إلى بلد ، ومن قرية إلى قرية ، فمنهم من يخرج أياماً قليلة ، ومنهم من يخرج أسبوعاً ، ومنهم من يخرج شهراً ، كل حسب فراغه ، يحملون معهم متاعهم ، يبيتون في المساجد ، ويأكلون على حسابهم ، لا يكلفون مشقة لأحد ، يبلغون دعوتهم ثم يعودون وهكذا .

أسلوبهم : ١ ـ يعتمدون على الوعظ والإرشاد ، والترغيب والترهيب ، يحركون عواطف الجماهير ، ويثيرون فيهم شعور الاعتزاز بالإسلام ومآثره ، ثم يدعون من يود الخروج معهم .

لئن كان لهذا الأسلوب بعض الفوائد كتنشيط عناصرهم ، وتقوية شعورهم ومعنوياتهم الإسلامية حين يشعرون بأنهم يقومون بواجبهم تجاه إسلامهم ، ويضحون بوقتهم وجهدهم في سبيله إلا أن ذلك ليس كافياً :

أ ـ لأن تأثيرهم يقتصر على عامة المسلمين ، أما المثقفون وغير المتدينين فهم غير موجودين في المساجد أولاً ، كما أنهم يحتاجون إلى أسلوب علمي يعالج الأفكار المادية المستوردة ، ويقارع حججها الواهية ، بحجج الإسلام الدامغة ، وهذا ما قصر عنه أسلوبهم بسبب ثقافتهم الضحلة ، فنحن في عصر العلم ، ولا

يمكن أن نتغلب عليه إلا بالعلم ، يقول الشيخ المودودي في أسلوبهم : يصبح من العبث ، الدعوة إلى الإسلام على طريق التبشير المسيحي ، ولو طبعت ملايين النشرات تدعو إلى التمسك بالإسلام ، وتصيح في الناس أن اتقوا الله صباح مساء لما كانت ذات فائدة تذكر ، والإسلام اعتبر مرحلة التعلم والتفقه مرحلة سابقة لمرحلة التبليغ ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، لذا يجدر بالمسلم أن يتزود بالعلم قبل أن يبدأ رحلة التبليغ ، وإلا سقط أمام أول نقاش مع خصوم الإسلام .

ب - إن التيار المادي الذي ساد عصرنا الحديث يجعل هذا الأسلوب غير منتج ، لأنهم حين يتحدثون مع المسلمين ، ويحركون إيمانهم ثم يتركونهم . فإن أثرهم الذي أحدثوه لن يدوم طويلاً أمام التيار المادي الجارف إذ لابد لمن غرس غرسة أن يتعهدها ، أما إذا تركها للأعاصير والرياح والحيوانات المفترسة فإنها ستموت وتقلع ، فإذا زارها بعد زمن طويل سيضطر لإعادة الغرس من جديد ، وهكذا يراوح في مكانه ويضيع تعبه سدى .

لذا وجدنا رسول الله ﷺ يتعهد المسلمين بالتربية الروحية والعلمية والبدنية حتى تمكن من الوقوف بهم أمام أعتى الدول العظمى في ذلك العصر - الفرس والروم - وصدق الله تعالى ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ يوسف ١٠٨ .

٢ - لعل ميلهم إلى التصوف دفعهم إلى الابتعاد عن السياسة ، وإلى عدم الاهتمام بالثقافة الإسلامية وبالتربية والإعداد . يقولون : السياسة أن تترك السياسة . لئن كانوا يقصدون بذلك اتقاء ضربات المتسلطين فإن ذلك لن يجديهم شيئاً . فقد منعوا من نشاطهم في أكثر من بلد . كما أن أعداء الإسلام حين يقدمون على التنكيل بالمسلمين لا يفرقون بين صوفي أو تبليغي أو

غيره ، والامتحان سنة الدعوات ، ولقد امتحن من قبل سيدنا رسول الله ﷺ وصحبه ، ولم يتظاهر بالبعد عن أي جزئية من جزئيات الإسلام .

والسياسة ما هي إلا الاهتمام بشئون المسلمين ، ورسول الله ﷺ يقول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » والإسلام كل لا يتجزأ ، لذا لا يجوز أن نتساهل بأي جزئية من جزئياته ، ولا بأس بأن نهتم بالأهم فالمهم ، شريطة أن لا نتجاهل بقية أجزائه الهامة .

٣ ـ تبليغ الدعوة ليس هدفاً للمسلم ، بل هو وسيلة ؛ لأن هدف المسلمين إنما هو إقامة حكم الله في الأرض ، كي يسعد البؤساء ، ويأمن الضعفاء ، والتبليغ والعمل على تجميع المسلمين حول هذا الهدف حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله هو وسيلة لتحقيق الغاية .

لذا فإن أي دعوة تهتم بجزئية من جزئيات الإسلام ، وتهمل الجزئيات الأخرى ، أو أنها تأخذ بوسيلة واحدة ، وتترك الوسائل الأخرى ، إنما هي دعوة ضعيفة لا ينتظر لها النجاح .

☆ ☆ ☆

الجماعة الإسلامية في باكستان

أسسها : الأستاذ أبو الأعلى المودودي : وهو من العلماء العاملين ، بدأ نشاطه الإسلامي منذ عام ١٩٢٨ يدعوإلى الله على بصيرة ، ويوضح للمسلمين معالم الإسلام الصحيحة ، وتعاليمه القويمة ، التي تصلح لمعالجة كافة شئون الحياة .

نشر كتابه الجهاد إبّان الاستعمار الإنكليزي على الهند ، فكان له أثر عظيم ، ثم أصدر مجلته ترجمان القرآن التي ما زالت تصدر منذ عام ١٩٣٣ ، ألف عدة كتب أشهرها (نظرية الإسلام السياسة ، ومنهاج الانقلاب الإسلامي ، والحضارة الإسلامية ومبادئها) فكان لها الأثر القوي في صفوف المسلمين المثقفين ، وأصبح للشيخ جمهوره وتلاميذه المخلصين ، وفي عام ١٩٤١ رأى الشيخ أن جهوده قد آتت ثمارها ، وأنه لابد من تعهد هذه الغراس ، فوجه دعوة إلى خمسة وسبعين رجلاً من أنصاره من كافة أنحاء البلاد إلى لقاء في لاهور ، وأسسوا الجماعة الإسلامية ، وانتخبوا الشيخ أبو الأعلى المودودي أميراً لهم ، كان ذلك قبل تقسيم الهند إلى باكستان والهند بست سنوات .

أهداف الجماعة : تتلخص أهداف الجماعة بما يلي :

١ ـ الإسلام نظام شامل للبشرية كافة وللمسلمين خاصة .

٢ ـ الدعوة لكل من أظهر الإسلام أن يخلصوا دينهم لله ، ويزكوا أنفسهم ، لتتخلص من التناقض والنفاق .

٣ ـ الدعوة لكل أهل الأرض أن يستخلصوا الحكم الحاضر من الطواغيت المستبدة ، والفجرة الفاسدة ، وأن ينتزعوا الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم ، وينقلوها إلى أيدي المؤمنين المسلمين ، أما وسائلهم إلى ذلك فتتلخص

بما يلي :

١ ـ تصحيح الأفكار وتعهدها بالغرس والتنمية لتوضيح الصراط المستقيم ، ونقد الغرب الذي افتتن به أغلبية الناس ، وبيان صلاحية الإسلام .

٢ ـ استخلاص الأفراد الصالحين وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة .

٣ ـ السعي في الإصلاح الاجتماعي ، وهو يشمل كل طبقات المجتمع ، واتخاذ الحلول العلمية لمشكلاتهم على أساس مبادىء الإسلام الإنسانية ؛ من أخوة وعدالة ومساواة .

٤ ـ إصلاح الحكم ؛ ويكون ذلك بإيجاد البرامج الإصلاحية للمفاسد الاجتماعية ، ونشر الوعي الإسلامي الذي يمهد لتسلم رجال صالحين مقاليد الحكم لينهضوا بالإصلاح على أساس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

تنظيمات الجماعة

المركز العام في لاهور يشرف عليه أمير الجماعة ويضم الشعب التالية :

١ ـ شعبة التنظيم والإدارة
٢ ـ شعبة بيت المال
٣ ـ شعبة الخدمات الاجتماعية
٤ ـ شعبة النشر والإعلان
٥ ـ شعبة الشؤون العمالية
٦ ـ شعبة تربية أعضاء الجماعة
٧ ـ شعبة المدارس والمعاهد ومكافحة الأمية
٨ ـ دار العروبة للدعوة الإسلامية
٩ ـ دار الترجمة الإنجليزية
١٠ ـ دار الترجمة البنغالية
١١ ـ مجمع البحوث الإسلامية
١٢ ـ شعبة الشؤون البرلمانية
١٣ ـ شعبة الانتخابات
١٤ ـ قسم الأخوات المسلمات
١٥ ـ جمعية الطلبة الإسلامية

وللجماعة أمير ومجلس شورى . ولها صلات جيدة مع التنظيمات الإسلامية النظيفة في العالم العربي ، ومع التنظيمات الطلابية الإسلامية .

تاريخ الجماعة

في عام ١٩٤٧ تم تقسيم الهند إلى الهند وباكستان ، ودخلت الجماعة في بداية تأسيسها معركة الدستور التي تميز فيها اتجاهات أولها جماعة تريد باكستان دولة اشتراكية ، ثانيها جماعة تريدها دولة علمانية تنهل من حضارة الغرب المادية ثالثها أقلية هندوسية استفحل نفوذها في باكستان الشرقية ، وهي بالطبع لا تريد الإسلام دستوراً للحكم .

والجماعة الإسلامية هي الفئة الوحيدة التي بذلت جهدها ليكون الإسلام أساس الدولة الجديدة ، وقد لخص المودودي مطالب المسلمين في محاضرته بكلية الحقوق في لاهور ١٩ / ٢ / ١٩٤٨ لخصها بما يلي :

١ ـ الحاكمية في باكستان لله العلي الأحد ، وما لحكومة باكستان من أمر سوى إنجاز أمر الله المالك الحقيقي .

٢ ـ الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي لباكستان .

٣ ـ إلغاء كل القوانين التي تخالف الشريعة الإسلامية .

٤ ـ لا تتصرف الحكومة الباكستانية إلا ضمن حدود الشريعة .

وتحركت الجماهير المسلمة تؤكد مطالب المودودي ، فاغتاظ أعداء الإسلام ، واتهموا المودودي بقوله بعدم مشروعية الجهاد في كشمير ، ونشروا الخبر في الصحف والإذاعة ، واعتقلت الحكومة قادة الجماعة أمثال الأستاذ المودودي ، والأستاذ طفيل محمد سكرتير عام الجماعة ، والأستاذ أمين أحسن إصلاحي ، وعطلوا صحيفتي تسنيم وكوثر الناطقتين بلسان الجماعة ، واضطرت الجمعية

التأسيسية تحت إلحاح الجماهير إلى إقرار مبادىء الدستور الذي أعلنت فيه إسلام باكستان ، والموافقة على مطالب الأستاذ المودودي الأربعة ، وكان هذا أول نصر تحققه الجماعة ، ومع ذلك فقد بقي الصراع مستمراً بين الإسلاميين المتمثلين في الجماعة الإسلامية ، وبين أعداء الإسلام المتمثلين في الاشتراكيين واللادينيين والهندوس ، واستمر الصراع تسع سنوات من ١٩٤٧ ـ ١٩٥٦ انتهى بدستور ١٩٥٦ والذي جاء محققاً لرغبة الإسلاميين وبعد معارضة المعارضين ، ومماطلة المسئولين أعلن موعد الانتخاب في فبراير عام ١٩٥٩ وخوفاً من نجاح الإسلاميين قام انقلاب عسكري عام ١٩٥٨ م ألغى دستور ١٩٥٦ م ، وحل الأحزاب ، وألغى الانتخابات ، وأنيطت المراكز الحساسة بالقاديانيين والإسماعيليين والاشتراكيين ، وكبلت الحريات ، وتشجع أعداء الإسلام على مهاجمته ، حتى بلغ الأمر بالدكتور فضل الرحمن أن يقول : بأن القرآن ليس وحياً إنما هو خليط من كلام الله وكلام الرسول ﷺ ، وفي عام ١٩٦٧ تشكل ائتلاف حزبي باسم الحركة الديمقراطية الباكستانية ضم خمسة أحزاب :

١ ـ الجماعة الإسلامية .
٢ ـ حزب النظام الإسلامي .
٣ ـ الرابطة المسلمة فرع منشق عن الحزب الحاكم .
٤ ـ جناح من رابطة موالي .
٥ ـ الجمعية القومية الديمقراطية .

وكان لقاؤهم على العمل لإعادة دستور عام ١٩٥٦ م الملغى . لقد تمكن اليساريون والعلمانيون خلال عشر سنوات من حكم أيوب خان من السيطرة على وسائل الإعلام ، والمراكز الرئيسية في الدولة ، حاربوا فيها أفراد الجماعة في كافة الميادين .

ولما شعر الاشتراكيون ميل أيوب خان للتفاهم مع الجبهة الديمقراطية قاموا

باضطراباتهم وشغبهم ضد المسلمين ، شملت السلب والنهب ، والتدمير والإحراق والتنكيل ، حتى بلغ بهم الأمر أن أعلنوا في بعض المناطق (الدولية الاشتراكية) ، ورفعوا العلم الصيني ، وقد ترأس الشغب في باكستان الغربية علي بوتو ، وفي باكستان الشرقية عبد الحميد خان بهاشاني من أنصار أيوب خان السابقين . قابل الإسلاميون هذا التطرف بمجابهة قوية ، استطاعوا وضع حد له ، ثم أعلن عن انتخاب عام ١٩٧٠ تمهيداً لإطلاق الحريات .

نبذة عن حياة أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان :

ولد أبو الأعلى بن الشيخ أحمد حسن عام ١٩٠٣ في أدرنك آباد من ولاية حيدر آباد في باكستان ، في بيت مشهور بالعلم والتقى والجد ، تعلم من والده العربية والقرآن والحديث والفقه والفارسية ، وحفظ الموطأ في صغره ، توفي والده عام ١٩١٧ ، أقام الشيخ بعدها في دلهي ، درس الأدب عن الشيخ عبد السلام نيازي ، وكتب الحديث عن الشيخ المحقق إشفاق الرحمن الكاندهلوي ، والتفسير والفقه عن الشيخ شريف الله خان .

كما تعلم الإنكليزية عن مدرس خاص ، وانطلق المودودي بنشر دعوته بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة .

بدأت حملة شديدة على الإسلام من الهندوس ، فقام الزعيم الهندوسي ، شارماناند يطالب بنقل المسلمين من الإسلام إلى الهندوسية ، كما بدأ غاندي بمجابهة الإسلام ، وادعى أنه انتشر بالسيف ، وأنه دين العنف والإرهاب ، سمع الشيخ وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً نداء الزعيم الإسلامي محمد علي جناح يطلب فيه من يتصدى لهؤلاء ، فبدأ المودودي بدراسة التاريخ ، وبدأ بكتابة مواضيع الجهاد التي كان لها أثر في نفوس المسلمين ، ووقع أليم على أعداء الإسلام ، ولقد نصح الدكتور محمد إقبال الشباب بدراسته ، وقد اتضحت مفاهيم الشيخ الإسلامية نتيجة هذه الدراسة ، ومما قاله رحمه الله تعالى :

واتضح لي من خلال دراستي لموضوع الجهاد أن الإسلام لم يأت في الدنيا ليبقى الكفر يسود البشرية ، ويبقى المسلمون يعيشون في ظله عيشة الخائفين ، بل أنزل الله هذا الدين ليكون هو الحاكم ، ويكون من لا يؤمن به تابعاً له ، وكذلك اتضح لي أن الحكومة الإسلامية هي كذلك حكومة الهداية والدعوة ؛ تشهد على العالم بصدق الإسلام ، وكونه دين الحق ، وذلك بممارستها العدل والقسط ؛ إعلاناً لكلمة الله في الأرض .

☆ ☆ ☆

ماذا يعرف المسلمون
عن الجماعة الإسلامية الكردية ؟ (*)

بارتيا إسلاميا كردستاني

على عادتنا في تسليط الأضواء على الحركات الإسلامية في العالم . نلقي الضوء في هذا العدد على الحركة الإسلامية الكردية من خلال منهج الحزب الكردي الإسلامي « بارتيا إسلاميا كردستاني » ومبادئه وأهدافه . وإذا كنا نفعل ذلك فلا يعني هذا أننا نتفق مع هذا الحزب الإسلامي في جميع أهدافه فقد تتفق رؤيتنا..وقد تختلف..واختلاف الرؤية لا يمنع من نشر حقيقته..

المسلمون الأكراد مهملون في وسائل الإعلام العربية والدولية على الرغم من أن الشعب الكردي يزيد في عدده عن (٢٠) مليون نسمة ، وهو سليل أعراق إسلامية شهد لها تاريخ الحضارات بإنجاب بطولات عظيمة من أمثال صلاح الدين الأيوبي . وتعود أصول هذا الشعب إلى حضارة بابل حيث حكمتها قبيلة جودي التي كانت تسكن أصلاً في جزيرة بوحتان ومناطق أخرى مجاورة .

في هذه المناطق يعيش على السفوح وضفاف الأنهار هناك ، وكان لهذا الشعب صراع مع الفرس والسلاجقة وغيرهم ، كما كان لهم مع جنكيز خان وتيمورلنك معارك ومواجهات هزم فيها جنكيز خان ورجع أيضاً تيمورلنك خائباً ، ومن أشهر الشخصيات الكردية في التاريخ الإسلامي أبو مسلم الخراساني الذي ساهم في إقامة الدولة العباسية والقائد صلاح الدين الأيوبي الذي هزم الغرب الصليبي وطرد جنوده من بيت المقدس . والذي أزال الخلافة الفاطمية في مصر .

(*) هذا المبحث منقول عن مجلة (المجتمع) العدد ٧٣٩ السنة ١٦ .

وفيما لو تناولت وسائل الإعلام شيئاً ما عن الأكراد فإن ذلك يبقى محصوراً في إطار المعارضة الكردية العراقية والتي تمثلت في أشخاص من مثل البرزاني والطالباني في العراق وقاسملو في إيران ، أما ذلك الشعب الكردي المسلم .. فحظه الإهمال في سائر وسائل الإعلام . ولعل هذا الإهمال الذي ساعد في تمزق الشعب الكردي المسلم دفع فئة من الأكراد المتنورين لتأسيس الجماعة الإسلامية الكردية في إطار حزب يمارس بعض الأنشطة الفكرية والسياسية مستهدفاً جمع الشعب الكردي على مبادىء الإسلام ، مع تأصيل مفاهيم الإسلام السليمة في ذهنية أفراد هذا الشعب ، وقد أطلقت الجماعة على نفسها اسم « بارتيا إسلاميا كردستاني » واشتقت من هذا الاسم رمزاً من بدايات حروفه « باك » وقد صرح مسؤولو الحزب بأنهم أقاموا حزبهم لتخليص الشعب الكردي من أوهام الأفكار العلمانية وملء الفراغ الفكري في صفوف الأكراد وذلك وفق أصول الدعوة الإسلامية .

والشعب الكردي هو شعب مسلم سني في معظمه يعيش بينهم نسبة ضئيلة من الشيعة ولا يتجاوز هؤلاء ٢ ٪ من هذا الشعب . وقد دخل الأكراد كلهم في الإسلام منذ البداية ، وتوجد بينهم حالياً بعض الفرق الضالة نتيجة للخلافات المذهبية التي ظهرت في وقت من الأوقات بين المسلمين عامة ، كما توجد قلة من النصارى بين الأكراد وأغلب الظن أنهم من بقايا الآشوريين والأرمن الذين عاشوا منذ القدم في المنطقة الكردية .

ويعيش الأكراد على أرض كردستان الموزعة إلى خمسة أقسام في كل من (إيران والعراق وسورية وتركيا والاتحاد السوفياتي) .

الإعلان عن الحزب

في يوم ١١ / ١٢ / ١٤٠٠ هجرية أعلن الأكراد المسلمون عن تأسيس حزبهم

الإسلامي وأسموه (بارتيا إسلامياً كردستاني) وأعلنوا أنهم سيعملون بدستور الله ودعوا الشعب الكردي عبر بيان عنوانه (ياشباب كردستان اتحدوا) للالتفاف حول الفكرة الإسلامية . وبينوا أن الغاية المنشودة هي توجيه ضربة قاصمة للاستعمار وأنواعه وكشف المخططات العدوانية أياً كان مصدرها في هذا العالم .

وقد ورد في البيان اسم المستشار إدريس ويبدو أنه عضو بارز في الحزب الإسلامي الكردي .

قومية أم إسلامية

كل ما نقلته أجهزة الإعلام الدولي عن الأكراد لا يعدو أنه تعبير عن آراء بعض العملاء الدوليين ، أو الأشخاص الذين ينعقون وفق هوى بعض أنظمة المنطقة ، والتصور الخاطىء كان عن طريق هؤلاء الذين تم تلميعهم (قومياً) في صفوف الشعب الكردي كالبرزاني وغيره .

يعتقد كثير من العرب أن الاستقلال القومي أو الذاتي للأكراد هو هدف نهائي لهم . بيد أن (بارتيا إسلاميا كردستاني) يعتقد أن : « لكل قوم الحق في أن يديروا شئون دولتهم المقامة على أرضهم ، فنحن دولة كبيرة يمكن أن يطلق عليها اسم دولة الشعوب الإسلامية المتحدة » ـ المادة الثامنة من المبادىء الأساسية لـ باك ـ.

وإذا كان مفكرو الحزب الإسلامي الكردي يعتقدون بأن من حقهم إقامة دولتهم فإنهم لا يريدون ذلك إلا إذا كان على أسس إسلامية . ومن هنا حذرت مجلة جودي الشهرية التي تصدرها اللجنة الإعلامية للحزب من أن الحكومات الحالية التي تحكم كردستان تعمل على خنق الشعب الكردي سياسياً مع إبقاء منطقة كردستان المليئة بالخيرات تحت حكم هذه الحكومات ، وخوفاً

من نشأة دولة كردية فتية قد تحكم بالإسلام فتنغص على أصحاب الكراسي مضاجعهم .

والدكتور هوشيار وهو مسؤول في اللجنة الإعلامية (لـ باك) إجابة على سؤال حول المسألة القومية قال فيه :

(بودنا أن تكون هناك دولة كردية ولكننا لا نريدها دولة قومية ، إننا نريدها دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله على رسوله ﷺ ، وإننا نرى أن لكل قوم الحق في إقامة دولتهم على أسس إسلامية ، فإذا توحد أساس هذه الدول اتحدت تلقائياً) .

وفي أحد مؤتمرات رابطة الشباب العربي المسلم في العام الماضي تم طرح القضية الكردية بين القومية والإسلام . وقد وضح السيد سروات والدكتور هوشيار موقف الحزب ، وذلك كما يلي :

(لم يكن طرحنا للقضية الكردية طرحاً قومياً في يوم ما ، وإن كان طرحاً إسلامياً ، والقضية الكردية هي قضية المسلمين ، وعليهم أن يعينوا هذا الشعب على التخلص من الظلم الواقع عليه .. ونحن نطرح فقط مفهوم ـ دولة الشعوب الإسلامية المتحدة ـ التي تعني أن لكل شعب حق إقامة دولته على أرضه وفق شرع الله ثم يتألف من هذه الدول مجلس للأمة يمثل كل الدول ويقوم هذا المجلس بانتخاب الخليفة) .

أهداف

ومما نشر عن (باك) من نشرات ومجلات وبيانات نلاحظ أن أهداف الحزب لا تختلف عن أهداف الحركة الإسلامية بعامة إلى جانب بعض الأهداف الخاصة بدولة كردستان . ولعل أبرز أهداف بارتيا إسلاميا كردستاني .

١ ـ بث الوعي الإسلامي في صفوف أبناء الشعب الكردي لتوعية هذا الشعب بدينه وتبصيره بالإسلام المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

٢ ـ محاربة الأفكار الإلحادية والعلمانية بين أبناء الشعب الكردي الذي تأثر كغيره من الشعوب بالدعايات الإعلامية الرسمية لدول العالم .

٣ ـ استقلال أرض كردستان من تحت ظل الحكومات العلمانية والمنحرفة بما في ذلك إيران .

٤ ـ تحقيق الحقوق الدولية المشروعة للشعب الكردي في ضوء الحقوق المشروعة لكل الشعوب .

٥ ـ إزالة الفوارق القومية والعنصرية بين الشعب الكردي والشعوب الإسلامية الأخرى .

٦ ـ تحقيق الحقوق المشروعة لكل الأقوام المسلمة والتعاون لإقامة دولة الشعوب الإسلامية المتحدة على أسس إسلامية صحيحة .

النشاط الإعلامي

يحاول الأكراد المسلمون شق طريقهم للتعريف بقضيتهم على أنها قضية إسلامية أولاً وأخيراً عبر بعض النشرات والبيانات .

وتعتبر مجلة جودي ـ وهي مجلة شهرية تصدرها اللجنة الإعلامية في بارتيا إسلاميا كردستاني ـ الناطق الرسمي باسمهم . واسمها مأخوذ من الآية التي تذكر سفينة نوح عليه السلام ﴿ **واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين** ﴾ وقد مضى على صدورها (٤) سنوات تقريباً ، وشعارها « الله ربنا ـ الإسلام ديننا ـ محمد رسولنا » وتستلهم مواقفها السياسية من واقع الشعب الكردي

حيث تصوغ ذلك وفق تصور إسلامي بعيد عن القوميات والعنصريات . كما تحفل المجلة بمواضيع فكرية ودعوية وثقافية ترتبط إلى التراث الإسلامي العربي بحبال متينة .. وكثيراً ما تستشهد مواضيع المجلة الدعوية بنصوص لابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ، وعنوان المجلة هو :

PIK - P . O . BOX 1595 .

Millw - WI 53201 - U .S . A .

المنهج العلمي

ينهج بارتيا إسلاميا كردستاني منهجاً إسلامياً لا يختلف عن مناهج الحركات الإسلامية العربية في تربية الأفراد وقد علمت (المجتمع) أن المنهج التربوي المتبع لدى هذه الجماعة الإسلامية كما يلي :

١ ـ القرآن الكريم ـ تلاوة مجودة وتفسير ميسر .

٢ ـ الأحكام ـ آيات الأحكام ، أحاديث الأحكام .

٣ ـ العقيدة ـ أصول التوحيد .

٤ ـ التاريخ ـ قصص الأنبياء والمرسلين ـ سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ حياة الصحابة رضوان الله عليهم ـ حياة بعض مشاهير المسلمين .

٥ ـ تاريخ الكرد وكردستان ـ وموجز التاريخ الإسلامي ـ لمحات عن تاريخ العالم .

٦ ـ البحوث ـ موضوعات متنوعة بحسب أهميتها والحاجة إليها .

٧ ـ وبحوث في علم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والأديان والفرق والأحزاب.

٨ ـ مناقشة مشكلات وشبهات معاصرة .

من مبادىء بارتيا إسلاميا كردستاني

للحزب الإسلامي الكردي مبادىء يعمل من خلالها لتحقيق أهدافه منها :

● يمكن التعاون مع الجهات التي تعمل لتأمين الحقوق المشروعة للشعب الكردي إذا لم تكن هذه الجهات معارضة لدين الشعب ولا عميلة لجهة معادية.

● بارتيا إسلاميا كردستاني يتبنى الإسلام والأحزاب التي لا تتبنى الإسلام إما أن تهمل الدين على الطريقة الرأسمالية وإما أن تعادي الدين على الطريقة الشيوعية ، ولا لقاء مع المعادين من قريب ولا بعيد ، وكذلك مع المهملين .. وأما الذين لا يتعرضون للدين بسوء ويقبلون بنظام الحكم الذي يطالب به أكثرية الكرد .. إن هؤلاء بيننا وبينهم وجوه كثيرة للقاء ضمن الحدود التي يسمح بها ديننا الحنيف .

● إن تعاون الشعوب المسلمة وتكاتفها .. ضرورة يتطلبها الواقع المرير الذي تشهده هذه الشعوب وإن الزمن ليمر سريعاً والأحداث تتوالى أليمة .. والمطلوب التفاف الشعوب المسلمة وتعاونها مع رمي التشتت .

● بناء دولة الشعوب الإسلامية المتحدة أمل المسلمين وطريق الخلاص للبشرية.

الموقف من الحكومات التي تحكم الشعب الكردي

يعتقد بارتيا إسلاميا كردستاني أن الحكومات حكومات علمانية لا تحقق أي هدف لشعوبها أو للشعب الكردي المسلم . وللأكراد مشكلة عويصة مع النظام الإيراني الذي يضطهد أهل السنة في إيران ، ويعلل الناطق باسم الحزب الكردي الإسلامي سبب اعتقال الشيخ أحمد مفتي زاده من قبل نظام إيران أنه عالم من علماء أهل السنة في إيران ، وأن اعتقاله جاء لأنه يتزعم

حركة إسلامية في كردستان محاولاً بث الوعي الإسلامي بين الأكراد ، وقد اعتقد الإيرانيون أنه بهذا يمثل خطراً على الحكومة الإيرانية .. ويتساءل الناطق باسم الحزب الإسلامي الكردي معقباً على موقف إيران قائلاً : منذ متى كان المسلمون يشكلون خطراً على الآخرين .. وهل صارت جماعة الشيخ أحمد مفتي زاده في إيران أشد خطراً على الحكم الإيراني من الشيوعيين والعلمانيين ؟

ومن المعروف أن إيران في عهد الشاه وقعت معاهدة مع العراق لتقييد تحرك الأكراد الإسلاميين وضربهم ، وقد أشارت مجلة جودي إلى أن إيران بعد سقوط الشاه استمرت في عهد الخميني تشن الحملات على الأكراد حتى تم تقييد ثورتهم . وبالنسبة للأوضاع مع العراق فلم يتغير في الأمر شيء منذ المعاهدة مع الشاه .

ومن ناحية أخرى تقوم مجموعات عسكرية كردية بإجراء بعض العمليات العسكرية في بعض المناطق الكردية حيث يتم الإعلان عنها في بعض النشرات التي تصدر خارج الوطن .

هذا ويدين بارتيا إسلاميا كردستاني الحرب العراقية الإيرانية ، ويعتقد أن المشاكل المزمنة بين السنة والشيعة استغلت في هذه الحرب الكارثة لصالح أعداء الإسلام . كما يعتقد أن شعوب المنطقة بما فيها الشعب الكردي يدفع الثمن لهذه الحرب المجنونة . هذا ويدعو الحزب الكردي الإسلامي العالم المسلم إلى تبني مشكلته كما تبنى مشكلة الأتراك في بلغاريا لأنهم مسلمون مثلهم .

أما موقف الحكومات المعنية من الشعب الكردي فيعتقد بارتيا إسلاميا كردستاني أنه موقف يعمل على تشتيت الأكراد وتكوين الأحزاب المتنافسة والمتحاربة لينشغل الأكراد بالتالي عن كل قضية.

جماعة النور في تركيا

جماعة إسلامية اهتمت بشؤون المسلمين السياسية والاجتماعية والسلوكية ، ثم ابتعدت عن السياسة ، وأصبحت أقرب ما تكون إلى جماعة صوفية منها إلى جماعة منظمة التقت على محبة وطاعة مؤسسها الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي ، ولد عام ١٢٩٣ هـ في قرية نورسي إحدى قرى حيزان التابعة لمحافظة بدليس في شرقي الأناضول ، وهي منطقة كردية ، بدأ دعوته في مدينة وان شمالي شرقي تركيا ، حيث بقي فيها خمسة عشر عاماً يدرس بمدرسة خورخور ، يتجول في المنطقة ، داعياً للتمسك بتعاليم الإسلام ، ومع أن بديع الزمان كان يلح على عدم ربط الحركة باسمه ، إلا أن حب أتباعه وثقتهم به جعلهم يربطون الحركة باسمه ، كان يقول : لا تربطوا رسالة النور بشخصي الفاني لئلا تضروها بذلك ولكن اربطوها بمنبعها الأصيل فهو بعيد عن أي متناول .

سأله الشيخ بخيت شيخ الجامع الأزهر : ما تقول في أوربا ؟ فأجاب النورسي :

إن أوربا حاملة بالإسلام وستلده يوماً ما ، ثم سأله ما رأيك بالإمبراطورية العثمانية فأجابه : إن الإمبراطورية العثمانية حاملة بأوربا وستلدها يوماً ما فوافقه الشيخ بخيت على رأيه .

عين الشيخ النورسي عضواً في المشيخة الإسلامية زمن السلطان محمد رشاد ، وأقنع النورسي السلطان رشاد بإنشاء جامعة شرقي الأناضول سموها جامعة الزهراء ، تضم الطلبة المسلمين عرباً وأكراداً وفرساً ، بغية إزالة الفوارق العنصرية ، ولكن الحرب حالت دون إكمالها .

رأيه في الخلافة الإسلامية : يعتبر النورسي أن الخلافة العثمانية لا تمثل الإسلام ، وكان ينتقدها كما كان ينتقد السلطان عبد الحميد ، ولعل ذلك راجع إلى حسن ظنه بجماعة الاتحاد والترقي قبل انكشاف أمرها ، ولما استبان أمرها تصدى لها وهاجمها فقال لهم : أيها المنحرفون آذيتم الدين وأوهنتم الشريعة فستمسكم غيرة الله وستكون النتيجة وخيمة .

ولما وقعت مجزرة منامن عام ١٩١٩ والتي أعدم فيها الاتحاديون عشرات العلماء ، سجن أثناءها النورسي ، وحوكم مع الكثيرين من أتباعه ، ولما اتهمه الحاكم العرفي بأن دعوته للإسلام تعتبر تقويضاً للانقلاب ورجعية ، أجابه النورسي : (إذا كان الانقلاب عبارة عن استبداد جماعة في الحكم ، ومخالفة الأحكام الشرعية ، فليشهد الإنس والجن إنني عامل على تقويضه وإنني أول رجعي) .

سعيد النورسي في سوريا : وفي عام ١٣٢٧ انتقل سعيد النورسي إلى سوريا وأقام في دمشق وألقى في المسجد الأموي خطبته المشهورة بالخطبة الشامية وضح فيها أسباب تقدم أوربا في الحياة المادية ، وتخلف المسلمين بما يلي :

١ ـ اليأس الذي بلغ بالمسلمين مبلغه .
٢ ـ فساد الأخلاق وفقدان الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية .
٣ ـ انتشار العداوة والبغضاء بين صفوف المسلمين .
٤ ـ فقدان روابط المحبة والتعاون والتكافل بين المسلمين .
٥ ـ الاستبداد المنتشر انتشار الأمراض السارية .
٦ ـ تقديم المصالح الشخصية على المصالح العامة .

ويقول : إن الإسلام فوق السياسة ، وكل السياسات يجب أن تخدم

الإسلام ، وليس لأحد أن يتجرأ لجعل الدين مطية للسياسة . وإنني لراج أن يترك العرب اليأس ، ويدعموا الأتراك جيش الإسلام البطل ، ويرصوا الصفوف ، ويرفعوا راية القرآن ، وينشروا الإسلام في كل مكان .

موقف جماعة النور من الإنكليز : لقد أدرك النورسي خطر السياسة البريطانية إزاء الشعوب الإسلامية فكتب كتابه (الخطوات الست) كشف فيه عن دسائس الإنكليز وأحابيلهم ببراهين قوية ، مفنداً حججهم ، ومحذراً المسلمين من أخطارهم وأطماعهم ومؤامراتهم ، مما كان له الأثر في تعبئة الرأي العام ضد الاستعمار .

ثورة ديار بكر ونفي النورسي : قامت ثورة مسلحة في منطقة ديار بكر ، فاتهم النورسي بالتحريض عليها ، فنفي إلى بارلا في أسبارطة غرب الأناضول مدة ثماني سنوات ، وهناك تفرغ لتأليف رسائل النور وعددها ١٣٠ رسالة ، يتعلق معظمها بإزالة الشكوك ، وتقوية عقائد المسلمين ، واهتم بسرية وإعداد أفراد جماعته ، وتعتبر هذه الفترة بداية تحول اتجاهه من السياسة إلى التربية ، وانتشرت رسائله في تركيا ، فأقبل عليها الناس ، فخاف الاتحاديون ؛ وزجوا قيادات الجماعة في السجون ، ووجهوا لهم التهم التالية :

١ - تأليف جمعية سرية .

٢ - العمل على هدم الثورة الكمالية .

٣ - ووصفهم مصطفى كمال أتاتورك بالعداء للدين والدجل والسفه .

٤ - اعتمادهم في اتهام مصطفى كمال على الأحاديث النبوية والآيات القرآنية .

٥ - إثارة روح التدين في تركيا .

دامت المحاكمة عشرة أشهر ، كانت نتيجتها تبرئة الجماعة من هذه التهم ، ثم مرت الجماعة بسلسلة امتحان . كان النورسي خلالها يتنقل من سجن لمنفى

وهكذا حتى توفي في أزار ١٩٦٠ م .

بعد موت النورسي : حدثت بعد موت النورسي تطورات وانقلابات وحرية برلمانية ، برز خلالها حزب السلامة الوطني كقوة إسلامية تركية مرجحة ، استقطبت معظم العاملين في الحقل الإسلامي .

وكان معظم شباب النور ممن تلاحموا مع جماعة حزب السلامة الوطني ، ونتيجة الضغط والتآمر انقسمت الجماعة إلى ثلاثة أقسام :

١ - قسم التحم مع حزب السلامة .

٢ - قسم بقي على الحياد حاملاً اسم حزب النظام الوطني (يلي نظام) .

٣ - وأناس كشفوا عما تكنه صدورهم من حقد على الإسلام وأهله ، فوقفوا من الانتخابات النيابية موقفاً معادياً لجماعة أربكان .

فحاربوهم ، وافتروا على أعضائه ، وشهروا بهم ؛ إرضاء لمعارضيهم ، ولهذا القسم اليوم إمكانات ضخمة ، وجريدة يومية اسمها أسيا الجديدة ، وبذلك لم تعد حركة النورسي حركة واحدة ، بل جزئت واشتغل بعضها في مناهضة المسلمين (وإنا لله وإنا إليه راجعون) .

☆ ☆ ☆

حزب السلامة الوطني في تركيا

حزب سياسي إسلامي يعمل لإنقاذ تركيا من السيطرة الأجنبية ، ومن الانحلال الخلقي ، والانحراف العقيدي ، ويسعى لتقريب الشعب التركي من الإسلام الذي حال كمال أتاتورك ـ العميل الماسوني ـ بينهم وبينه .

أسسه المهندس نجم الدين أربكان ، درس الهندسة في تركيا ، ونال الدكتوراه من ألمانيا الغربية ، واستطاع أثناء دراسته أن يطور الدبابات الألمانية فنال مكافأة على ذلك ، رشح أربكان نفسه لرئاسة الغرف التجارية والصناعية التركية فنجح نجاحاً كبيراً ، ولكن السلطة حاربته ، ومنعت الاستيراد لإضعاف مركزه المعنوي ، ثم أقالته من منصبه ، ثم طردته من مقر عمله ـ بتأثير من الصهيونية العالمية ، وربيبتها الماسونية ـ ثم رشح أربكان نفسه لمجلس النواب عن دائرة قونية فنجح نجاحاً باهراً ، وفي ٢٦ يناير ١٩٧٠ شكل أربكان في البرلمان تكتلاً إسلامياً أسماه حزب النظام الوطني ونظراً لتبني الحزب أيديوليجية إسلامية ، وابتعاده عن مظاهر الإجلال لأتاتورك ، فقد أغلق الحزب وأحيل قادته للمحاكمة بتهمة الدعوة إلى الإسلام ، وما أن انفرجت الكربة حتى أسس أربكان حزبه الجديد حزب السلامة الوطني عام ١٩٧٢ م .

ولئن ابتعد أربكان عن تسمية حزبه تسمية إسلامية فيرجع ذلك إلى أنظمة تركيا العلمانية التي لا تسمح بترخيص أي حزب أو جماعة دينية ، لذا سمى حزبه حزب السلامة تفاؤلاً بأن سلامة تركيا ستكون على يدي حزبه . الوطني لأن الإسلاميين أصدق الناس حباً لوطنهم وأكثرهم إخلاصاً له .

وفي ١٧ نوفمبر عام ١٩٧٤ م انعقد الاجتماع الثاني للحزب وفيه صنف أربكان التيارات التي تسود تركيا إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ الفكر الوطني ويمثله حزب السلامة .
٢ ـ الفكر الحر الليبرالي ويمثله حزب العدالة .
٣ ـ الفكر اليساري ويمثله حزب الشعب الجمهوري .

كما حدد أهداف حزب السلامة في خمسة مبادىء إصلاحية هي :

١ ـ نشر السلام والأمن في ربوع تركيا .
٢ ـ امتزاج الأمة بالدولة والتعاون بين الحكام والمحكومين .
٣ ـ النهضة الأخلاقية أساس النجاح .
٤ ـ النهضة المادية في مختلف مرافق الحياة أساس التطور .
٥ ـ إعاة بناء تركيا الكبيرة من جديد .

ونظراً لقيام حزب السلامة على الإيمان بالله وعلى الاهتمام بالأخلاق والاعتزاز بحضارة الإسلام . فقد حقق نجاحاً في الانتخابات التي خاضها لأول مرة عام ١٩٧٣ حيث حصل على ٤٩ مقعداً ، وبذلك أصبح حزب السلامة ثالث كتلة سياسية في البلاد ، وساهم في ائتلافين وزاريين ، كما أعلن الحزب عن برنامجه في التصنيع ؛ شمل مصانع الحديد ، وقطع الغيار ، والصناعات الثقيلة .
لقد افتتح أربكان في أول سنة اشترك فيها في الحكم ١٥٢ مدرسة للأئمة والخطباء ، وزاد مدارس تحفيظ القرآن إلى ٣٨٠٠ مدرسة ، ورفع عدد المعاهد العليا من أربعة إلى ستة .

كما استطاع إدخال مادة الأخلاق (الدين) إلى المدارس ، وطالب بمقاطعة السوق الأوربية المشتركة ، والتزام جانب الحياد الدولي . ومما يدل على إخلاص هذا الحزب لوطنه ، وعدم تمكن الاستعمار من السيطرة عليه ما كتبته عنه صحف الغرب قائلة :

لخصت صحيفة لوس أنجلوس تايمز موقف الغرب من حزب السلامة بما يلي :

١ ـ إن احتمال نجاح أربكان،يحدث قشعريرة وشكوكاً في الأوساط السياسية التركية ، وفي كواليس السفارات الغربية في أنقرة . لأن أربكان يقف ضد أي تسوية في قبرص .

٢ ـ وهو ضد السوق الأوربية المشتركة .

٣ ـ وهو يريد تحويل تركيا عن الغرب والعودة بها من جديد إلى تراثها الإسلامي والشرقي .

٤ ـ وهو غير عابىء بتوتر العلاقات التركية الأمريكية ، ويطالب أن يصحح الأخطاء الكثيرة التي ارتكبتها أمريكا في حق تركيا.

وقالت الايكونومست البريطانية : إذا قدر لحزب السلامة الفوز بالانتخابات القادمة فإن الشيء المثير للقلق في الغرب هو أنه لا يزال إلى الآن فئات كبيرة من الشعب التركي لم تستطع حتى الآن هضم الإصلاحات التي قام بها أتاتورك .

وكتبت جريدة لوفيغارو الفرنسية تركيا وصلت إلى مفترق طرق والمراقبون السياسيون ينظرون بتشاؤم إلى تركيا التي تدل تطوراتها الأخيرة أنها تريد استرجاع أمجاد الإمبراطورية العثمانية ، وتعيد أمجاد الإسلام .

☆ ☆ ☆

الإخوان المسلمون

نعرفهم بما عرفوا به أنفسهم في قانون نظامهم الأساسي المادة الثانية وهي : الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة ، تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف وما يتصل بهذه الأغراض مثل :

أ ـ شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً يوضحها ويردها إلى فطرتها وشمولها ، ويعرضها عرضاً يوافق روح العصر ، ويرد عنها الأباطيل والشبهات .

ب ـ جمع القلوب والنفوس على هذه المبادىء القرآنية ، وتجديد أثرها الكريم فيها ، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة .

جـ ـ تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها ، والعمل على رفع مستوى المعيشة .

د ـ تحقيق العدالة الاجتماعية ، والتأمين الاجتماعي لكل مواطن ، والمساهمة في الخدمة الشعبية ، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة ، وتشجيع أعمال البر والخير .

هـ ـ تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً ، والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي ، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً ، والسير إلى الجامعة الإسلامية .

و ـ قيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عملياً ، وتحرسها في الداخل ، وتبلغها في الخارج .

ز ـ مناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل المثل العليا الفاضلة التي تصون الحريات ، وتحفظ الحقوق ، والمشاركة في بناء السلام والحضارة

الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة ، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة .

وسائل الإخوان التي حددتها المادة الثانية من نظامهم الأساسي

يعتمد الإخوان المسلمون في تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية وعلى كل وسيلة أخرى مشروعة :

أ ـ الدعوة:بطريقة النشر والإذاعات المختلفة من الرسائل والنشرات والصحف والمجلات والكتب المطبوعة ، وتجهيز الوفود والبعثات في الداخل والخارج .

ب ـ التربية : بطبع أعضاء الهيئة على هذه المبادىء ، وتمكين معنى التدين العملي لا القولي في أنفسهم أفراداً وبيوتاً ، وتكوينهم تكويناً صالحاً بدنياً بالرياضة ، وروحياً بالعبادة ، وعقلياً بالعلم ، وتثبيت معنى الأخوة الصادقة ، والتكامل التام ، والتعاون الحقيقي بينهم ؛ حتى يتكوَّن رأي عام إسلامي موحَّد ، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، يعمل بأحكامه ، ويوجه النهضة إليه .

جـ ـ التوجيه : بوضع بعض المناهج الصالحة في كل شؤون المجتمع ؛ من التربية والتعليم ، والتشريع والقضاء ، والإدارة ، والاقتصاد ، والصحة العامة ، والحكم ، والاسترشاد بالتوجيه الإسلامي في ذلك كله ، والتقدم بها إلى الجهات المختصة ، والوصول بها إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية الدولية ، لتخرج من دور التفكير النظري إلى التفكير العملي .

هـ ـ العمل : بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية وفنية وعلمية ، وبتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجىء ، وتأليف لجان لتنظيم الزكاة والصدقات لأعمال البر والإصلاح بين الأفراد والأسر ، ومقاومة الآفات

الاجتماعية ، والعادات الضارة ، والمخدرات والمسكرات ، والمقامرة ، والبغاء ، وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة وقت الفراغ بما يفيد وينفع ، ويستعان على ذلك بإنشاء أقسام ممثّلة طبقاً للوائح خاصة تتفق مع القانون رقم ٤١ لسنة ١٩٤٥ الخاص بتنظيم الجمعيات الحزبية وأعمال البر ، وتسجيلها بوزارة الشئون الاجتماعية .

لقد لخص المرشد العام حسن البنا الأسس التي يعتمدون عليها في استخدام وسائلهم بثلاثة أسس هي :

١ ـ الإيمان العميق .
٢ ـ التكوين الدقيق .
٣ ـ العمل المتواصل .

غاية الجماعة تتلخص في رسالة الإخوان (تحت راية القرآن) حيث يقول مرشدهم حسن البنا رحمه الله تعالى نريد :١ ـ الفرد المسلم (وذلك بتثقيف عقله ، وتهذيب سلوكه ، وتزكية روحه ، وتقوية جسمه) .

٢ ـ والبيت المسلم (نتيجة تأثير المسلم الصالح بأسرته فيرتفع بها إلى الأسرة المسلمة) .

٣ ـ والمجتمع المسلم (الذي يتكون بإجماع وتآلف الأسر المسلمة) .

٤ ـ الحكومة المسلمة (التي تنبثق عن الشعب المسلم) وتطبق فيه حكم الإسلام العادل لينعم الناس بالإسلام .

٥ ـ والدولة التي تقود الدول الإسلامية ، وتضم شتات المسلمين ، وتستعيد مجدهم ، وترد عليهم أرضهم المفقودة ، وأوطانهم المسلوبة ، وبلادهم المنصوبة تحت علم الجهاد ، ولواء الدعوة إلى الله حتى يشهد العالم بتعاليم الإسلام .

مفهوم الإسلام في نظر الإخوان المسلمون

ورد في رسالة التعاليم مفاهيم الناس عن الإسلام ثم مفهوم الإخوان عنه بما يلي :

١ ـ فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئاً غير حدود العبادة الظاهرة ، فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ، ورضي به ، وحسبه قد وصل إلى لب الإسلام وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين .

٢ ـ ومن الناس من لا يرى الإسلام إلا الخلق الفاضل ، والروحانية الفياضة ، والغذاء الفلسفي الشهي للعقل والروح ، والبعد بها عن أدران المادة الظالمة .

٣ ـ ومنهم من يقف إسلامه عند حدود الإعجاب بهذه المعاني الحيوية العملية في الإسلام ، فلا يتطلب النظر إلى غيرها ، ولا يعجبه التفكير في سواها .

٤ ـ ومنهم من يرى الإسلام نوعاً من العقائد الموروثة ، والأعمال التقليدية التي لا غناء فيها ، ولا تقدم معها ، فهو متبرم بالإسلام ، وبكل ما يتصل بالإسلام ، ونجد هذا المعنى واضحاً في نفوس كثير من الذين تثقفوا ثقافة أجنبية ، ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية ، فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئاً أصلاً أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين ، هذه الصور المتعددة للإسلام الواحد في نفوس الناس جعلهم يختلفون اختلافاً بيناً في فهم الإخوان وتصرفهم .

٥ ـ ويقول : نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة ، وإن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول

الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هـذا الظن .

أ ـ فالإسلام ـ في نظر الإخوان المسلمين ـ عقيـدة وعبـادة ، وطن وجنسيـة ، دين ودولة ، روحانية وعمل ، مصحف وسيف ـ والقرآن الكريم ينطق بـذلـك كلـه ويعتبره من لب الإسلام ، ومن صميه ، يوصي بـالإحسـان فيـه جميعـه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ صورة القصص .

ب ـ إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعـاليم الإسلاميـة ومعينهـا هو كتـاب الله وسنـة رسـولـه ﷺ ، اللـذان إن تمسكت بها أمـة فلن تضـل أبـداً إلىٰ أن يقول : ولهذا يجب أن تستقىٰ النظم الإسلامية التي تعمل عليهـا الأمـة من هذا المعين الصافي ، وأن نفهم الإسلام كما فهمه الصحـابـة والتـابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً .

وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبويـة حتى لا نقيـد أنفسنـا بغير مـا قيـدنـا الله بـه ، ولا نلـزم عصرنـا لـون عصر لا يتفـق معــه ، والإسـلام دين البشرية جميعاً .

جـ ـ وإلى جـانب هـذا يعتقـد الإخوان المسلمون أن الإسـلام كـدين عـام انتظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمـان ، جـاء أكمـل وأسمى من أن يعرض لجـزئيـات هـذه الحيــاة ، وخصـوصــاً في الأمـور الدنيوية البحتة ، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هـذه الشؤون ، ويرشد الناس إلى الطريقة العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها .

الجهاز التنظيمي للجماعة

١ ـ **المرشد العام** : هو رئيس الجماعة مدى الحياة ، ينتخب من قبل أعضاء الهيئة التأسيسية ، يساعده مجلسان .

٢ ـ المجلس التنفيذي ويسمى بمكتب الإرشاد العام ، وينتخب من الهيئة التأسيسية .

٣ ـ ومجلس تشريعي وهو الهيئة التأسيسية وينتخب من الإخوان العاملين ، وتقسم المراكز الإدارية حسب التنظيمات الإدارية في الدولة :

أ ـ الشعبة : وتتكون من مجموعة إخوان الشعبة الموزعين إلى أسر وهي أصغر تنظيم في الجماعة .

ب ـ المنطقة أو المراكز : ويتألف من كل الشعب الموجودة في المنطقة .

جـ ـ المكتب الإداري : يتألف من كل المناطق الواقعة في حدود المديرية أو المحافظة .

نشاطات الجماعة التابعة لمكتب الإرشاد

١ ـ قسم نشر الدعوة .
٢ ـ قسم العمال .
٣ ـ قسم الفلاحين .
٤ ـ قسم الأسر .
٥ ـ قسم الطلبة .
٦ ـ قسم الاتصال بالعالم الإسلامي .
٧ ـ قسم التربية البدنية .
٨ ـ قسم الصحافة والترجمة .
٩ ـ قسم المهن .
١٠ ـ قسم الأخوات المسلمات .

أما اللجان الأساسية التابعة للمكتب فهي

١ ـ اللجنة المالية .
٢ ـ اللجنة القضائية .
٣ ـ اللجنة السياسيَة .
٤ ـ لجنة الخدمات .
٥ ـ لجنة الإفتاء .
٦ ـ لجنة الإحصاء .

مؤسس الجماعة

حسن البنا هو مؤسس الجماعة ولد عام ١٩٠٦ م في بلدة المحمودية التابعة لمحافظة البحيرة ، والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا تلقى علومه في الأزهر زمن الشيخ محمد عبده ، له تحقيق الفتح الرباني في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تخرج البنا من كلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٢٧ وعمره إحدى وعشرون عاماً . تأثر حسن البنا بالطريقة الحصافية ؛ فاستفاد منها أسلوبه في تهذيب النفوس والتربية الروحية ، تأثر بوالده فأخذ عنه أسلوبه في التحقيق والأخذ عن السلف ، تعلم من والده تصليح الساعات ، فاستفاد منها الدقة في العمل ، والدأب والصبر الطويل ، أنشأ مع زملائه عدة جماعات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فنمت ميوله للإصلاح والانشغال بالقضايا الاجتماعية العامة .

وبالجملة فإن حسن البنا رجل الإصلاح في عصره ، يتمتع بذكاء خارق ، وفهم للإسلام سليمٍ بعيدٍ عن التعصب والتفلت ، وإخلاص منقطع النظير ، دفعه للعمل في سبيل دعوته ، واستطاع بذلك جمع القلوب ، وتزكية النفوس ، ومقارعة الاستعمار ، ونشر دعوته في كافة أنحاء العالم ، اعترف بذلك الأقربون والأبعدون ، والأصدقاء والمخاصمون .

تاريخ الجماعة

أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمون عام ١٣٤٧ هـ ـ مارس ١٩٢٨م في الإسماعيلية ، وقال البنا : نحن إخوة في سبيل الإسلام فنحن إخوان مسلمون فوافقه المؤسسون الست على تسميته ، كان مدرساً في الإسماعيلية ، ثم نقل إلى القاهرة ، ثم نقل منها لنشاطه ، ثم تفرغ لدعوته . بدأ البنا في المرحلة الأولى يربي إخوانه فكرياً وروحياً ، ورياضياً ، وانضباطاً ، ليهيئهم لحمل رسالة

الإسلام ، والدعوة إليها كما فعل رسول الله ﷺ . ثم انتقل إلى المرحلة الثانية مرحلة التبشير بالدعوة وهي على مرحلتين :

أ ـ مرحلة الاتصال بكافة فئات الشعب من عمال وفلاحين وطلاب وموظفين وأساتذة جامعة ورجال أعمال ، تأثر فيها الكثيرون بدعوته ، كما أسس فيها جريدة الإخوان المسلمين الناطقة باسم الجماعة ، والتي تعبر عن رأيهم في القضايا الاجتماعية والوطنية .

ب ـ أما المرحلة الثانية فهي مرحلة تبليغ الدعوة للملك ولرؤساء الحكومات ، ورؤساء الأحزاب ، دعاهم فيها للحكم بما أنزل الله ، ورسم لهم طريق الإصلاح الإسلامي في السياسة والاقتصاد والاجتماع بكل وضوح ، سجلها في رسالة (نحو النور) .

جـ ـ في المرحلة الثالثة حدد الإخوان رأيهم في القضايا المعاصرة ، ففي السنة العاشرة استكمل الشكل التنظيمي للجماعة ، فوضحت فيها حقيقة الإخوان ، ومفهومهم في الإسلام ، ورأيهم في القومية والوطنية والوحدة والأحزاب والقوة ، وفي كل شيء ، سجلها مرشدهم في رسالة المؤتمر الخامس ، ثم بدأت المرحلة الرابعة مرحلة النشاط الوطني والسياسي ، نلخصها حسب التسلسل التاريخي إلى ما يلي :

١ ـ بعد فشل مباحثات صدقي ـ بيفن بشأن الاستقلال والجلاء استلم رئاسة الوزراء المصرية النقراشي باشا ، وقرر رفع القضية المصرية إلى مجلس الأمن الدولي ، ورافق النقراشي باشا وفد من الإخوان المسلمين برئاسة مصطفى مؤمن ، سافر الوفد بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٤٧ وتحدث مصطفى مؤمن في مجلس الأمن من شرفة الزائرين ، وأبرز وثيقة موقعة بدماء طلبة الجامعات تطالب بالجلاء التام ، وبوحدة وادي النيل ونتيجة لهذا الخطاب طرد مصطفى مؤمن

من صالة المجلس فقاد مظاهرة بمساعدة بعض البحاريين المصريين المقيمين في نيويورك ، ووقف بمظاهرته خارج مبنى هيئة الأمم المتحدة يؤكد مطالب الشعب المصري في التحرر ووحدة وادي النيل .

٢ ـ في الوقت الذي حصرت فيه المنظمات والأحزاب المصرية اهتمامها بالقضية المصرية تصدى الإخوان ـ بالإضافة إلى القضية المصرية ـ إلى القضايا العربية الإسلامية ، وأهمها قضية فلسطين .

بدأ اهتمام الإخوان ـ كما يقول ميتشل صاحب كتاب (الإخوان المسلمون) زار شقيق المرشد العام عبد الرحمن البنا المتحدث الرسمي باسم إخوان القاهرة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني عام ١٩٣٥ في فرنسا مبيناً له استعداد الجماعة للمساهمة في تحرير فلسطين ، ثم تأكد هذا الاهتمام حين خشي الإخوان على حياة الحاج أمين الحسيني من أن تسلمه فرنسا ـ التي منحته حق اللجوء السياسي ـ إلى إنكلترا التي أصدرت حكمها عليه بالإعدام ، فبلغوا أمين سره الأستاذ علي رشدي ، وطلبوا منه إبلاغ سيادة المفتي عن مخاوفهم ، كما أبدوا استعدادهم لنزوله ضيفاً عليهم ، ولقيامهم بحراسته ، فوافق الحاج أمين ، غير أن الإخوان استطاعوا أن يقنعوا السلطة بقبوله لاجئاً سياسياً ، وحضر الحاج أمين سراً إلى مصر ، حيث نزل لاجئاً سياسياً فيها .

٣ ـ وحين أعلن عرب فلسطين الإضراب العام ١٩٣٦ وقف الإخوان إلى جانب إخوانهم الفلسطينيين، فقاموا بجمع الأموال لمساندة القضية الفلسطينية، كما ألفوا لجاناً تعمل لدعم القضية عن طريق البرقيات والرسائل والصحافة والنشر والخطب ، وإرسال المؤن والذخائر وغيرها .

٤ ـ في أكتوبر سنة ١٩٤١ م قبض على البنا والسكري (المرشدالعام ووكيله) عقب اجتماع شعبي موجه ضد البريطانيين ، وأودعا السجن ، وصحبهما في ذلك السكرتير العام عبد الحكيم عابدين ، وعدد قليل من أعضاء

القيـادة ، كما عطلت صحف الجمـاعـة ، وكانت في ذلـك الحين (التعـارف ـ والشورى ـ والمنار) ، كما حرمت الحكومة على الصحف أن تكتب أية أنباء عن هذا الإجراء . ونتيجـة السخـط الشعبي الكبير لهـذا الحـدث أفرج عن المعتقلين بعد شهر واحد .

٥ ـ رشح حسن البنا نفسه لانتخابات ١٩٤١ فاستدعاه النحاس باشا رئيس الحكومة في ذلك الوقت طالباً إليه سحب ترشيحه قـائلاً لـه : ألا تقبل يـاابني أن تضع يدك في يدي من أجل المصلحة الوطنيـة التي مـا قبلت الوزارة بهـذه الصـورة إلا من أجلهـا ، فـالإنجليز وهم في محنتهم طلبـوا مني صراحـة أن لا تدخل أنت مجلس النواب فقـال لـه البنـا : كيف هـذا يـارفعـة الرئيس وحق الترشيح من أبسط حقوق الـدستور التي عشت تكافح من أجل صيـانتـه فقـال له : ياابني الدستور شيء وواقع الأحداث الآن شيء آخر ، تنازل وأنا أضمن لكم مزاولة نشاطكم بكل حرية فاستجاب البنا لطلبه وسحب ترشيحه .

٦ ـ وفي الانتخابـات ١٩٤٥ التي أجراهـا أحمـد مـاهر خـاض الإخوان هـذه الانتخابات وكانت أكثر الانتخابات تزويراً برأيهم ، فحين لم تفلح مساعي أحمد ماهر بالضغط على الجماعة لانسحابهم من الانتخابات حـاول إقنـاع شيخ الأزهر المراغي لإصـدار فتوى ضـدهم ، فـأخفق في ذلـك ، فلجـأ إلى التزوير في دائرة الإسماعيلية التي ترشح فيها حسن البنا حيث عين أحمد ماهر الحكمدار الإنكليزي رئيساً للـدائرة الانتخـابيـة ، بينمـا كانت سينـاء تحت إدارة الحكم العسكري الإنكليزي والحاكم العسكري كان رئيس الدائرة الانتخابية لـذا لم ينجح الإخوان نتيجة هذا التزوير .

٧ ـ حين أعلنت حكومة أحمد ماهر الحرب على ألمانيا تقـدم الإخوان بمـذكرة طالبوا فيها :

أ ـ بعدم دخول الحرب إلى جانب بريطانيا .

ب - بعدم تقديم أية مساعدة لها .

ولكن استمرار أحمد ماهر في سياسته تجاه بريطانيا أقدم أحد أعضاء الحزب الوطني على اغتيال أحمد ماهر بسبب دخوله الحرب إلى جانب بريطانيا .

٨ - بعد الحرب العالمية الثانية سافرت بعثة إخوانية مصرية إلى فلسطين ، لم تقتصر على نشر الدعوة الإسلامية بل كان فيها فنيون قاموا بتدريب الجوالة الفلسطينية - برئاسة محمود لبيب الضابط المتقاعد - استعداداً لمعركة التحرير المتوقعة مع الصهيونية وفي عام ١٩٤٧ طلبت السلطات الإنكليزية من محمود لبيب أن يغادر وإخوانه أرض فلسطين .

٩ - كان البنا على صلة وثيقة بصديقه القديم عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية في كل ما يتعلق بقضية فلسطين ، وما أن أصدر مجلس الأمن قراره بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ حتى انضم البنا إلى الشخصيات الإسلامية الأخرى مثل صالح حرب باشا رئيس الشبان المسلمين ، وعلوبة باشا الذين ألفوا لجنة وادي النيل ، وأخذوا يجمعون الأموال والأسلحة للمتطوعين الذين يجندون جهاراً لإنقاذ فلسطين ، وكان صالح أبو رقيق ممثل الإخوان في هذه اللجنة .

١٠ - وفي أكتوبر ١٩٤٧ أصدر البنا أوامره إلى شعب الإخوان كي يستعدوا للجهاد ، وسافرت أول كتيبة منهم إلى فلسطين في ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ م . وفي عام ١٩٤٨ وقبيل أسابيع من بدء الحرب الرسمية سافرت أول كتيبة من المتطوعين الذين جندهم عزام باشا إلى العريش بإمرة الضابط أحمد عبد العزيز الذي حصل على أجازة للالتحاق بالمجاهدين في حرب فلسطين ، وبدأ عمله بالهجوم على المستعمرات ، ثم انتهى بالدفاع عن منطقة في جبال الخليل . ثم التحق بالمجاهدين صلاح سالم وكمال الدين حسين ، بعد أن أجيزوا أسوة بأحمد

عبد العزيز ، وظل هؤلاء الضباط وأمثالهم يمدون المجاهدين بالسلاح والعتاد والتدريب طيلة حرب فلسطين ، وفي أثناء المقاومة الوطنية في قناة السويس .

والتحقت كتيبة الإخوان في ميدان الجهاد بقيادة محمود عبده وبإمرة الشيخ فرغلي ، فأبلت بلاءً حسناً ، وفكت الحصار عن الجيش المصري في الفالوجا ، وخاض الإخوان في النقب معركة كفارديروم الأولى ، ودافعوا عن الخليل وبيت لحم ، ثم فرضت الهدنة الأولى ، وسحب السلاح من المجاهدين ، واقتيدوا إلى المعتقلات بعد إصدار قرار بحل الجمعية ، ثم جرت أعمال عنف من قبل بعض العناصر المدربة على السلاح ضد بعض رجالات الحكم الذين اعتقلوا إخوانهم وعذبوهم ، ومشوا في ركاب الإنكليز ـ وقد استنكر المرشد العام هذه التصرفات الفردية ، غير أن ذلك لم يفده شيئاً ؛ حيث تم اغتياله من قبل السلطة بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٤٩ ، كما أثبتت المحاكمة التي جرت في عهد الثورة . ذلك بعد أن تلقى استدعاء من مجهول إلى المركز العام لجمعية الشبان المسلمين ، وهناك أطلق عليه الرصاص ، فنقل إلى المستشفى ، وظل فيه دون إسعاف حتى نزف دمه وارتفعت روحه إلى بارئها .

وقد أثبت محامو الدفاع بطلان التهم التي وجهت ضد الإخوان أثناء المحاكمات بالحيثيات التالية :

أولاً : بشهادة قائد الجيش المصري في حرب فلسطين أحمد المواوي بك، وأحمد فؤاد صادق اللذين أثبتا أن الإخوان تدربوا على السلاح للمساهمة في حرب فلسطين ، وأنهم ساهموا بشكل فعلي وجاد في محاربة الصهاينة ، وفي دعم الجيش المصري مما يؤكد حسن نيتهم وصدق جهادهم .

ثانياً : تأكد للمحكمة أن حكومة السعديين تلقت طلباً من السفارة البريطانية باسم السفارتين الأمريكية والفرنسية بحل الجمعية ـ وذلك لأن

استمرارهم في حرب فلسطين سيعرقل مساعيهم ، ووعدهم بإنشاء وطن قومي لليهود فيها ، وقد لبت الحكومة طلبهم ، ثم نطقت المحكمة بالحكم في ١٧ مارس ١٩٥١ ، وفيه نفي التهم الموجهة ضد الإخوان ، وحكمت على بعض الأفراد الذين تصرفوا بردود فعل شخصية نتيجة التعذيب والتهاون في قضية فلسطين فحكمت بالسجن ٣ سنوات على خمسة من المتهمين ، وبسنتين على اثني عشر متهماً ، وبسنة واحدة ، على واحد وبرأت ستة عشر متهماً .

وفي أكتوبر سنة ١٩٥١ أعلن رسمياً عن انتخاب حسن الهضيبي مرشداً عامّاً ، واستقال من منصبه في محكمة النقض ليقوم بمهام عمله الجديد .

١١ ـ مقاومتهم للإنكليز في قناة السويس :

إن مساهمة شباب الإخوان في حرب فلسطين عززت الثقة بينهم وبين الضباط الأحرار ، وما أن أعلن النحاس باشا إلغاء معاهدة ١٩٣٦ م حتى تحرك الشعور الوطني ، ودفع المخلصين للعمل على التحرر من الاستعمار الإنكليزي ، وسارع الإخوان المسلمون لخوض معركة التحرير ، فأقاموا معسكرات للتدريب في إقليم الشرقية ، وتطوع بعض الضباط الوطنين للتدريب فيها ، أمثال محمد علي سليم ، وعبد العزيز العلي ، وقد غضت الحكومة النظر عن هذه النشاطات .

وأنشأ طلاب الجامعة معسكرات التدريب في الجامعة بإشراف حسن دوح وساعدهم مدير الجامعة آنذاك الدكتور عبد الوهاب مورو ، وقد كتبت مجلة المصور تشيد بموقف الإخوان بقولها : كان للإخوان المسلمين الفضل الأكبر في تهدئة الحالة الشاذة في الجامعة . وبدأ المجاهدون نشاطهم بنسف القطارات العسكرية، والمطارات، ومخازن الأسلحة ، ومهاجمة الدوريات والمعسكرات، التابعة لجيش الاحتلال وقد ساعدهم في تأمين بعض الأسلحة ونقلها إلى الخطوط الأمامية

للوطنيون من ضباط الجيش، مثال عبد المنعم عبد الرؤوف، وصلاح سالم، وعبد الحكيم عامر، ومحمود رياض وغيرهم، كما ساعد الإخوان الضباط الأحرار في تحركهم ضد الملك؛ ففي يوم حريق القاهرة خشي عبد الناصر أن تفتش مكاتب الضباط الوطنيين في معسكر العباسية؛ فاتصل بالإخوان لنقل الأسلحة المخبأة في مكاتبهم، فسارع لنقلها قادة الإخوان: منير دلة، وصلاح شادي، وصالح أبو رقيق، وعبد القادر حلمي، وخبأوها في عزبة محمد عشماوي باشا والد حسن العشماوي في مخبأ أعدّ بمعرفة جمال عبد الناصر نفسه، ويقول قادة الإخوان: لما وقع خلاف بين الإخوان وجمال عبد الناصر اتخذ عبد الناصر من هذه المخازن دليلاً لإدانتهم بمحاولة قلب نظام الحكم، ولئن امتحنت الجماعة مراراً ولكنها خرجت من امتحاناتها متماسكة صامدة، وكسبت أنصاراً جدداً في فترات محنتها، ويرجع الفضل في ذلك إلى قوة أفكارها الإسلامية، وانسجامها مع العقل والعلم، وبعدها عن الخرافة والتحيز العنصري، وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

١٢ - في ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ أعلنت حكومتا الثورة المصرية والبريطانية موافقتهما المشتركة على اتفاق جديد لتسوية مشكلة قناة السويس، وفي ٣١ يوليو ١٩٥٤ م نشرت صحف سورية ولبنان اعتراض الإخوان المسلمون على هذا الاتفاق لخّصها المرشد العام حسن الهضيبي بما يلي:

أ - كانت معاهدة ١٩٣٦ ستنتهي بعد سنتين مما يحتم جلاء الإنكليز دون ارتباط قانوني، بينما تعطي المعاهدة الجديدة لبريطانيا حق العودة إلى قواعدها في القناة إذا تعرضت الدول العربية أو تركيا لهجوم.

ب - إن النص الخاص بالعودة حالة الهجوم على تركيا يربط مصر والبلاد العربية ببريطانيا.

جـ - النص الذي يسمح لبريطانيا أن تحتفظ بقواعدها الجوية في مصر فيه

تهديد لمصر ، كما أنه وسيلة لاستمرار السيطرة في عصر الطيران اليوم .

د ـ إن المدنيين الذين سيساعدون في تشغيل المنشآت بالقواعد العسكرية البريطانية هم بطبيعة الحال عسكريون بثياب مدنية .

هـ ـ مد هذا الاتفاق (معاهدة ١٩٣٦) خمس سنوات أخرى وسمح بالتشاور في إعادة النظر فيه بعد انتهاء مدته : هو نفس النص الذي جعل معاهدة ١٩٣٦ معاهدة دائمة حين تمدد باستمرار ، وطالب الهضيبي بعرض أي اتفاق مع دولة أجنبية على برلمان منتخب انتخاباً حراً ، يمثل إرادة الشعب ، وأن يسمح للصحافة بإبداء رأي الشعب فيها .

وقد استنكر الشعب السوري بكافة اتجاهاته هذه المعاهدة ، وتظاهرت الأحزاب المتنافرة لأول مرة في مظاهرة واحدة تشجب هذه الاتفاقية لمساسها باستقلال مصر ، ونقلت الإذاعة السورية هذا الاستنكار ، وكان الإخوان هم الوحيدون الذين اعترضوا على هذا الاتفاق ، فاعتبره رجال الثورة وصاية من الإخوان عليهم ، وكانت المحنة التي كان حصيلتها إعدام ستة من الإخوان هم : محمود عبد اللطيف ، وهنداوي ، وقادة الجهاد في القناة : إبراهيم الطيب ، ويوسف طلعت ، والشيخ محمد فرغلي ، وكبير رجال القانون عبد القادر عودة ، ولم تجدِ وساطات العالم العربي والإسلامي لتخفيف حكم الإعدام ، وكان من جملة الوسطاء فارس الخوري رئيس الحكومة السورية ، وكان آخر ابتلاء يوم أعدم قادة الثورة المفكر الإسلامي الكبير سيد قطب عام ١٩٦٦ .

☆ ☆ ☆

حزب التحرير

نشأته :

أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني في أوائل الخمسينات ، تخرج النبهاني من الأزهر عمل في محكمة الاستئناف الشرعية في القدس ، ألف قبل تأسيسه للحزب كتاباً أسماه ـ رسالة العرب ـ ظهرت فيه نزعته القومية بشكل واضح .

تظاهر الشيخ النبهاني بصداقته للإخوان المسلمين في القدس ، وألقى في مركزهم عدة محاضرات ، كما أظهر حبه للشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى .

ولما أعلن الشيخ النبهاني عن تأسيسه لحزب التحرير حاول الإخوان أن يثنوه عن عزمه لئلا تزداد الشروخ في جسم هذه الأمة المسلمة ، وتدخل سيد قطب في الموضوع فكان شرط الشيخ لتراجعه عن تأسيس حزبه : هو استقلال إخوان فلسطين عن إخوانهم في مصر ، وانفصال قيادة إخوان القدس عن قيادة إخوان القاهرة فرفض طلب الشيخ ، وكانت المفاصلة ، وتوجس الإخوان من الشيخ خيفة نظراً لغرابة هذا الطلب الذي لا يصدر إلا عمن يريد لهذه الجماعة التفرقة والتمزيق .

الأهداف والوسائل

يهدف حزب التحرير إلى الوصول إلى الحكم ، وإقامة الخلافة الإسلامية ، أما وسائله إلى ذلك فوسيلتان : الاهتمام بالعمل الثقافي ، والاهتمام بالعمل السياسي .

أ ـ **الاهتمام بالعمل الثقافي :** يرى الشيخ أن الأمم لا تنهض بالأخلاق بل بالأفكار ، ورد في كتاب التكتل الحزبي ص ١٨ ما يلي : (قامت إلى جانب الجمعيات الثقافية والخيرية جماعات أخلاقية تعمل لنهضة الأمة على أساس من

الأخلاق ، ولقد كان قيام مثل هذه الجمعيات مبنياً على الفهم المغلوط لقوله تعالى ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم** ﴾ مع أنه وصف لشخص الرسول ﷺ وليس للمجتمع الإسلامي) انتهى . غريب جداً أن يقبل أفراد الحزب هذا الفهم المغلوط للأخلاق في نظر الشيخ . إذ ما فائدة العقائد والأفكار إذا لم تترجم إلى سلوك وأخلاق . ألم يسمعوا قول الله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ (الصف : ٣،٢) وقوله تعالى : ﴿ **مثل الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ (الجمعة : ٥) وقوله تعالى : ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾(هود : ١١٢) .

الأخلاق في الإسلام أساس من أسس الدين ، وهي واجبة على كافة المسلمين يؤجرون على التزامها ، ويغضبون الله حين تركها والابتعاد عنها . أليس بر الوالدين وطاعتها ، وصلة الرحم ، والاستقامة في المعاملة ، والتقوى ، والصدق ، أخلاق تدل على صحة الإسلام ، وصدق الإيمان ؟! ولا نريد أن نطيل الحديث في هذا الموضوع لأنه من المسلمات في الشريعة الإسلامية . أما أسلوبهم في العمل الثقافي فتوضحه الفقرة التالية .

جاء في كتاب مفاهيم سياسية ص ٨٧ ما يلي : (الاهتمام بالعمل الثقافي يكون بتثقيف الملايين من الناس تثقيفاً جماعياً بالثقافة الإسلامية ، وهذا يوجب على الحزبي أن يتقدم أمام الجماهير ، ويتصدر لمناقشتهم وأسئلتهم وشكوكهم وتأييدهم حتى يصهرهم بالإسلام) .

ويرون أن هذا العمل لا يحتاج إلى قرون ولا إلى عشرات السنين بل إنه لابد أن ينتج حتماً على يد نفس الجيل الذي يقوم بهذا التثقيف كما نص على ذلك كتاب الخلافة صفحة ١٥٨ . لقد بلغ بهم الأمر أن حددوا مدة ثلاث عشر سنة للانتصار ، وهي المدة التي انتصرت فيها دعوة سيدنا محمد بن عبد الله

ﷺ ، وإذا تجاوز الحزب هذه المدة ولم يكتب له النصر عندها لم يعد لوجودهم مبرراً . وتجاوز الحزب هذه المُدة ، ولم يحقق نجاحاً ، ولكنه لازال مستمراً في نشاطه حتى اليوم .

هذا الفهم الخاطىء للتربية الثقافية أدى إلى نتائج سلبية أهمها :

١ ـ التساهل بأخلاقيات وعبادة المنتسبين للحزب ؛ إذ تجد بين أشد دعاتهم حماساً من يتهاون بالصلاة ، وهذا مما عرضهم للتجريح ولضعف الثقة بهم . ولما حاولوا تبرير هذا وقعوا بما هو أسوأ حين فسروا الآية الكريمة حسب أهوائهم فقالوا : ﴿ **الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة** ﴾ (الحج : ٤١) ففسروها بأنهم غير ملزمين بأداء الصلاة حتى يمكّن الله لهم في الأرض ، وتقوم دولة الإسلام والخلافة الإسلامية . ولكنهم ما لبثوا أن تراجعوا عن هذا الرأي أمام هجوم المسلمين عليهم . ويقول أحد دعاتهم البارزين : دخلت على الشيخ تقي الدين فاقترحت عليه أن يدخل القرآن الكريم في منهاج الدارسة في حلقات الحزب فقال : أسمع ياأمين لا تتلف لي شباب الحزب أنا لا أريد دراويش .

٢ ـ الدخول في جدل مستمر على كافة المستويات وفي كل المناسبات حيث أقحموا فيه الجميع الصالح للنقاش وغير الصالح ، والمثقف والجاهل ، بمناسبة وبغير مناسبة ، هذا الأسلوب أضفى عليهم صفة الجدلية ، فقد تميزوا بالجدل والمكابرة ، مما أدى إلى ابتعاد الناس عنهم ، وعدم الخوض معهم في جدل ، لأن الجدل ممقوت يقول رسول الله « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ولقد قال فيهم الأستاذ المودودي كلمته المشهورة : لا تجادلوهم دعوهم للأيام يموتوا .

ب ـ **الاهتمام بالعمل السياسي :** يقول الشيخ تقي الدين في كتابه (نداء حار إلى العالم الإسلامي) صفحة ٩٨ ما يلي : (إن أي مجتمع يعيش فيه الإنسان داخل جدارين سميكين : الجدار الداخلي : جدار العقيدة والفكر :

والجدار الخارجي جدار الأنظمة التي تعالج علاقات الناس . فإذا أريد هدم هذا المجتمع من قبل أهله أنفسهم فلابد أن يركز هجومه على الجدار الخارجي ، فيؤدي ذلك إلى صراع فكري ينتهي بالانقلاب الفكري ، فيتبعه تلقائياً الانقلاب السياسي الذي يؤدي إلى تغيير النظام والحكم وسائر العلاقات).

وقد أدى تصديهم لأنظمة الحكم قبل التركيز على تربية الأفراد إلى مضاعفات أهمها :

١ ـ دخل أفراد الحزب في صراع مع السلطة فاتهموا الحكام بالكفر والخيانة ، ووزعوا في ذلك المنشورات ، مما عرض عناصر للاعتقال والأذى قبل أن يصلب عودهم ، وتنتشر فكرتهم ، ويكثر أنصارهم ، فتساقطوا أمام أساليب أجهزة الأمن ضعفاً وعمالةً وبعداً . لأنه ليس لديهم من التربية الروحية ما يساعدهم على الصبر والثبات أمام الابتلاء .

٢ ـ كما أن تصدي أفراد الحزب وهجمتهم على كافة الحركات الإسلامية عامة ، وعلى الإخوان خاصة ، شغلهم عن التربية والإعداد ـ ذلك لأنهم يرون أن كافة الجماعات الإسلامية تقوم على أساس غير إسلامي ، وعلى أساس فاسد ، لذا فمهمتهم الأولى هدم هذه الجماعات بالهجوم على أفكارهم ، ثم إقامة تنظيمهم على أنقاضها ، وسحب عناصرها إلى تنظيمهم . وكأنه لم يعد بين المسلمين من يستحق الاهتمام والإرشاد والتثقيف غير أبناء الجماعات الإسلامية المثقفة الواعية العاملة لما يرضي الله عز وجل . قلت لأحد زعمائهم : إنكم تقولون:إن الجماعات الإسلامية تقوم على أساس غير إسلامي لذلك تحاولون تهديمها . فما رأيكم لو نظرت إليكم هذه الجماعات نفس النظرة ـ وقد يكون لديهم ما يبرر ذلك ، وبدأتم التهديم ببعضكم البعض ،أتظنون أنكم تخدمون الإسلام ، وتقاربون بين صفوف المسلمين . وهل يمكن لكم الالتقاء على ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين في يوم ما وبينكم ما بينكم من تارات ، أما لو أنكم

نظرتم بـأنكم على حق يحتمل الخطـأ وأن غيركم على خطـأ يحتمل الصواب لقربت الشقـة ، ولأمكنكم التعـاون والتقـارب ، ولرفعتم الحواجز بينكم وبين الجمـاعـات الإسلامية الأخرى .

الأهداف المرحلية

١ ـ **مرحلة التثقيف :** ورد في كتـاب (التكتل الحزبي) ص ٢٧ مـا يلي : (أمـا نظـرة الحـزب إلى طريقـة تربيـة أفراده : فيرى أن السبيـل إلى إيجـاد الشخصية الإسلامية هو التثقيف بالثقافة الإسلامية ، تثقيفاً مركزاً ، أو تثقيفـاً جماعيـاً ، لـذلـك هيـأ الحـزب لأفراده ثقـافـة يتـدارسـونهـا بينهم في لقـاءاتهم الدورية ـ تلك هي المرحلة الأولى ـ وبعد هذه المرحلة تأتي .

٢ ـ **مرحلة التفـاعل** مع المجتمع عن طريق العمل الثقـافي والسيـاسي وتلـك هي مرحلة **الصراع الفكري .**

٣ ـ **ثم تـأتي مرحلـة الانقلاب الفكري :** وهي مرحلـة تسلم زمـام الحكم عن طريق الأمة تسلماً كاملاً .

طلب النصرة : وإنه لابد لهم في هذه المرحلـة من طلب النصرة ممن بيـدهم السلطة عن طريق إقناعهم بالفكرة ، دون أن يشترطوا التزامهم التـام بتكاليف هـذه الفكرة ، وقـد يكـون طلب النصرة من رئيس دولـة أو رئيس كتلـة أو قائـد جمـاعـة أو زعيم قبيلـة أو سفير أو مـا شـاكل ذلـك . (كما ورد في نظـام الإسلام ص ٦١) .

إن هذه الفكرة خياليـة فقـد طلب الحزب النصرة من سوريـة والعراق فلم يستجب لـه ، ولا يخفى على أحـد خطـورة قبـول النصرة من غير الملتزمين بالإسلام ، إذ لا يمكن لرئيس دولة أو زعيم طائفة أو سفير دولـة أن يقـدم على مساعدة أحد دون مقابل ، هـذا إذا لم يوعز لأنصـاره بسرقـة مكاسب الثورة ، وتوجيه تحركها لصالحه ، أو المكر بمن طلب النصرة منه ، ومحاولة القضـاء عليهم ،

هذا إلى جانب مخالفتها للنصوص الشرعية : خرج رسول الله ﷺ فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل ـ قد كانت تذكر فيه جرأة ونجدة ـ ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال للرسول ﷺ : جئت لأتبعك وأصيب معك (يعني يأخذ نصيبه من الغنائم) .

قال : « أتؤمن بالله ؟ قال : لا . قال فارجع فلن أستعين بمشرك فلما أسلم أذن له » عن سبل السلام جـ ٤ صـ ٤٩ .

فإن كانوا يقيسون ذلك على دخول الرسول الكريم في جوار أحد المشركين (المطعم بن عدي) زمن الجاهلية فهذا قياس مع الفارق . لأن طلب الرسول هو طلب حماية وليس طلب نصرة . إذ شتان بين من يتعرض للإهانة والأذى فيطلب الحماية من الاعتداء عليه ودفع الأذى عنه ، وبين من يطلب النصرة ليهاجم وليقوم بانقلاب مسلح ليتسلم السلطة .

☆ ☆ ☆

وإليكم أهم الملاحظات على كتابات مفكري هذا الحزب والتي سجلها الدكتور سعيد رمضان البوطي في مجلة حضارة الإسلام العدد الرابع السنة الرابعة عام ١٩٦٣ تحت عنوان دس خطير لا يجوز السكوت عليه أوجزها فيما يلي:

الملاحظات

١ ـ جاء في الصفحة ١٠٤ من (كتاب نداء حار إلى العالم الإسلامي) ما يلي :

(إن الأمة الإسلامية منكوبة ببلاءين . أحدهما : أن حكامها عملاء للكفار المستعمرين ، وثانيهما : أنها تحكم بغير ما أُنزل الله . ولذلك كان لزاماً عليها في البلدان التي فيها دول حكامها ليسوا عملاء للكفار مثل تركيا والأفغان أن تكافح نظام الكفر لإزالته ، وللحكم بما أنزل الله ، أي لإقامة الخلافة الإسلامية ، أما في البلدان التي حكامها عملاء كباكستان والعراق والأردن ولبنان والسعودية وإيران وسوريا وأندونيسيا والسودان وغيرها فإنه فرض على الأمة أن تكشف عمولة العملاء).والعجب أن حكام تركيا العلمانيين الذين يحيلون إلى القضاء كل من يدعو إلى الإسلام بتهمة مخالفة دستورهم العلماني يعتبرون بنظرهم ـ مسلمين ـ وحكام باكستان وباقي الدول الإسلامية عملاء للكفار . وهو منطق غريب .

٢ ـ وجاء في الصفحة ١٠٩ من نفس الكتاب : ما يلي :

(وهذا يعني أنه مع الأصل أن الكفار يدفعون الجزية ، ولكن إذا رأت الدولة أن الظرف يقتضي أن يدفع المسلمون الجزية فإنه يجوز أن يراعوا الظروف ويدفعوا الجزية للدولة الكافرة) . قد يستطيع أي حاكم ظالم أن يصادر أموال المسلمين بغير حق ، أما أن يعطى المسلم ماله عن طيب نفس وبفتوى رسمية من زعيم حزب التحرير فهذا لا يتناسب مع تعاليم الإسلام التي ربت المسلم على العزة والكرامة ، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين . وهذا بالتالي ما يثير الشكوك والشبهات حول أصحاب هذا القول .

٣ ـ وجاء في نشرة الحزب جواب وسؤال ٤ جمادى الأول سنة ١٣٩٠ ما يلي :

(لو أن مسلماً يعيش في الحجاز ويريد أن يسافر إلى مصر فإنه يجوز له أن يركب طائرة تملكها شركة مساهمة من الشركات الأوربية أو الأمريكية لأن التعاقد معها صحيح ، ولكن لا يحق له أن يركب في طائرة تملكها شركة مساهمة أصحابها مسلمون لأنها لا تكون أهلاً للتصرف ويكون التعاقد معها حراماً ويكون الانتفاع بالتذكرة حراماً) .

إذا كانت علة التحريم كونها شركة مساهمة فيستوي في التحريم الشركة المساهمة العربية المسلمة والأجنبية فلماذا أجازوا التعامل مع شركات الإنكليز والأمريكان ، وحرموا التعامل مع الشركات الإسلامية ؟! الله أعلم ؟ .

٤ ـ ورد في الدوسيه ص ٦٢ وهو كتاب الحزب المتبني ما يلي :

(وهنا قد يرد سؤال وهو أن العميل قد يهيء معركة مصطنعة مع الكفار لتنفيذ خطة لدولة كافرة فهل في هذه الحالة يجب القتال تحت راية ذلك الحاكم العميل .

والجواب على ذلك : إن كانت الخطة ليس فيها حرب للمسلمين ولا إيقاع أذى بهم فالقتال واجب تحت راية ذلك الحاكم ، ولو كان تنفيذاً لخطة دولة كافرة ما دام قتالاً للكفار لأن أدلة الجهاد جاءت عامة غير مقيدة) .

ولا أدل على تهافت هذا الرأي من أن دخول المسلمين في الحرب سيعرضهم للقتل والإصابة والتشويه ، أفلا يعتبر ذلك إضراراً بالمسلمين . لقد حدد الإسلام هدف القتال في الآية الكريمة التالية ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** ﴾ (النساء : ٧٦) فجعله في سبيل الله فكيف أجازه الشيخ النبهاني تحت راية كافرة ألم يسمع

حديث رسول الله ﷺ « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » متفق عليه .

وقوله عن أبي هريرة « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب بعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية . ومن خرج عن أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه » .

والمقصود بالجاهلية إذا كان الحاكم كافراً ورايته كافرة أما إذا كان فاسقاً ورايته إسلامية فلا بأس بالقتال معه .

٥ ـ في نشرة جواب وسؤال ٨ محرم سنة ١٣٩٠ ورد ما يلي :

(من قبّل قادماً من سفر رجلاً أو امرأة ، وصافح آخر رجلاً كان أو امرأة ولم يقم بهذا العمل من أجل الوصول إلى الزنا أو اللواط فإن هذا التقبيل أو هذه المصافحة ليسا حراماً ولذلك كانا حلالين لا شيء فيهما) لم نعد نستغرب أن يخرق رئيس الحزب إجماع علماء المسلمين على تحريم قبلة المرأة الأجنبية سواء كانت قادمة من سفر أو كانت مقيمة .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لئن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . ويقول أيضاً : « أنا لا أصافح النساء » حديث صحيح أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه . هذا بالنسبة للمصافحة فكيف بالضم والقبلة أعوذ بالله من الجرأة على محارم الله .

٦ ـ يقول الشيخ النبهاني بعدم الأخذ بخبر الآحاد : وأنا لا أريد أن أخوض في هذا البحث باعتباره موضوعاً خلافياً ولكنه لابد لي من استعراض

أراء العلماء على خلاف مذاهبهم في هذا الموضوع .

لقد أجمع علماء المسلمين على أن خبر الآحاد إذا لقيه علماء الحديث بالقبول أخذ به. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ص ٣٥١ ما يلي:(ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به : إنه يوجب العلم وهذا ما ذكره المصنفون في أصول الفقه أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة من المتأخرين) .

وأورد الألباني عشرين وجهاً كلها توجب الأخذ بخبر الآحاد في العقائد .

وأورد الإمام الشافعي نيفاً وثلاثين دليلاً على حجية خبر الواحد - ويقول الإمام الشافعي في كتابه الرسالة . ص ١٢١ ما يلي : (اجتمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه) .

٧ - يحول الشيخ النبهاني الدوافع الروحية إلى مواضيع فكرية فيقول في نظام الإسلام ص ٦١ : (لا توجد في الإنسان أشواق روحية ونزعات جسدية ، بل الإنسان فيه حاجات عضوية وغرائز لابد من إشباعها ، فإذا أشبعت الحاجات العضوية والغرائز بنظام من عند الله كانت مسيرة بالروح ، وإذا أشبعت بدون نظام أو بنظام من عند غير الله كان إشباعاً مادياً يؤدي إلى شقاء الإنسان) .

كما يعرف الشيخ الروح بأنها إدراك الإنسان صلته بالله .

٨ - يقول الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مقال تحت عنوان دس خطير لا مجال للسكوت عليه نشر في مجلة حضارة الإسلام سنة ١٩٦٣ العدد الرابع السنة الرابعة جاء فيه : منذ أن سمعت بهذه الحركة وأنا أتتبع بدقة وأناة كل ما يقع تحت يدي من نشراتهم وكتبهم ، ولكنني أخيراً وقفت كما وقف أناس كثيرون غيري على دسائس في منتهى الخطورة والأهمية في كتبهم ، كما

حدثني بعض شهود العيان عن علاقات غير شريفة لدى بعض قادتهم : مما جعلني بحكم الإسلام لا أتهم فحسب بل وأكتب هذا المقال في التحذير منهم ، وذلك بعد أن حاولت الاتصال بالبعض منهم ابتغاء الرجوع إلى الحق فلم تجد المحاولة شيئاً غير العناد يالللأسف .

يقول في آخر المقال :

هكذا ولا ريب يفكر ذلك الأجنبي الواغل وهويحكم من وراء صفوف هذه الجماعة ويقذف إليهم بأفكاره عن الإسلام تباعاً .

ولئن كان ثمة فئة مأخوذة الفكر من شدة الحماس لشعارات الخلافة والدولة الإسلامية فهي لا تحس بالدس الذي ذكرناه فسوف لن يلبث الحماس العاطفي أن ينتهي دوره ليجيء من ورائه دور الفكر المتدبر المتعقل الذي سيكشف ولا ريب كل هذه الألغام الدفينة تحت بريق الشعارات الأخاذة . وعندئذ سينفضّ هؤلاء الإخوة المخلصون عن هذا الشباك وستنتهي هذه التجربة إلى ما انتهت إليه تجربة القاديانية وستدفن في التربة التي دفنت فيها من قبل ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ .

☆ ☆ ☆

من
الجماعات المشبوهة
البريلوية

البريلوية

نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في أواخر القرن التاسع عشر نسبة إلى مؤسسها أحمد رضا البريلوي المولود في مدينة بريلي عام ١٨٦٥ م في ولاية أتربوديش الهندية وتوفي عام ١٩٢١ م .

نشأ في بيت علم فوالده وجدّه من العلماء ، سمى نفسه عبد المصطفى ، وهذا لا يجوز في الإسلام لأن العبودية لله وحده .

كان شديد سواد البشرة نحيفاً ، يشكو من الصداع ، وآلام الظهر ، وكان كثير النسيان حاد المزاج ، شديد الغضب ، لعاناً بذيئاً فاحشاً ، وكان ذكياً فطناً .

كان أتباعه ينسجون عنه الأقاويل فيقولون : إنه لا يحتاج إلى علم لأن الله علمه ، وإنه ابتلي بالأمراض أسوة بالأنبياء ، وإن الله سبحانه وتعالى صان لسانه وقلمه عن الخطأ ، وهذا من العصمة ، ومما قاله عن نفسه : (الحمد لله أفتيت أول فتيا حينما كنت في الثالثة عشرة في ١٤ شعبان ١٢٨٦ وفي هذا التاريخ فرضت الصلاة وتوجهت إلى الأحكام) من عادته أكل التنبول الهندي (اللبان) ويشرب الشيشة ، وتقبيل أرجل الناس ، وخاصة العائدين من الحج ، وذلك كي يملك قلوبهم وخضوعهم له .

قيل إن أسرته كانت شيعية ثم أظهرت تسننها تقية والدليل على ذلك .

١ ـ اسمه وأسماء آبائه وأجداده كانت شيعية أحمد رضا بن تقي علي بن رضا علي بن كاظم علي .

٢ ـ أن البريلوي تكلم كلمات نال فيها من أم المؤمنين عائشة رضي الله

عنها وهذا شأن الشيعة .

٣ ـ أنه روَّج لأفكار لم يقل بها أهل السنة منها عصمته وعلم الغيب للأنبياء والصالحين .

٤ ـ يقول : إن ترتيب الأغواث يبدأ بعلي ، وإن علياً يدفع البلاء ويكشف الكروب ومن دعائه :

ناد عليّاً مظهر العجائب تجده عوناً لك في النواب
لي خمسة أطفي بها حر الوباء الحاطمة المصطفى والمرتضى وابناهما والفاطمة

(الفتاوىٰ الرضوية) .

٥ ـ أن سلسلة بيعته تصل إلى النبي بواسطة أئمة الشيعة (اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى رفيع المكان ، المرتضى على الشأن الذي رجل من أمته خير من الرجال السابقة ، وحسين من زمرته أحسن حسناً من السابقين ، السعيد الجاد زين العابدين ، باقر علوم الأنبياء والمرسلين ، ساقي الكوثر ومالك تسنيم ، وجعفر الذي يطلب موسى الكليم رضا به بالصلاة عليه (أنوار الرضا ص ٢٧) .

٦ ـ كفر علماء السنة وإخرجهم من الملة وسكت عن علماء الشيعة بل مدح أئمتهم .

مؤلفاته

أشيع أن مؤلفاته كثيرة جداً . ولكن الثابت أن له جواب الفتاوى الموجه إليه ، وكان قد وظف أناساً لدراسة الفتاوى وكتابة الرد عليها ، ثم تقدم إليه ليصوغها بأسلوبه ثم يطبعها ويوزعها ، وقد بلغ مجموعها ثماني مجلدات ، وله رسائل صغيرة لا يتجاوز عدد صفحاتها أصابع اليد مثل تنوير القنديل ،

وتبيان الضوء ، ولمع الأحكام ، وهية الحمير وقد بلغ عدد ما طبع من هذه الرسائل والكتب ١٢٥ نشرة وكتاب .

الشبهات

إن العصر الذي عاش فيه البريلوي كان عصر استعمار الإنكليز للهند ، والذي سار فيه على سياسة فرق تسد ، وعلى سياسة شراء الضمائر ، أو الإرهاب والتنكيل ، وكان على رأس الذين حاربوا الاستعمار الإنكليزي الوهابيون الهنود ، وأهل السنة ، وقد أعدم آلاف المجاهدين والمعارضين بتهمة الوهابية ، وقد كتب هنتر في كتابه مسلمو الهند ص ٣٢ ما يلي : (إنه لا خطر على الإنكليز في الهند ولا على بقائهم في السلطة إلا من الوهابيين الذين يثيرون القلق والاضطراب ضدنا باسم الجهاد ويعملون على خلع ربقة الطاعة والولاء لنا) .

بعد انتفاضة المسلمين على الإنكليز والتي سميت بانتفاضة ١٨٥٧ ، والتي سماها المستعمرون (العند) قدم الكثيرون إلى المشانق والسجون ، وهدمت البيوت ، ونبشت القبور ، وكان ممن سجن من كبار العلماء نذير حسين الدهلوي ، ولما عجز الإنكليز عن قمع حركة التحرر الإسلامية لجأوا إلى تفريق كلمة المسلمين ، ومحاربتهم باسم الإسلام فاختاروا لمهمتهم غلام أحمد القادياني ، وأحمد رضا البريلوي حسب اتهام مخالفيهم (بريلوي فتوىٰ) .

أشهر زعماء البريلوية : نعيم الدين المراد آبادي ، عاصر البريلوي وأيده في محاربة أنصار السنة (الوهابيين) ألف خزائن العرفان ، وأطيب البيان رد فيه على تقوية الإيمان للدهلوي ، والكلمة العليا في إثبات علم الغيب للنبي ﷺ . أنشأ مدرسة سماها الجامعة النعيمية ، وخريجوها النعيميون ، ومن أنصاره أمجد علي ألف بهار شريعة تضمن آراء البريلوي .

وديدار علي الـذي تصـدى للوهـابيين بحزم ، ألف تفسير ميزان الأديـان ، وعلامات الوهابية ، وكتيبات أخرى ، وحشمت علي الذي لقبه البريلوي بغيظ المنافقين ، وأحمد بار نعيمي البدايوني . أسس الجـامعـة الغوثيـة النعيميـة ، أشهر مؤلفـاتـه جـاء الحق ، ونور الفرقـان ، ورحمـة الله بـوسيلـة أوليـاء ، وسلطنـة مصطفى .

معتقدات البريلوية

١ ـ الاستغاثة والاستعانة بغير الله : من أنبيـاء وصـالحين أحيـاء وأموات يقول البريلوي : إن لله عباداً اختصهم بحوائج الناس يفزعون إليهم بحوائجهم . (الأمن والعلي ص ٢٩) ويقول : إن الاستعـانـة والاستغـاثـة بغير الله مشروع ومرغوب ، ولا ينكره إلا مكابر أومعاند (حيـاة الموت ص ٣٠٠) ويقول شعراً مكسوراً معبراً فيه عن فكرته يطلب العون من سيدنا علي رضي الله عنه .

نـــاد عليـــاً مظهر العجـــائب   تجـده عـونـاً لـك في النـوائب
كـــل هـــم وغـــم سينجلي   بـولايـتـك يـــاعلي يـــاعلي

(الأمن والعلى صـ ١٣) .

قال البريلوي بصلاة غوثيـة وهي ركعتـان ، يتقـدم صـاحبهـا نحو بغـداد مقر الشيخ عبد القادر الجيلاني أحد عشر خطوة ، وكلما وضع قـدمـه يستغيث بالغوث الشيخ الجيلاني ، ويناديه بهذين البيتين :

أيـــدركني ضيم وأنت ذخيرتي   وأظلم في الـدنيـا وأنت نصيري
وعارعلي حامي الحمى وهومنجـدي   إذا ضاع في البيداء عقـال بعيري

(جاء الحق صـ ٢٠٠) .

وفي هذا مخـالفـة لقولـه تعـالى : ﴿ **إن الـذين تـدعون من دون الله عبـاد أمثـالكم فـادعـوهم فليستجيبـوا لكم إن كنتم صـادقين** ﴾ (الأعراف ١٩٤)

ومخالفة لقول رسول الله ﷺ : « ياغلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

٢ ـ **إن الله منح قدرته للأنبياء والأولياء والصالحين :** يقول البريلوي : إن مفاتيح الكون في يد رسول الله ﷺ ، وهو مالك الكل ، إنه النائب الأكبر للقادر ، وهو الذي يملك كلمة كن فيكون . (عن الاستمداد على أجيال الارتداد ص ٣٢) .

وقال في نفس المصدر ص ٢٩ : إن رسول الله ﷺ هو المبرأ من السقم والآلام ، والكاشف عن الأمة كل خطب ، وهو المحيي والدافع للمعضلات ، والنافع والرافع للمراتب ، وهو الحافظ والناصر وهو دافع البلاء أيضاً ، وهو الذي أبرد على الخليل النار ، وهو الذي يهب ويعطي ، وحكمه نافذ ، وأمره جارٍ في الكونين . ويقول البريلوي في (الأمن والعلى ص٢٤) : إن نظام الخلق قائم بواسطة الأولياء ويقول تعالى : ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير** ﴾ آل عمران ٢٦ .

٣ ـ **علم الغيب للأنبياء :** يقول الله تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ (لقمان ٣٤) ويعارض البريلوي الآية فيقول : لم يخرج رسول الله إلا بعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الغيوب الخمس ، وأنه أوتي علم الخمس في آخر الأمر ، لكنه أمر فيها بالكتمان (خالص الاعتقاد ص ٥٣ ـ ٥٦) . وقال : إن رسول الله ﷺ يعلم غيوب

الماضي والمستقبل ، ويعلم أكثر ما في اللوح المحفوظ ويعلم علم الساعة . (جاء الحق ص ٤٣) .

٤ ـ **الرسول ليس بشراً بل نور الله :** يقول البريلوي : الحمد لله الذي خلق الأشياء نور نبينا من نوره ، وفتق الأنوار جميعاً من لمعان ظهوره ، فهو من نور الأنوار ، وممد جميع الشموس والأقمار ، سماه ربه في كتابه الكريم نوراً وسراجاً منيراً ، فلولاه لما استنارت شمس ، ولا تبين يوم من أمس ، ولا تعين وقت الخمس (نفي الطب من مجموعة رسائله ص ١٩٩) مع أن الله يقول : ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ ويقول : ﴿ **قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده** ﴾ (إبراهيم ١٠ ـ ١١) ويقول رسول الله ﷺ فيما نزل الله في كتابه ﴿ **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً** ﴾ الإسراء ٩٣ .

٥ ـ **إن الرسول حاضر في كل مكان وزمان وناظر كل شيء :** يقول البريلوي في (الملفوظات ص ١١٣) ما يلي : إن الأولياء يستطيعون الحضور في عشرة آلاف مدينة في آن واحد وثانية واحدة إن شاؤا وأرادوا . ويقول : أما روح النبي فإنها حاضرة في بيوت أهل الإسلام (خالص الاعتقاد ص ٤٠) ويقول : إن نظرة رسول الله ﷺ على كل ذرة من ذرات العالم في كل حين ، وإنه يحضر تلاوة القرآن ، وقراءة المولد ، وقراءة القصائد ، كما أنه يحضر جنازة الصالحين بجسمه ألاطهر . (جاء الحق ص ١٥) واعتقادهم هذا يخالف إجماع المسلمين يقول تعالى مبيناً خبر سيدنا يوسف : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ (يوسف : ١٠) .

٦ ـ **أمروا ببناء المقابر والمشاهد** وفرضوا عليها النذور والقرابين ، ثم أقاموا عليها الأعياد والأفراح والأعراس . وفرضوا عليهم فرشا بالسجاد

والقناديل والشموع والعطور . ورد في كتابهم (جاء الحق ص ٢٨٢) ما يلي : إن بناء قباب على قبور العلماء والأولياء أمر جائز ، بل هو سنة الصحابة ، لأن فيه تعظيماً وتوقيراً للمشايخ والأولياء .

مع أنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه « نهى أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه » رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وأحمد في مسنده والبيهقي في سننه وعن علي رضي الله عنه قال لأبي هياج الأسدي : « ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ : أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً إلا سويته » رواه مسلم والترمذي والنسائي وأحمد والحاكم والبيهقي .

٧ ـ **تكفير المسلمين** قال البريلوي في شيخ الإسلام ابن تيمية : إن ابن تيمية كان يهذي جزافاً (عن الفتاوي الصنوية جزء ٣ ص ٣٩٩) .

وقال نعيم الدين المراد آبادي أحد خلفاء البريلوي : أن ابن تيمية مبتدع ضال مضل جاهل غال (عن سيف المصطفى ص ٩٣) .

ومما قال البريلوي عن جماعة ندوة العلماء من آل الندوي : (« آل الندوي هي الشركة المبيدة ـ أي المهلكة ـ وكلهم يروحون إلى الجحيم . وأصدر فتوى أخذ عليها تواقيع أكابر طائفته في تكفير علماء ندوة العلماء ، وسماها إلجام السنة لأهل الفتنة .) (تجانب أهل السنة ص ٩٠) .

قالوا في محمد إقبال شاعر الإسلام : إن إبليس ينطق على لسانه (تجانب أهل السنة ص ٣٤٠ ـ) .

وإن مذهب إقبال لا علاقة له بالدين الإسلامي الصحيح (نفس المصدر ص ٣٤١) وقالوا عن محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان في نفس المصدر ص ١١٩ ما يلي : إن محمد علي جناح كافر مرتد له عقائد كفرية فبحكم الشريعة هو مرتد قطعاً ، وخارج عن الإسلام ، ومن شك في كفره ، أو تردد في كفره فهو

كافر أيضاً .

٨ ـ **تعطيله الجهاد ضد الإنكليز** وذلك بوسيلتين :

الأولى : كان عصر البريلوي عصر الثورة على الإنكليز لإخراجهم من الهند ، وذلك لأن الإنكليز وعدوا الهند بالحرية عام ١٩١٧ ، وفي نهاية الحرب ١٩١٨ نكسوا لعهدهم فتحركت القوى الوطنية : كحزب الخلافة ، والمجاهدين الموحدين ، وجمعية العلماء ، ومجلس أحرار الإسلام ، وحزب الرابطة المسلمة ، ونيلي بوش من المسلمين وحزب الغائيين ، وآزا وهند فوج وحزب غاندي من غير المسلمين ، مما أقض مضجع الإنكليز فحرك أتباعه البريلويين وذلك بالهجوم على كافة القوى الوطنية المسلمة فكفروهم وأنصارهم وركزوا هجومهم على الوهابيين ، فأفتوا بأخذ الجزية منهم ، واسترقاق نسائهم ، وحرمة مناكحتهم ، وعدم أكل ذبائحهم ، وعدم الصلاة على ميتهم ، كما لا يجوز محادثتهم ومجالستهم ، حتى لا يتأثر أحد بدعوة الجهاد التي قادوها .

أما الوسيلة الثانية ففتواه بتحريم الجهاد ومن فتاويه :

أ ـ إن الهند ليست بدار حرب إنما هي دار إسلام فلا يجوز إعلان الجهاد فيها وألّف في ذلك رسالة سماها (إعلام الأعلام بأن هندوستان دار الإسلام) .

ب ـ ورد على المطالبين بجهاد المستعمرين لإعادة الخلافة : بأن الخلافة لا تكون إلا في قريش ، والعثمانيون ليسوا قريشيين ، لذا فإن دعوة الجهاد لإعادة الخلافة ليست مشروعة .

جـ ـ وردّ على دعوة الفئات الإسلامية المجاهدة بمقاطعة الإنكليز وعدم التعامل معهم بفتواه التي ضمنها كتيبه (المحنة المؤتمنة في أية المتحنة ص ١١٥) بقوله : إن المعاملة الدنيوية التي لا تضر بالدين ليست ممنوعة مع أحد سوى المرتدين مثل الوهابية والديوبندية وأمثالهم .

د ـ ثم قالها صراحة: إنه لا جهاد علينا مسلمي الهند بنصوص القرآن العظيم ومن يقول بوجوبه فهو مخالف للمسلمين ويريد إضرارهم نفس المصدر ص ٢٠٨ .

ويقول : وحرام على سلطان الإسلام الذي يجب عليه إقامة الجهاد أن يبدأ بقتال الكفار إذا لم يكن يكافؤهم ، فكيف ونحن لا نستطيع مكافأة الإنجليز ومحاربتهم ص ٢١٠ نفس المصدر . وأخيراً ختم كتابه بتكفير كل من يناضل المستعمرين ويدعوا إلى ترك الموالاة لهم والمعاملة معهم نفس المصدر ص ٢١١ .

٩ ـ ونتيجة لكرههم الوهابيين أتباع محمد بن عبد الوهاب فقد أفتوا بسقوط فريضة الحج لئلا تكشف أباطيلهم ، وأصدر البريلوي كتاباً بهذه الفتوى سماه (تنوير الحجة لمن يجوز التواء الحجة) .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

☆ ☆ ☆

الأفكار المستوردة

١ ـ الماركسية .

٢ ـ القومية .

٣ ـ العلمانية وفصل الدين عن الدولة .

٤ ـ ندوة العلمانيين والإسلاميين في مصر .

الماركسية في ميزان الإسلام

مخطط البحث

مقدمة .

١ ـ الفلسفة المادية .

٢ ـ المادية الجدلية .

٣ ـ المادية التاريخية .

٤ ـ الحتمية التاريخية أو الحماسية التاريخية .

٥ ـ المساواة في الأجور ونظرية فضل القيمة .

٦ ـ الشيوعية والتملك .

٧ ـ الشيوعية والتفسير المادي للدين .

٨ ـ الشيوعية والتفسير المادي للأخلاق .

٩ ـ الشيوعية والأسرة .

١٠ ـ كارل ماركس .

١١ ـ منشأ الماركسية .

١٢ ـ الشيوعية وقضية فلسطين .

مراجع البحث

١ ـ مذاهب فكرية معاصرة — محمد قطب .

٢ ـ التضليل الماركسي — د. رؤوف شلبي .

٣ ـ الفكر الإعلامي والمجتمع المعاصر — د. محمد البهي .

٤ ـ الشيوعية منشأ ومسلكاً — دندل جبر .

٥ ـ المادية التاريخية — وبير كين .

٦ ـ الإشتراكية العلمية — مينايف .

٧ ـ اقتصادنا — محمد باقر الصدر .

٨ ـ الشيوعية والشيوعيون — د. عبد الجليل شلبي .

٩ ـ الكيد الأحمر — عبد الرحمن حبكة الميداني .

١٠ ـ كواشف زيوف — عبد الرحمن حبكة الميداني .

١١ ـ المادة وضد المادة — موريس دوكنين .

١٢ ـ الشيوعية في موازين الإسلام — د. لبيب السعيد .

الماركسية

مقـدمـة : كثيراً مـا خُـدع بعض النـاس بسراب الشيـوعيـة الكاذب ، وبدعـايتهـا المضللـة ، التي استهوت قلوب بعض الفقراء حيث وعـدتهم بتوزيع أمـوال الأغنيـاء ومنّتهم بـالسعـادة المنشـودة : ﴿ **يعدهم ويمنيهم ومـا يعـدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ .

ولئن حق لبعض البائسين أن يتأثروا بهذه الدعاية البراقـة إلا أنـه لا يليق بالمتعقّلين عامة أن يقدموا على اعتنـاق فكرة قبل التعرف إلى أبعـادهـا ، وإلى مدى صلاحيتها للحياة . كما لا يليق بالمسلمين خاصة كأصحاب عقيـدة عـالجت شؤون الحياة كافة ـ أن يأخذوا بـأيـة فكرة قبل عرضهـا على تعـاليم الإسلام ؛ لئلا تتضارب مع إسلامهم الـذي ارتضوه منهـاجـاً لحيـاتهم . لـذا كان لابـد من تسليط أضواء الإسلام على الماركسية من كافة جوانبها ؛ ليكون المسلم على بيّنـة من أمرهـا ، ومعرفـة من أغراضهـا ومراميهـا ، فلا يؤخـذ على حين غرة ، ولا يندم على تسرعه بانتمائه لها .

الأسس التي تقوم عليها الماركسية

١ ـ الفلسفة المادية :

تقوم الفلسفة الماديـة على أسـاس أن الإنسـان هو وحـده مصـدر المعرفـة ، وليس الله ، وأن الفكر الإنساني لا الوحي الرباني هو مرجع الإنسـان في النظر إلى أمور حياته ومعالجتها .

لقد تأثر ماركس بنظرية كوميت المادية ، والتي يرى فيها أن المادة أسبق في وجودهـا من العقل ، وأن العقل متـوقف في وجـوده على المـادة ، ولا يمكن أن يكـون منفصـلاً عنهـا ، ويرى مـاركس : أن العقـل انعكاس للـدمـاغ ؛

والدماغ مادة . لذا فالمادة هي الأصل ، وما الفكر إلا ثمرة من ثمار المادة . خلافا لما يراه هيجل من أن الفكر والروح هما الأصل ، وليست المادة إلا ثمرة لهذا الأصل ، يقول ماركس : إن ما يسمونه الروح ليس جوهراً مستقلاً ، إنما هو من نتاج المادة .

انطلاقاً من هذه النظرية المادية : يرى ماركس أن الأحداث والمنظمات الاقتصادية هي القوة الرئيسية المؤثرة على سياسة الدولة ، وكذلك على العلم والدين وتطورهما . أما الأحداث الاجتماعية والسياسية والأخلاقية فهي انعكاس للأحداث الاقتصادية الراهنة .

نحن لا ننكر أثر العامل الاقتصادي في الحياة الاجتماعية ، أما أن يكون هو المؤثر الوحيد فذلك هو التطرف بعينه .

ترى بماذا يفسر ماركس الدافع الذي يدفع المسلم لحساب أمواله وبدقة ليخرج عنها نسبة الزكاة . وما هو الدافع الذي يدفع المحسنين ليقدموا أموالهم في المشاريع الخيرية دون أن ينالوا عليها ربحاً مادياً . ترى هل هي دوافع مادية أم دوافع روحية إنسانية ؟ .

٢ ـ **أما المادية الجدلية :** كما يعرفها الأستاذ محمد قطب : فهي تصور خاص لقضايا الألوهية والكون والحياة والإنسان ، على أساس مادي بحت ، تعتبر المادة فيه الشيء الوحيد الأصيل في هذا الكون ، وأن كل ما في الكون ينبثق عن المادة ، ومحكوم بقوانين المادة ، ولا وجود له خارج المادة .

كما يقوم هذا التصور على أساس وجود التناقض في طبيعة المادة ، يقول كاريولينت : الجدلية هي فكرة ونقيضها ، ثم تآلف النقيضين ، فالفكرة تؤيد القضية ، والنقيض ينفيها ، وتآلف النقيضين يقربنا من الحقيقة ، وهكذا تعود العملية من جديد ، فتبدأ بفكرة ونقيضها ، ثم يجري التوفيق بينهما بتآلف جديد .

ويرجع مصدر الشيوعية في فلسفتها المادية الجدلية إلى المنهج الديالكتيكي الذي قال به هيجل وعرّفه بأنه : الحركة التي يقوم بها الوعي في سعيه المستمر نحو التقدم ، كما يرى أن التقدم في عالم الطبيعة ، ماثل كذلك في عالم الفكر ويقول هيجل : إن التناقض هو المبدأ لكل حركة في الحياة ، وهو وحده صراع الأضداد ولكن ماركس استغل هذه النظرية وعممها تعميماً شمل كل مظاهر الحياة . مع أن أبسط قواعد التأمل تثبت عدم صحة هذا التعميم ؛ فظاهرتا الذكورة والأنوثة ، والسالب والموجب ، لا تخضعان لهذا التعميم مثلاً ، لأن العلاقة بين الجنسين هي علاقة أنس وسكون وإخصاب ، والعلاقة بين السالب والموجب هي علاقة تفاعل وتجاذب .

كما يؤكد العلم الحديث أن الذرات السالبة تتجاذب مع الوجبة وتتنافر مع السالبة وأن عدد الشحنات السالبة في كل ذرة تساوي عدد الشحنات الموجبة لذا فالذرة في طبيعتها خالية من التناقض ولكن الماركسية تقول خلاف ما يقوله العلم .

كما وأن فكرة التقاء الأضداد فكرة مستحيلة عقلاً إذ لا يمكن للشيء أن يكون سالباً وموجباً بآن واحد ولا موجود ومعدوم في نفس الوقت فالجدلية المثالية تستهين بالعقل والمنطق وتعتمد المغالطات والأوهام فلو طرحنا فكرة الحي عكسها الميت ينتج عنهما التفسخ والتراب ويكون التحول إلى نوع أدنى خلاف ما تدعي الماركسية .

يقول ماركس في كتاب أصول الفلسفة الماركسية : لم يختلف منهجي في ـ الجدل ـ أساساً عن منهج هيجل ، بل هو نقيضه تماماً ، إذ يعتقد هيجل أن حركة الفكر التي يجسدها باسم الفكرة هي مبدعة الواقع الذي ليس سوى الصورة الظاهرية للفكرة ، أما أنا فأعتقد العكس : إن حركة الفكر ليست سوىانعكاس حركة الواقع المادي وقد انتقلت إلى ذهن الإنسان ، لذا سُميت

جدلية هيجل بالجدلية المثالية وجدلية ماركس بالجدلية المادية .

أما الخطوط العريضة للمادية الجدلية فتتلخص في نقطتين اثنتين .

أ ـ **أزلية المادة وأبديتها وأسبقيتها على الفكر** : جاء في كتاب أسس المادية الديالكتيكية لسبركين وياخوت ما يأتي : ليس للكون نهاية ولا حدود فالعالم أبدي ليس له بداية ، ولن يكون له نهاية ، وعلى هذا فأي عالم غيبي ـ في نظرهم ـ فهو غير موجود ، ولا يمكن أن يوجد لذا قالوا : إن الظواهر المختلطة في العالم توحدها ماديتها . ترى لماذا يؤمنون بوجود الكهرباء التي لا ترى بالعين المجردة ، بل تعرف بآثارها ، ولا يؤمنون بوجود الله الذي يُعرف بآثاره وبمحاكمة العقل السليم .

ب ـ خضوع الطبيعة لقوانين المادة الثابتة التي تحكمها وهي :

١ ـ الترابط في الطبيعة : أي أن أي حادث من حوادث الطبيعة لا يمكن فهمه إذا نظر إليه منفرداً ، وبمعزل عن الحوادث المحيطة به والتي تكيفه وتحدده .

٢ ـ الحركة هذه الحركة ملازمة داخلياً للمادة لا تنفصل عنها منذ الأزل لذا يقولون : إنه لا يوجد في العالم ظاهرة واحدة لم تكن نتيجة لحركة المادة وتطورها لذا يشير إنكلز إلى أن وحدة العالم تنحصر في ماديته .

ولكن العلم يقرر بطلان هذه النظرية لأن التحول يتم عن تأثير خارجي لا داخلي كما يدعون يقول موريس دوكين في كتابه المادة وضد المادة ص ٦٤ ـ ٦٥ ما يلي لم نعد بحاجة إلى الجدلية لتفسير تحول المادة من نوع إلى آخر لأن العلم أثبت أن تحول المادة إلى تركيبات مختلفة يتم عن طريق اندماج الذرات ويتطلب وجود ذرتين تكون درجة تشبعهما مختلفة لتندمجا فتصبح الذرتان ذرة واحدة من نوع ثالث ولابد من التأثير الخارجي لتتم عملية التحول وهذا

لا يتفق مع قانون الجدل الذي يقوم على أساس التحول من الداخل .

٣ ـ التطور : يقول ستالين في الديالكتيك : إن التطور ينتقل من تغيرات ضئيلة وقتية إلى تغيرات ظاهرة أساسية ، وهي ليست تدريجية بل سريعة فجائية ، وهي ليست جائزة الوقوع بل ضرورية . وهي تنتقل من البسيط إلى المركب ، ومن الأدنى إلى الأعلى . كما يرى أن انتقال المجتمع من حال إلى حال يصحبه تطور في القيمة ؛ فالرأسمالية ـ بنظره ـ أسمىٰ من الإقطاع ، والشيوعية أسمىٰ من الرأسمالية . وادعاء أن كل شيء أسمى من سابقه مصدر براق في الدعاية الشيوعية ينخدع بها الكثيرون ، ولكن ادعاء أن كل شيء جديد أسمىٰ من القديم دعوة باطلة يقصدون من ورائها تحرير الإنسان من تراثة القديم ، الدين والأخلاق والمثل .

ولو أنهم اقتصروا في نظرتهم هٰذه على التقدم التكنولوجي لكان مقبولاً ، أما أن يقصد به الدين والأخلاق فذلك مجافٍ للحق والواقع .

لقد غفل ماركس عن أن الشيوعية ستصبح مع مرور الزمن قديمة ، وعندها يتوجب على الشيوعيين خلعها والانتقال إلى فكرة أسمى منها وأحدث ، أم ترى أن نظرياتهم للتصدير فقط ؟.

جـ ـ التناقض وصراع الطبقات : يقوم الديالكتيك على أن كل ظواهر الطبيعة وحوادثها تحوي تناقضات داخلية ، وأن لها جانباً سلبياً وآخر إيجابياً ، وأن فيها عناصر تضمحل وعناصر تتطور ، وأن الصراع بين القديم والحديث هو المحتوى الداخلي لحركة التطور ؛ فتتحول من تغيرات كمية إلى تغيرات كيفية .

وبناء على هذه القوانين يرى ستالين أن الثورات التي تقوم بها الطبقات طبيعية ولا مناص منها . وكذلك يرى أن الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية لا يكون إلا بالثورة ، وحيث إن حركة المجتمع الطبقي البشري

جزء من حركة المادة فقد حكمه قانون التناقض بداهة من منشئه المادي التاريخي ، وجرى التناقض في كل حركة من حركات البشر في صورة صراع طبقي .

لذا لا يجوز في نظرهم اتباع سياسة إصلاحية تقوم بالتنسيق بين مصالح البروليتاريا ومصالح البرجوازية . ولا سياسة تفاهم تقوم بالاندماج بين الرأسمالية والاشتراكية ، فهذا ما ترفضه الماركسية ، لأن خططها هو الصراع الطبقي لا التعايش الطبقي ، والمجتمعات في نظر ماركس تنقسم إلى طبقات متناقضة المصالح ، وأن استغلال طبقة لطبقة أخرى هو أساس الحضارة وتحركها ، وأن نمو الحضارة يسير في تناقض مستمر ، فكل تقدم في الإنتاج يقابله تأخر في أحوال الطبقة العمالية المضطهدة ، وكل تحرير جديد في إحدى الطبقات يعني اضطهاداً جديداً لطبقة أخرى ، والدولة في نظر ماركس ما هي في الأساس إلا وسيلة قهر طبقي لطبقة ضد عدة طبقات ، وأن سيطرة الطبقة العمالية على السلطة هو تطويع لها لصالح التحول الاشتراكي .

لقد استخدم ماركس مبدأ النقيض الذي قال به نيتشه وهيجل في مجال الاقتصاد ، فكل شيء في نظره يتضمن نقيضه الذي يصير إليه ، بعد أن يهدم نفسه ، فالمجتمعات الرأسمالية والإقطاعية ستهدم نفسها ، وتتحول إلى النقيض ، وهو المجتمع الشيوعي ذو الطبقة العمالية الواحدة ، بعد صراع مرير تخوضه البرولوتاريا (طبقة العمال) للقضاء على كل من يقف في طريقها من الرأسماليين والإقطاعيين .

وترجع دوافع ماركس في نظرية الصراع الطبقي كذلك إلى معتقداته اليهودية التي تقول بفناء العالم بعد ألفي عام نتيجة الصراع ، وأن أبناء إسرائيل هم الذين سيخرجون لتعميره في نعيم لا تبديل فيه ، وهذا ما أطلقوا عليه اسم (الميراث اليهودي) .

لقد تجاهل ماركس أن مبدأ النقيض سينطبق على الشيوعية نفسها فهي تحمل بين طياتها بذور نقيضها .

كذلك ولابد أن تأتي اللحظة الحاسمة فيقع الانقلاب المفاجىء ، وتنهار الماركسية ليحل محلها نقيضها وهو الإسلام إن شاء الله .

ولقد أثبت العلم الحديث أن هذه النظرية لا تمت إلى العلم بصلة وأنها محض أوهام يقول موريس دوكين في كتابه المادة وضد المادة ص ٧١ : لقد كان أهم نجاح تحقق في محاولة استكشاف النواة . هو بدون شك ما قام به رزفورد عام ١٩١٩ حيث قام بأول تحويل ذري . ومادام العلم قد أثبت أن الذرة خالية من التناقض الداخلي ولم يعد من الممكن أن نقول بأن حركة المادة جدلية ويعتبر هذا التصور الجدلي للمادة وهم لا أساس له من الحقيقة ولما كشف الشيوعيون هذه الحقيقة أوجدوا لموقفهم المحرج مخرجاً فقالوا : يجب أن لا يفهم هذا الأمر فهماً مبالغاً في بساطته . إن الصراع بين الأضداد بمعناه الحرفي المباشر يحدث بصفة رئيسية في المجتمعات الإنسانية . وقال لينين إن هذا التمييز لازم لفهم الصراع بين الأضداد فهماً سليماً . عن أسس الماركسية اللينينية ص ١٠٢

ولقد تقهقرت الماركسية فعلاً ، ولكن ليس بسبب نظرية النقيض بل بسبب إخفاقها في تحقيق السعادة لمريديها ، نظراً لمخالفتها طبائع النفوس ومجانبتها للفطرة السليمة ، وبعد أن انكشف زيفها أمام البائسين الذين خدعوا بها طويلاً . مما حدا بالحكام الشيوعيين لفرضها بالحديد والنار ، فالحزب الشيوعي الذي لا يتجاوز عدده ١٠ ٪ من سكان الاتحاد السوفيتي يتحكم بمجريات مصائر المواطنين ، ويفرض عليهم نظاماً بوليسياً لا نظير له في التاريخ . لقد أنزل قواته وبشكل مفاجىء في تشيكوسلوفاكيا لمجرد رغبتها في ممارسة حقها في الحرية . كما أقاموا جداراً وحراساً للفصل بين ألمانيا الشرقية والغربية حتى لا يهرب الألمان الشرقيون من نعيم الشيوعية الموهوم ، كما حلوا

حركـة التضـامن العمالـيـة في بولنـدا لمجرد منـاداتها بـالـديمقراطيـة ، كما احتلوا أفغانستان للقضاء على الثورة الإسلامية فيها .

لو أن الاتحاد السوفيتي منح شعوبه المحكومة حقهم في اختيار النظام الـذي يشاؤون لما بقى أحد على شيوعيته ، اللهم إلا الحفنة المنتفعة المتسلطة الحاكمة . يقوم الصراع الطبقي على حقد وعداء الطبقة العاملة على أرباب العمل ، بينما يقيم الإسـلام مجتمعـه على الصراع بين الحـق والبـاطـل ، فهـو يقف إلى جـانب المظلوم سواء كان عاملاً أم رب عمل ، يقف بجانب العامل إذا استغله صـاحب العمل ، ولم يعطـهِ الحـد الأدنى من العيش الكريم ، كما يقف ضـد العـامل إذا قصر في قيامه بعملـه بجـد وإتقـان ، فـالإسلام يقيم علاقـة متوازنـة بين العمال وأربـاب العمل قوامهـا الحق والعـدل ، ليكون المجتمع الإسـلامي مجتمعـاً متماسكاً متعاوناً متحاباً ، وليعيش المسلمون حيـاة سعيـدة بعيـدة عن الحقـد والخصومـة والصراع . لقد أدرك أنكلز تطرفـه في قولـه بـالمـاديـة التـارخيـة التي دحضهـا العلم ، وكذبها الواقع ، فكتب في آخر أيامه رسالـة إلى يوسف بلوخ في ١٠/٢٢/ ١٨٩٠ . قال فيها : إن توجيه الكتّاب النـاشئين للاهتمام بـالجـانب الاقتصـادي بأكثر ممـا يستحق أمر يقع اللوم فيـه على عـاتقي وعـاتق مـاركس . لقـد كان علينا أن نؤكـد هـذا المبـدأ الرئيسي لنعـارض خصومنـا الـذين كانوا ينكرونـه

إن الوضع الاقتصـادي هـو الأسـاس ولكن مختلف عنـاصر البنيـة الفـوقيـة والأشكال السيـاسيـة للصراع الطبقي ونتـائجـه والأشكال الحقوقيـة . بـل حتى انعكاسات هذه الصراعات الواقعية في دماغ المساهمين فيها من نظريات سياسية وحقوقية وفلسفية ودينية تمارس أيضاً تأثيرها على مجرى الصراعـات التـاريخيـة وتحـدد في الكثير من الحـالات ـ وبصورة قـاطعـة ـ شكلهـا . وأن القـول بـأن العامل الاقتصادي هو وحده العامل المحدد فإنه يكون بذلك قد حوله إلى جملة فارغة مجردة لاغية (التفسير الاشتراكي للتاريخ ص ١١٦) .

٣ ـ **المادية التاريخية :** يقول الأستاذ محمد قطب : الحقيقة أن المادية التاريخية والمادية الجدلية يصعب الفصل بينهما لأن كلاً منهما تكمل الأخرى ، ولأنهما يصدران عن فلسفة واحدة كاملة .

فالتفسير المادي للتاريخ : هو تحليل للحوادث التاريخية يستند فيها إلى مبادىء البحث الجدلي الديالكتيك . لأن المادة في نظر الماركسيين هي المحرك الرئيسي للتاريخ ، والعامل المهين في تطوره .

يقول ماركس : إن الأوضاع القانونية والاجتماعية والسياسية والفنية والأدبية والفلسفية وجميع النواحي الفكرية عموماً لا يمكن أن تفهم بذاتها ؛ لأنها تتحدد وتتشكل وفقاً لتأثير العوامل المادية أو الاقتصادية عليها ؛ فالأوضاع الاقتصادية هي الأساس الرئيسي الذي يؤثر في كافة الأوضاع والنظم الاجتماعية والفكرية الأخرى ، بحيث تنطبع هذه الأوضاع والنظم بالصورة التي يقتضيها النظام الاقتصادي القائم .

والتفسير المادي للتاريخ هو نوع من فلسفة التاريخ ، يحاول فيه ماركس أن يوضح بأن العادات التي تطورت في المجتمعات من الماضي البدائي إلى الحاضر فالمستقبل وما يظهر في المجتمع من مصلحين وعظماء ومفكرين لا تشكل بمجموعها تاريخ الجماعة .

لكن نمو هذه الأحداث التاريخية ـ في نظره ـ تكون في القوى المادية وحدها ، وعلى الأخص الاقتصادية منها ، والتي تكون بين رأس المال ومالكيه من جهة ، وبين العمل والعمال الذين يصنعون الإنتاج من جهة أخرى ، فإذا كانت هذه العلاقة متوازنة استقرت الجماعة ، وإذا اضطربت تطلبت التغيير ، ولا يتم ذلك الانسجام في نظر ماركس إلا حينما تعود الصناعات جماعية ، ولا يكون ذلك إلا بسيادة الشيوعية ، وما دام الصراع قائماً بين المستغلِّين

والمستغَلّين فالتاريخ في نظر ماركس هو صراع الطبقات السائدة والمسودة .

كما وأنه لا مكان للرسل والرسالات ولا لله ـ جل شأنه ـ بالذات أي أثر في التدخل بخط سير البشرية ، كما وأنه ليس للدوافع الروحية أي أثر في تغيير خط سير البشرية ، كما ليس لها أي أثر في تغيير التاريخ وإنما الدوافع الوحيدة في التغيير إنما هي دوافع مادية بحتة .

إنه من التطرف ومجانبة الحقيقة أن ينكر الإنسان الأثر الروحي في التطور ، أو أن ينكر الأثر المادي فيه .

فمما لاشك فيه أن الآلة تحدث تغييراً في حياة الإنسان ، ولكن يجب أن لا ننسى :

أ ـ أن الآلة نفسها هي من اختراع الإنسان ، اخترعها لتلبية حاجاته ، وأنها لم تفرض نفسها عليه .

ب ـ وأن التغيير الذي تحدثه الآلة لا يجري على مزاجها لأن الآلة مادة ، والمادة عاطلة ، لا وعي لها ، وأن ما يجري من تغيير إنما يجري على مزاج الإنسان ، فالإنسان هو الفعّال فيها ، والآلة هي العاطلة ، والإنسان هو الذي يندفع لتطويرها وفق مصلحته وحاجاته الحيوية بما تفرّد به من خصائص فطره الله عليها ، والتي حرمتها المادة وسائر الحيوانات الأخرى ؛ فالإنسان إذا بخصائصه الفريدة هو الذي يصنع تاريخ الجماعة ، لا المادة العاطلة .

لقد أصاب الأستاذ محمد قطب بتسميته التفسير المادي للتاريخ بالتفسير الجاهلي للتاريخ ، ذلك لأن ماركس وجنده اعترفوا بفترة الجاهلية بما فيها من مفاسد ومظالم لبني الإنسان ، وأسقطوا فترة الهدي النبوي من التاريخ البشري بكل ما أحدثته مبادىء الإسلام من رفع لكرامة المرأة ، وتحرير للإنسان من سيطرة أخيه الإنسان ، ومن توحيد للأمة الواحدة الممزقة ، ومن تحقيق

لمبادىء الحق والعدل والمساواة .

ولا أراهم تجاهلوا فترة المد الإسلامي في التاريخ إلا لأنهم عجزوا عن أن يفسروا هذا التطور في المجتمع الإسلامي تفسيراً مادياً ، لأنه لم يحدث نتيجة تطور في وسائل الانتاج بل حدث نتيجة الإيمان بتعاليم الإسلام ، وهذا سبب روحي لا مادي ، تعاموا عن هذه الفترة الإسلامية وأسقطوها من حسابهم . إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

٤ ـ **الحتمية التاريخية أو الخماسية التاريخية** : يقرر ماركس أن المجتمعات البشرية تمر في خمس مراحل اقتصادية هي :

أ ـ المشاعية البدائية : وهي حقبة ما قبل التاريخ ، حيث لم يكن الإنسان يملك شيئاً ، وما أن اكتشف الزراعة حتى ظهرت طبقات : طبقة تترأس ، وطبقة تعمل . ونتيجة لهذا التقسيم تركز في أيدي المترأسين فائض الإنتاج ، فنشأت الملكية الخاصة .

ب ـ ثم انتقل إلى نظام الرق فالناس سادة وعبيد .

جـ ـ ثم تحول إلى النظام الإقطاعي ؛ فالإقطاعيون يملكون والعبيد يعملون .

د ـ وبالتحول إلى الصناعة نشأ النظام الرأسمالي ، وفيه تتميز طبقتان : طبقة الرأسمالية وطبقة العمال . يقول ماركس : إن التناقض هوالسمة الرئيسية لهذه المرحلة ، ويشتد هذا التناقض كلما شعر العمال بحاجة أرباب العمل لهم ؛ فيتقدمون بمطالبهم لينالوا حقوقاً أكثر ، ويقدم الرأسماليون تنازلات أكثر ، ويستمر الصراع ، وتزداد مطالب العمال إلى حد لم يستطع الرأسماليون الاستجابة لطلبات العمال ؛ فينفجر الوضع ، وتحدث الثورة العمالية ، وتسيطر البروليتاريا على الحكم ، ويصل المجتمع إلى المرحلة الأخيرة .

هـ ـ الشيوعية العليا : وفيها تزول الملكية الفردية ، ويسيطر العمال ، ويرى ماركس أن هذه النظرية حتمية الوقوع ؛ لأنها مرتبطة بعوامل اقتصادية خارجة عن إرادة الإنسان ، وأن العالم بأسره سيؤول في النهاية إلى الشيوعية نتيجة تدرجه في هذه المراحل .

نقض النظرية : لقد أثبت العلم أن النظرية وهمية ، لأن مخترعها لم يقدم أي دليل علمي على صحتها :

١ ـ لعدم توفر المعلومات التاريخية الموثوقة التي تشير إلى وجود هذه المراحل . ذلك لأن المشاعية البدائية هي مرحلة ما قبل التاريخ .

لذا فهي ظنية الوقوع ، ولقد اعترف أنكلز بذلك في كتابه حول الأسرة ص ٥٠ حيث قال : فما أكثر الروايات التي في حوزتنا حتى عن القبائل البشرية المتوحشة ، وما أحوجها إلى الفحص والتدقيق والغربلة .

٢ ـ أما مرحلة الرق فلم تكن نتيجة عوامل اقتصادية كما زعم ماركس ، بل كانت نتيجة الحروب والغزو والسبي بين القبائل المتنازعة ، وقد تعارفت الدول على الاسترقاق ـ الأسر ـ قبل الإسلام ، ولما جاء الإسلام أخذ بهذا العرف الدولي تعاملاً بالمثل ؛ إذ لا يمكن أن يسترق الأعداء المسلمين ويطلق المسلمون أسرى أعدائهم . ولكن الإسلام عالج ظاهرة الرق بوسيلتين :

أ ـ عمل على إلغائه تدريجياً بالمكاتبة وذلك بدفع الرقيق مبلغاً من المال تقسيطاً لقاء تحريره ، وكذلك إذا تزوج السيد أمته وولدت منه تصبح أم ولد ، ولا يحق له بيعها بعد ذلك ، وكذلك شجع الرسول ﷺ على فداء الأسير في بدر بتعليم عشرة من المسلمين القرأة والكتابة ، كما افراد الإسلام باباً من مصارف الزكاة خاصاً بتحرير الرقاب ﴿ **وفي الرقاب** ﴾ كما جعل كفارة بعض الذنوب عتق رقبة .

ب ـ أمر بحسن معاملة الرقيق ، وأعلن عن مساواتهم مع أسيادهم فقال عليه الصلاة والسلام: « إخوانكم خولكم جعلهم الله قينة تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلّفه فليعنه » رواه أحمد عن أبي ذر .

أما مرحلتي الإقطاع والرأسمالية فقد كان لليهود الدورالرئيسي في وجودهما نظراً لسيطرتهم على الاقتصاد العالمي ، وتعاملهم بالقروض الربوية ، وبتفجيرهم الأزمات الاقتصادية التي دمرت أناساً ، ورفعت آخرين ، أما ادعاء ماركس أن هذه الأدوار خارجة عن إرادة الإنسان فذلك مرفوض عقلاً ؛ لأن المادة عاطلة ، والإنسان هو العنصر الفعّال فيها ، يسخرها لصالحه ، ولئن لوحظ زوال هاتين المرحلتين في المجتمع الإسلامي الأول فذلك لأن الإسلام يحارب الربا والاستغلال والاحتكار ، ويأمر بتشغيل المال وتزكيته ، والإنفاق منه في وجوه البر .

٣ ـ ومن الأدلة العفوية على بطلان هذه النظرية هو أنه لا توجد دولة اشتراكية واحدة وصلت إلى الشيوعية عن طريق التدرج في هذه المراحل الخمس المزعومة .

كما لم تصل نتيجة الصراع الطبقي بين العمال وأصحاب العمل من الرأسماليين ، فتحول روسيا نفسها إلى الاشتراكية لم يكن منتظراً ، فحين سئل ماركس عن البلدان التي يتوقع تحولها إلى الاشتراكية أشار إلى بريطانيا وفرنسا وألمانيا ، نظراً لتقدمها الصناعي ، أما روسيا فكانت تحاول أن تضع أقدامها على عتبة الصناعة ، ولكن نتيجة إنهاك الحكم الروسي في الحرب العالمية الثانية ، وبمساعدة الرأسمالي اليهودي ، كما أكد ذلك المليونير اليهودي يعقوب تشيف عام ١٩١٧ م ، وبدعم من الصهيونية العالمية سيطر الشيوعيون على الحكم في روسيا ، وذلك انتقاماً للمذابح التي حدثت لليهود في عهد القياصرة في نهاية

القرن التاسع عشر ، لذا قررت الصهيونية والماسونية التوغل والانتقام لها وتبعت روسيا كذلك أوكرانيا وجورجيا والازدك ، مع أن هذه الجمهوريات السوفيتية كانت متخلفة صناعياً ، وموغلة في النظام الزراعي الإقطاعي ، وكذلك وصلت مناطق التركمان وسيبيريا المتخلفة صناعياً إلى الحكم الاشتراكي بعد أن خدعها لينين بوعوده الكاذبة ؛ حيث وجّه نداءه المشهور إلى الشعوب الآسيوية الإسلامية فور استيلائه على السلطة في روسيا عام ١٩١٧ م ، والذي ناشدهم فيه العون والتأييد للوقوف في وجه الاستعمار الغربي مقابل منحهم الحكم الذاتي . ولكن ما إن تمكن الحزب الشيوعي من حكم روسيا بالحديد والنار حتى قام الجيش الأحمر بقيادة بودبتي بالهجوم على هذه الجمهوريات بحجة القضاء على أوكار الرجعية وسيطر عليها بقوة السلاح .

وكذا ألمانيا الشرقية لم يكن تحولها إلى الاشتراكية نتيجة مرورها بالمراحل الخمس الحتمية، ولا نتيجة الصراع بين العمال وأصحاب العمل كبلد صناعي متقدم ؛ ولكنه كان نتيجة انكسار الجيش الألماني في الحرب العالمية الثانية ، وخضوع القسم الشرقي إلى سيطرة السوفيت بعد تقسيم ألمانيا إلى شرقية وغربية ، بهذا يتبين أن الحتمية التاريخية حتمية وهمية في رأس ماركس لا أساس له في الواقع التاريخي ، مما دفع البعض إلى أن يعزي سبب تحول روسيا إلى الاشتراكية إلى عوامل معنوية وفكرية وأدبية ، وبهذا فإنه يعطي الأولوية للعوامل المعنوية على العوامل المادية ، وفي ذلك نسف للمادية التاريخية من جذورها .

وهكذا فلا روسيا ولا أي بلد اشتراكي تحوّل إلى الماركسية نتيجة أفول النظام الرأسمالي تحت وطأة تناقضاته الحتمية ، وسيطرة البروليتاريا بعد صراعها مع الرأسماليين ، بل كان تحولها نتيجة السيطرة العسكرية ، مما يؤكد تهافت الخماسية التاريخية التي اخترعها ماركس .

٥ ـ **المساواة في الأجور ونظرية فضل القيمة :** وخلاصة هذه النظرية أن الربح الذي يحصل عليه صاحب المصنع والمزرعة بعد سداد تكاليفه ومصاريفه ليس من حق صاحب العمل وحده (بنظر ماركس) بل هو من حق العمال كذلك يتقاسمونه فيما بينهم ولا يحق لصاحب العمل أن يحسب حصة من الربح لرأس المال أو للآلة لأن المنتج الوحيد بنظره إنما هو الجهد البشري فقط . ويرى ماركس أنه مادام هناك فضلة في القيمة فهناك فضلة في الإنتاج وبالتالي فهناك بطالة .

وقد غاب عن فكر ماركس تطور الآلة وأنها ستحل محل الجهد البشري كما في عصرنا الحاضر عندما سيكون فائض قيمة إنتاجها من حق مالكها فتكون نظريته بذلك قد نسفت من جذورها .

ترى أي أحمق يضع ثروة عمره في مصنع ما ليأخذ أجراً يعادل أجر أي عامل آخر ، أو أكثر قليلاً ، حتى ولو جمع ثروته عن طريق مشروع وأعطى عماله الحد الأدنى من الأجور الذي يكفل لهم العيش الكريم ، وأنصف سائر العاملين معه . أليس في ذلك حد للطموح الشخصي ، وإضعاف للإنتاج والفاعليات الاقتصادية التي يفتقر الوطن إليها .

ثمة سؤال آخر ترى هل تعطي الدولة الشيوعية العاملين عندها كامل قيمة ما ينتجون من مصنوعات ، أم أنها تسمح لنفسها باستغلالهم وأخذ فضلة قيمة ما ينتجون ؟ ؟ كما يفعل الرأسماليون سواء بسواء فتحرم ذلك عليهم وتحله لنفسها ، وهذا ما يحدث بالفعل ، لقد اعتمدت الماركسية مبدأ توزيع الأجور في المرحلة الاشتراكية وفق قاعدة : من كلٍ حسب طاقته ولكلٍ حسب عمله .

ونظراً لأن الناس متفاوتون في الملكات والطاقات والخبرات والمهارات فلابد أن يتفاوتوا في الإنتاج ، وبالتالي في الأجور ، فيكسب المجد أضعاف ما

يكسب الكسول ، فلقد تراوحت نسبة الأجور في روسيا بين ٥و١ ٪ إلى ٥ ٪ أي أكثر من ثلاثة أضعاف ، مما يؤدي بالتالي إلى عودة الطبقية في المجتمع الاشتراكي . وهذا ما يناقض أهم مبادىء الماركسية ، لذا فالشيوعية إزاء ذلك أمام خيارين لا ثالث لهما إما أن يأخذوا بمبدأ لكلٍ حسب عمله وبذلك يتنازلون عن أهم أفكارهم ، أو أنهم يسيرون على نهج المجتمع الرأسمالي ، فيقطعون من العمال فائض قيمةما ينتجون ، ويسوون بين الأجور ، وفي هذه الحالة يتقاعس المجدون ، ويكسل المبتكرون ، ويفتر الطامحون ؛ نظراً لمساواتهم بالكسولين ، لذا لجأ أنكلز إلى تبرير ذلك بقوله : يزداد إنتاج العامل الكفء المجد نتيجة دراسته وتدريبه ، ومادامت الدولة الشيوعية هي التي تدفع له مصاريف الدراسة والتدريب فهي صاحبة الحق في أن تأخذ فائض قيمة ما ينتج من مصنوعات وفي تسويتها أجور العاملين عندها . وللرد على هذا التعليل نطرح السؤال التالي : لو فرضنا أنهم أتاحوا فرصاً تدريبية وتعليمية واحدة لعاملين اثنين ، وكان أحدهما أكثر ذكاء وأكبر طاقة على الإنتاج والابتكار من الآخر فبماذا يبرر أنكلز مساواتها في الأجور .

ولا أدل على فساد هذه النظرية من تراجع مخترعها عنها ، لقد فاجأنا أنكلز بظهور كتاب القسم الثالث من رأس المال ، والذي عثر عليه بين مسودات أوراق ماركس بعد موته ، يقرر فيه ماركس أن جملة أثمان الإنتاج مكونة من رأس المال + قيمة العمل + الإدارات .

وهذا يعني أن الأرباح توزع على هذه الثلاثة ، وأن ماركس أعطى لرأس المال حصته من الأرباح ، وبهذا يكون قد نسف نظرية فضل القيمة من جذورها ، ولم يبق لصراع الطبقات مبرراً ومن الغريب أن الشيوعين لا زالوا متمسكين بهذه النظرية حتى بعد تراجع مؤسسها ماركس عنها قبيل وفاته .

ولابد بعد تخبط الماركسيين في موضوع الأجور من أن نقدم الرأي الأرجح

والأصلح وهو رأي الإسلام ، حيث يحض المسلمين على العمل ، ويحض على إعطاء العامل الحد الأدنى من الأجور الذي يؤمن له العيش الكريم ، وإعطائه أجر عمله الإضافي ، وأجر إنتاجه ، وابتكاره ، فيكون شعاره في ذلك : من كلٍ حسب طاقته ، ولكلٍ حسب حاجته وإنتاجه .

٦ ـ التملك وصراع الطبقات في نظر الشيوعيين : اختلف المختصون في علم النفس فيما إذا كان حب التملك نزعة فطرية أم مكتسبة . فعللها بعضهم بأنها نزعة فطرية نظراً لما لاحظوه من تشبث الطفل بلعبه ، وبميله لجمع كل ما يقع تحت يده . ورد عليهم أخرون بأنه لوكان لعدة أطفال لعب بعددهم لما تنازعوا عليها . وجاء الرد على أصحاب هذه الحجة بأن الكثيرين من الأطفال يحاولون الحصول على أكثر مما في أيديهم فيسلبون لعب الآخرين .

ولو سلمنا جدلاً بأن كل طفل اكتفى بلعبته إذا تأمن للجميع العدد الكافي من اللعب (وهذا غير واقعي) نقول : إن ذلك لا ينفي أن يكون التملك نزعة فطرية مادام كل طفل قد تملك لعبة على الأقل أشبع بها ميله للتملك . ثم إن أحداً من اليساريين لم يجزم بأن التملك ليس نزعة فطرية ـ وجل ما قالوه في ذلك : إنه لا يوجد دليل قاطع على أنها نزعة فطرية ـ ولو أنهم وجدوا دليلاً واحداً على أنها ليست فطرية لما تقاعسوا عن الاحتجاج به .

يقول الشيوعيون : إن المجتمع البدائي كانت تسوده الشيوعية ، كل شيء فيه ملك للجميع ، وكانت تسود الجميع روح المحبة والتعاون ، ولكن مع الأسف لم تدم هذه الفترة طويلاً ، فقد ظهرت بعد اكتشاف الزراعة روح التنافس على تملك الأرض ووسائل الإنتاج ، ولابد من انتزاع التملك في نظرهم لتعود للمجتمع سعادته .

هذا القول حجة عليهم لا حجة لهم ، ذلك لأن فترة ما قبل الزراعة لم

يكن ثمة ما يمكن تملكه ليقع التنافس بين البدائيين على تملكـه . إذ كيف يقوم النزاع على شيء لا وجود له . وما أن وجدت الزراعة حتى سارع الناس لتملك الأرض استجابة لنداء الفطرة التي فطر الله الناس عليها . ثم ما من أحد ينكر أنه كان هنالـك ـ في مرحلـة مـا قبل الزراعـة ـ صراع على تملـك امرأة بسبب جمـالهـا على الأقل ، وذلـك في مجتمع كانت تسوده الشيوعيـة الجنسيـة آنـذاك ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾ (آل عمران ١٤) .

يقول بلانكي أحـد أصـدقـاء مـاركس في فكره الشيوعي : يخطـىء أولئـك الذين ذهبوا إلى أن تقدم المجتمع بـدأ من صورة بـدائيـة للشيوعيـة ، ثم سـار في سلسلـة الصراعـات والتغيرات ، إلى أن يعـود للشيـوعيـة في صـورة أكثر نمـواً . ويخطىء من يظن أن المجتمعات البدائية كانت شيوعية لمجرد أنه لم يكن هنالك ملكية فردية في الأرض . والصحيح أنها كانت شديدة الفردية ؛ لأن الملكية لا تنشأ إلا عندما تصبح الأرض قادرة بالنسبة لعدد السكان الذين تعولهم .

أما ادعاؤهم أن الملكية الفردية هي سبب ظلم الطبقات العاملة فهذا ادعـاء باطل ؛ لأن منشـأ الظلم الـذي لحق العمال في أوربـا وفي العصور الوسطى كان سببـه تسلـط الرأسماليين الجشعين على الحكم ، وإقرار رجـال الـدين لهم على ظلمهم ، والذين راحوا يشرِّعون لصالح الطبقـة الحـاكمـة ، في فترة ضعف فيهـا الوازع الـديني ، نتيجـة الفصـام النكـد بين السلطـة والكنيسـة ، بخلاف المجتمع الإسلامي الذي لم يعط الحكام فيه حق التشريع ، بل حصر مهمتهم في الحفاظ على إقامة شرع الله العادل في الأرض .

وثمـة دليل آخر يثبت بطلان هـذا الزعم الخـاطىء . يروي لنـا التـاريـخ أن هناك صراعات قـامت بين أبنـاء الطبقـة الواحـدة والحزب الواحـد لم تكن

الملكية سبباً لها ، ولم تقم على أساس الصراع الطبقي .

لقـــد ألغت الشيــوعيـــة الصراع الطبقي فلِمَ قــــام الصراع بين لينين وتروتكسي ، وبين ستالين وبيريا ، وفيم قام النزاع بين الصين وروسيا .

مما يدل بوضوح أن إلصاق الشرور كلها بـالملكيـة الفرديـة ادعـاء غوغـائي تعسفي لا دليل عليه .

ونظراً لأن فكرة نـزع الملكيـة تخـالف الفطرة فقـد تخبطت الشيـوعيـة في تطبيقها لفكرة نزع الملكية كما يتضح مما يلي :

١ ـ لقد أخفقت الشيوعية في التسوية بين الأجور نظراً لما لاحظه حكامها من ضعف في الإنتـاج ، وسوء في نوعيتـه ، بسبب تسويتهم بين أجور المجـدين والخمولين ، وما أن أدرك ستالين هذه الحقيقة حتى قال في خطابه عـام ١٩٣٤ : (إن هؤلاء القوم يحسبون الاشتراكيـة تستلزم المسـاواة في مطـالب العيش لكل من أفراد المجتمع . ألا ما أسخفه من رأي يخرج عن فكر مهوش شتيت . إن المساواة التي ينـادون بهـا أخـذت تلحـق ببضـاعتنـا أكبر الأضرار) عن كتـاب (نقـد الماركسية) .

إن اعتراف ستالين هذا دليـل على الاضطراب الـذي تعـانيـه المـاركسيـة ؛ ذلك لأن التفاوت بين الأجور سيؤدي إلى التملك في دولة تحارب التملـك ، سيما عند أصحـاب الـدخل الكبير من قيـادات الحزب الحـاكم والفنـانين والفنـانـات وغيرهم .

٢ ـ كما أخفقت المـاركسيـة في منع التملـك ، فقـد سمح لينين بالتملك عـام ١٩٢١ ، ثم ألغاه عام ١٩٢٦ ، ثم اضطروا للسماح به عام ١٩٣٢ ، فأجـازوا للفرد أن يتملك قطعـة أرض صغيرة ، وبعض العجول والأغنـام والـدواجن والأدوات الزراعية ـ وهي من وسائل الإنتاج الممنوع تملكها ـ كما جـاء في المـادة العـاشرة

من الدستور الروسي الجديد : إنّ حق الملكية الشخصية للمواطنين في دخلهم وتوفيرهم الناجمين عن عملهم وفي ملكيتهم واقتصاديات بيتهم الإضافية ، وكذلك حقهم في إرث الملكية الشخصية حق مصون بموجب القانون . بهذا التخبط والتراجعات أثبتت الشيوعية عدم صلاحيتها للحياة ، مما اضطرها للتراجع ـ ولو قليلاً ـ عن مبادئها الأساسية ، مقتربة من واقعية الإسلام التي توازن بين النزعة الفردية والمصلحة الجماعية ، دون أن تفني إحداها على حساب الأخرى ، فلم تسحق الفرد لحساب المجتمع ، ولم تظلم المجتمع على حساب الفرد .

ولئن سمح الإسلام بالملكية الفردية إلا أنه قيدها بعدم الإضرار بمصلحة المجتمع .

فلقد حرّم كنز الأموال ، وأمر باستثمارها وتزكيتها ، كما حرّم الربا والاحتكار ، ووسائل الكسب غير المشروع ، ومنح الحاكم المسلم حق التدخل في الملكية الفردية لصالح الجماعة ، في الحالات التالية :

١ ـ لمصلحة عامة كانتزاعها لتوسيع طريق أو بناء مسجد أو مدرسة وغيرها .

٢ ـ لدفع الضرر عن الآخرين إذا كانت المنفعة الشخصية أقل من الضرر الذي تلحقه بالآخرين .

٣ ـ لسداد دين امتنع المالك عن أداء حق الغير ، فيباع من أملاكه مايكفي سداد الدين .

٤ ـ إذا احتكر سلعة أو امتنع عن بيعها مع حاجة المسلمين إليها فيُجبر على بيعها .

٥ ـ إذا داهمت الأمة كارثة ، أو هوجمت من أعدائها ، فلأمير المسلمين أن يأخذ من أموال الأغنياء ما يدفع به الضرر بعد أن يستنفد أموال الدولة ؛

لأن الإسلام أقام مجتمعه على التعاون والتكامل ، لا على الصراع الطبقي والحقد قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ ولم يجعل مقياس النجاح سيطرة طبقة على طبقة ، بل جعله في سيطرة الحق والعدل على سائر طبقات المجتمع قال تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ .

بهذه المفاهيم وعلى هذه الأسس أقام الإسلام دولة مثالية ، ومجتمعاً سعيداً ، لازال يدغدغ حلم الشيوعيين الذين لم يصلوا إلى عشر معشاره في دولهم القائمة .

٧ ـ **الشيوعية والأديان :** يقصد الشيوعيون من وراء تفسيرهم المادي للدين والأخلاق أمرين : أولهما أنها ليست ذات قيم قائمة بذاتها لذا فهي بنظرهم ليست ثابتة وليست قدسية .

وثانيهما : أنها انعكاس للأحوال المادية والاقتصادية ، وأن الوضع المادي القائم هو الذي ينشيء الأفكار والأخلاق المتعلقة بالدين، لذا فهي كذلك ليست ثابتة ، بل تتغير بتغير الوضع الاقتصادي للجماعة ، مما يفقدها قيمتها . وينطلق ماركس في تفسيره المادي هذا إلى ادعائه أن العقل انعكاس للمادة ، وأن المادة هي المؤثر الوحيد في هذه الحياة ، لذا فقد أنكر ماركس وجود الله ، كما أنكر الروح وأثرها في النفس والمجتمع ، يقول ماركس في كتابه (رأس المال) : ليس العالم الديني إلا انعكاساً عن العالم الواقعي ، وينقل عنه هنري لوفاهز في كتابه ماركس قوله : الدين لا يصنع الإنسان (يعني لا يوثر فيه) ولكن الإنسان يصنع الدين . الدين هو زفرة الكائن المشتعل بالألم ، وروح عالم لم يبق فيه روح ، وفكر عالم لم يبق فيه فكر ، إنه أفيون الشعوب .

وهنا يتسأل العلاّمة محمد باقر الصدر فيقول : وإذا كان يحلو للماركسية أن تؤمن بأن الطبقة المالكة المسيطرة هي التي تصنع الدين لحماية مصالحها فمن حقنا أن نتساءل ؟؟ هل كان من مصلحة هذه الطبقة (يعني من المسلمين) أن تجعل هذا الدين أداة فعالة للقضاء على رأس المال الربوي الذي كان يدر عليها أرباحاً طائلة قبل الإسلام . وهل كان من مصلحتها أن تتنازل عن أورستقراطيتها وتعاليها على من دونها فتنادي بالمساواة بين الناس ، وتعتبر التقوى والاستقامة مقياساً للتفاضل بين الناس . إذاً فالدين هو الذي أثّر فيها ، وجعلها تتنازل عن أرباحها غير المشروعة ، وعن امتيازاتها .

يقول أنكلز : ومهما يكن من شيء فليس الدين إلا الانعكاس الوهمي في أذهان البشر لتلك القوى الخارجية التي تسيطر على حياتهم اليومية (انتي دوهرنغ) يقول مولوتوف : لن تنتشر الشيوعية في الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز .

يقول لينين: إن الله هو تاريخياً وشعبياً وقبل كل شيء مجموعة من الأفكار ولدها غباء الإنسان المكبل بالأغلال ، ويقول : إن دعايتنا يجب أن تكون بالضرورة مشتملة على الدعاية للإلحاد ، ينبغي علينا أن نحارب الدين عندهم . هذا هو ألف باءكل المادية وبالتالي الماركسية ، ويقول : إن الماركسية هي المادية وبصفتها هذه فهي معادية للدين معاداة لا رحمة فيها (عن كتاب نصوص حول الموقف من الدين) .

نشرت جريدة البرافدا في ١٦ أيلول ١٩٤٤ مقالاً لستالين عن الدين جاء فيه : إن دولة السوفيت لا يكفيها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين ، فالحزب الشيوعي يقف بجانب المادة ، في حين أن الدين يناهض المادة ، الدين والشيوعية مثلهما مثل النار والماء ، ولا مكان للدين في الديار الشيوعية أبداً ، فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفي نقيض .

ترى لماذا حارب الشيوعيون النصرانية والإسلام ، وسكتوا عن اليهودية بل شجّعوها ، هل لأن اليهودية هي التي دفعتهم لصنع الحزب الشيوعي ووضعه في خدمتها ، أم لأن مبادىء اليهودية مبادىء مادية . ولقد علل لينين سبب استثناء الدين اليهودي من محاربته والضغط عليه ، لأن الدين اليهودي في نظره أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار ، ريثما ينال حقه بإنشاء دولته في فلسطين ؛ لان تجريد اليهود من دينهم يساهم في فقدان شخصيتهم اليهودية ، ويؤدي إلى ذوبانهم في شعوب الاتحاد السوفيتي . وهذا يغاير الهدف الذي أنشأت لأجله الشيوعية ، وهي سيادة شعب الله المختار .

لقد أخفقت الشيوعية في القضاء على الدين ، ولم تفدها كافة الوسائل القسرية التي استخدمتها في حربها ضده ، لذا فقد اضطرت لغض الطرف بعض الشيء عن المتدينين .

وما أن انفتح الاتحاد السوفيتي على العالم العربي والإسلامي حتى عدل من سياسته تجاه الدين ؛ خوف نفور المسلمين منه إن علموا عداءه للدين ، فتظاهر بمظهر الحياد من الدين ، وإن بقي معلناً رأيه بالإلحاد ، فقد نصت المادة ٥٢ من دستور الاتحاد السوفيتي على ما يلي : إن حرية الاعتقاد لمواطني الاتحاد السوفياتي مضمونة أي لهم الحق في اعتناق أي دين ، أو عدم اعتناق أي دين ، وأداء الشعائر الدينية ، أو القيام بالدعاية الإلحادية ، وتمنع العداءات والأحقاد بسبب المعتقدات الدينية .

كما اشتملت المادة ١٢٢ من قانون الجنايات على (تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية سواء في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المتخصصة . وجعلت كل مخالفة بهذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الإصلاحي مع الأشغال الشاقة مدة لا تزيد عن سنة .

كما وضعت المادة / ٥٨ / من قانون الجنايات : جميع المتعبدين تحت باب

أعداء الثورة وأباحت لرجال الشرطة في شتى الظروف السياسية أن يقتحموا بيوت هؤلاء المتعبدين ويتولوا أمورهم بطريقتهم الخاصة .

ولكي يضمن عدم تسلل المتدينين إلى قيادة الحزب فقد تقرر في المؤتمر التاسع للحزب ، وفي المادة الثالثة عشر احترام الحزب لمشاعر المؤمنين ، ولكنه قرر منع المؤمنين من الانضمام لصفوفه ، وجعل نشر الإلحاد أحد واجباته الرئيسية عن مجلة العربي الكويتية شوال ١٤٠٤ هـ .

قال لينين عام ١٩٢٧ م : إننا نقوم بالدعوة ضد الدين ، لأننا أقوى من أن ينال منا خصومنا عن طريق التشهير بإلحادنا . فلقد كنا نحرص في الماضي على عدم إعلان إلحادنا لأننا لم نكن أقوياء ، أما الآن فإننا نعلن بصراحة أننا ملحدون ، وأننا نرى في الأديان خطراً على الحضارة الإنسانية ، فالأديان أفيون مخدر .

لقد تناسى لينين أن الحضارة التي يخشى عليها من الدين هي التي انتقلت إلى أوربا عن المتدينين الذين حضهم الإسلام على العلم ؛ فنبغوا في كافة العلوم ، في وقت كان يسود أوربا التسلط والجهل . ولقد شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء ، أفلا يجدر بزعيم مثل لينين أن لا يتجاهل الحقائق ، فيعترف بأن الإسلام ليس كغيره من الأديان ، وأنه دين يأمر بالعلم ، ويعتبر المسلمين آثمين إن هم قصّروا في باب من أبوابه ، وأنه دين لم يخدر الشعوب ، بل دعاها إلى التحرر ، وعدم الرضا بالظلم ، لقد قالها الخليفة العادل عمر بن الخطاب : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، وقالها أبسط مسلم منهم : لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فهل في الشيوعيين مَنْ يجرؤ أن يقولها لرؤسائه ؟ اللهم لا فمن المخدر للشعوب إذاً هل الإسلام أم الماركسية ؟

٨ ـ **الشيوعية والأخلاق** : ورد في كتاب انتي دوهرغ رأي ماركس في الأخلاق قال : إننا نرفض كل محاولة لإلزامنا بأية عقيدة أخلاقية مهما كانت ،

على اعتبارها شريعة أخلاقية أبدية ثابتة ، ويقول : إنا ننادي بأن سائر النظريات الأخلاقية قد كانت حتىٰ هذا التاريخ نتاجاً لأوضاع المجتمع الاقتصادية السائدة في زمنها ، ويقول : إن دين المجتمع الإقطاعي قام بتغيير الأخلاق السائدة ، وبوضع الأسس لها إذ تصور مطالبها وحدودها التي تعبر في الواقع على مصالح المستغلين كأوامر إلهية . والأخلاق الإقطاعية التي ارتكزت على الدين ساعدت على كبح جماح جماهير الفلاحين المسحوقة .

لقد خلط الشيوعيون بين الأخلاق الجاهلية السائدة ، وبين الأخلاق الربانية السامية التي حرصت قبل كل شيء على احترام إنسانية الإنسان ، فعملت على تحريره من كل ما يمس كرامته ، وحقه في العيش الحر الكريم ، أما أخلاق الشيوعيين فلنستمع إليهم يصفونها بأنفسهم : يقول لينين في نفس الكتاب ص ٤٧١ ما يلي : إن الماركسية تنتقد دونما تحفظ محاولات علماء الاجتماع البرجوازيين لجعل الاشتراكية قائمة على أساس أخلاقي (كالعدالة والحق المطلق) وبهذا المعنى في الواقع ليس في الماركسية مثقال ذرة من الأخلاق ، والاشتراكية لا تحتاج إلى أساس أخلاقي وإنما إلى أساس علمي .

ويقول أنكلز : إن الأخلاق التي نؤمن بها هي كل عمل يؤدي إلى انتصار مبادئنا مهما كان هذا العمل منافياً للأخلاق المعمول بها . ويقول : يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ، فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية . ويقول : إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادراً على أن يغير أخلاقه وسلوكه وفقاً للظروف مهما تطلب من كذب وتضليل وخداع فإنه لن يكون مناضلاً ثورياً حقيقياً .
في عام ١٩٥٩ حينما سيطر الشيوعيون على الحكم في العراق سيَّر الحزب الشيوعي العراقي مظاهرة صاخبة تتصدرها عضوات الحزب وهن يهتفن في شوارع بغداد (ماكو مهر ، بس هالشهر ، والقاضي نذبه بالنهر) أي بعد شهر ستلغى

القوانين الإسلامية في الزواج وتأخذ المرأة حريتها في الزواج والطلاق دون ضوابط عن مجلة المجتمع عدد ٨٣٢ ص ٥٠ . والحق أن فساد الأخلاق دعامة قوية في تسلط الحزب الشيوعي على الشعب ، فإذا ضاعت القيم استطاعت الدولة شراء الضمائر ، والاستعانة بمن لا خلاق لهم على الظلم والإرهاب ، والتنكيل بالخصوم ، فتستعين بالأخ على أخيه وأبيه ، وتُحكم سيطرتها على الشعب المغلوب على أمره ورحم الله الشاعر إذ يقول :

إذا قلّ ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجهٍ إذا قل ماؤه

ويقول ﷺ : « إذ لم تستح فاصنع ما شئت » .

٩ ـ **الشيوعية والأسرة** : يقول جان فريغيل في كتابه (المرأة والاشتراكية) : لا تشكل الأسرة كياناً اجتماعياً خالداً . لقد طرأ عليها تبدلات عديدة عبر القرون ، وهذا التطور يتحدد في التحليل الأخير بالعامل الاقتصادي .

ويقول أنكلز في كتابه (أصل الأسرة ص ٥٦) : مرت الأسرة في أربع مراحل :

أ ـ أسرة الجيل وفيها كانت العلاقات الجنسية مباحة بين أبناء الجيل الآباء والبنات والأخوة والأخوات (وهذا لا دليل عليه) لأن أنكلز نفسه يقول : وإن أسرة الجيل هذه انقرضت ، وحتى أحسن الشعوب التي يتحدث عنها التاريخ لا تمدنا بأمثلة يمكن التثبت منها .

(إذ إنه يبني نظريته على وهم فلعله ضلل الآخرين) .

ب ـ المرحلة الثانية يقول في صفحة ٥٣ : ثم حصل التقدم الثاني بحرمان الأخوة والأخوات من العلاقات الجنسية المتبادلة وبالتدريج . وفي جميع أشكال الأسرة لم يكن الوالد يُعرف معرفة أكيدة ، أما الوالدة فتعرف بالتأكيد .

جـ ـ ثم كانت المرحلة الثالثة التي يعيش فيها الرجل مع المرأة الواحدة ، وإن تعدد الزوجات والخيانة الزوجية تظل من امتيازات الزوج لأسباب اقتصادية .

د ـ ثم تأتي مرحلة الوحدانية : التي تقوم على سيطرة الرجل ، وهدفها إنتاج الأولاد ، ولابد من تحديد نسبهم لكي ينالوا حقهم من الإرث .

أما الأسرة الشيوعية التي ترنو إليها الماركسية فيحددها أنكلز في الصفحة ٥١ من كتابه حيث يقول : إن العلاقات الجنسية ستصبح مسألة خاصة لا تعني إلا الأشخاص المعينين ، والمجتمع لن يتدخل فيها ، وهذا سيكون ممكناً بفضل إلغاء الملكية الخاصة ، وبفضل تربية الأولاد على حساب الدولة ، وبذلك ينخفض القلق الذي يستحوذ على قلب الفتاة من جراء العواقب التي تعوقها عن حرية الوصال الجنسي شيئاً فشيئاً ، ومن ثم لنشوء رأي عام أكثر تساهلاً فيما يتعلق بشرف العذارى وعار النساء .

يقول لينين في عام ١٩٢٢ : نحن لا نؤمن بالأفكار المثالية عن الأسرة التي تنادي بجعل الأسرة ذا كيان خاص له استقلاله . نحن لا نؤمن بهذه المثالية التي تشجع على جعل الوطن مجموعة من الأسرات المستقلة .

إن الأسرة في نظرنا ليست سوى أفراد مستقلين ، نحدد لكل منهم دوره في المجتمع .

وفي عام ١٩٢٨ قال ستالين : دعوني أذكر لكم بصراحة إنه من الخطر على حياتنا السياسية تشجيع ذلك المفهوم الخاطىء للأسرة ، وأقصد بذلك الآراء القائلة بأن هناك ما يسمى الولاء للأسرة ، فالولاء الوحيد المسموح به في مجتمعنا هو الولاء للدولة .

وفي كتاب مختارات ماركس وانكلز جـ ٣ ص ٢٧٠ النص التالي : (مع تحول وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة اجتماعية ، لا تبقى العائلة ، وتغدو

العناية بالأطفال وتربيتهم من شئون المجتمع ، فإن المجتمع سيعنى بالقدر ذاته بجميع الأطفال سواء كانوا شرعيين أم غير شرعيين . وبفضل هذا يزول هم العواقب الذي يشكل في الوقت الحاضر أكبر سبب اجتماعي أخلاقي اقتصادي يمنع الفتاة من الاستسلام بلا تحفظ للرجل الذي تحبه . ألن يكون هذا سبباً كافياً لكي نقوم تدريجياً بمزيد من الحرية في العلاقات الجنسية ولكي يتكون بالتالي رأي عام أكثر تساهلاً حيال شرف العذارى وحشمة النساء) .

يقول ماركس وانكلز في كتاب المرأة والاشتراكية ص ٥١ ما يلي : ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع سوى إشاعة النساء المتزوجات (يعني لأزواجهم) فقصارى ما يمكن أن يتهم به الشيوعيون إذن هو أنهم يريدون كما يزعم : الاستعاضة عن إشاعة النساء المستترة بالرياء والمغطاة بالمداجاة بإشاعة صريحة رسمية ، (عن البيان الشيوعي دار التقدم ص ٦٤) .

يقول انكلز في كتاب مختارات ماركس وانكلز جـ ٣ ص١٧٩ ص ما يلي : (الزوجة لا تختلف عن البغية المتازة الذكاء والأناقة إلا بكونها لا تؤجر جسدها بالقطعة كما تؤجر العاملة عملها بل تبيعه دفعة واحدة وإلى الأبد كالعبدة).

بعد هذا التخبط الذي زعموه في تطور الأسرة ، يريدون أن يجردوا الأسرة من كافة القيم والروابط ، فلا طاعة ، ولا ولاء ، ولا تدخل لأب أو أم في سلوك أبنائهم وبناتهم ، إنما الولاء الوحيد للدولة ؛ فإذا تدخل الأب في سلوك ابنته الشائن تدخلت الدولة في الانتصار لها ، لأن الجميع خراف في حظيرة واحدة هي الدولة ، والولاء الوحيد فيها للراعي وهو الحزب ممثل الدولة ، مادامت الدولة تطعمهم وتكسوهم لقاء عملهم معها ، فهي صاحبة الولاء دون غيرها . فإذا انقطعت الروابط الأسرية ، وأطلق الأولاد العنان لشهواتهم وأهوائهم ونزواتهم ، سهل على الدولة السيطرة عليهم ، وتوجههم في الخط الذي يضمن سيادتها وتسلطها .

الشيوعية والحرية

كانت روسيا قبل الانقلاب الشيوعي تعاني من تسلط القياصرة وفي عام ١٩١٤ تظاهر عمال بطرسبرج ضد الظلم والحرمان فأمر آخر القياصرة نيقولا الثاني الجيش بالقضاء علىٰ إضراب العمال ولكن الجيش انضم إلى الشعب والعمال الذين لم يعودوا يحتملون فساد القيصر راسبوتين المتسلط عليه وتحرك الشعب بعد هزيمة الحرب العالمية الأولىٰ فقضى علىٰ راسبوتين وأجبر نيقولا الثاني علىٰ التنازل عن العرش وتشكلت حكومة مؤقتة من عشرة أعضاء ستة منهم من اليهود ولا أظن ذلك على سبيل الصدفة وفي عام ١٩١٧ أي بعد الإطاحة بالقيصر بثلاث سنوات أرادت ألمانيا أن تشغل روسيا عن الحرب فأرسلت إليها لينين وأصحابه سراً ضمن مركبة شحن مغلقة ليثيروا فيها الاضطراب ضد السلطة القائمة . دخل لينين روسيا فوجد الكمثرىٰ ناضجة علىٰ حد قول نابليون ونادى لينين بالشيوعية والسلام والمساواة فاستقطب حوله العمال وأعضاء المجلس الحاكم واستطاع أن يقود الثورة البلشفية فأعلن تأمين البنوك والأراضي والمصانع كما تمكن بالبطش والإرهاب أن يقضي علىٰ خصومه وأن يمسك بزمام الأمور وخيفة أن تتحرك الولايات الإسلامية المجاورة علىٰ الثورة البلشفية إن كشفت عداءها للدين حاول لينين خداعهم فأعلن نداءه المشهور الذي دعاهم فيه إلى مساندته ضد الاستعمار الغربي ووعدهم فيه بمنحهم الحكم الذاتي وما إن استقرت الأمور وتمت السيطرة الكاملة للشيوعيين هاجموا الولايات الإسلامية بشراسة حيث احتل الجيش الأحمر بلادهم بقيادة بودبتي بحجة القضاء علىٰ أوكار الرجعية فذبح وشرد من المسلمين الملايين حتى دانت له بلادهم وقام ستالين من بعده بمذابح مماثلة حيث استطاع القضاء نهائياً علىٰ سبعة أقوام وألغى أسماءهم من دائرة المعارف وهم الكريمين ـ التتار ـ الكالموك ـ الكرك الشيشن ـ الكولات ـ الأنجش . كان ذلك عام ١٩٤٤ بحيلة قذرة علىٰ يد السفاح ستالين

بعد انتهاء الحرب العالمية حيث دخلت قطع الجيش العائدة من الحرب إلىٰ تلك المقاطعات بحجة الاستراحة فامتلأت المدارس والمشافي والحمامات وفي ٢٣ فبراير أي بعد حوالي شهرين أقاموا مهرجانات في الميادين العامة في المدن الكبرى والصغرى دعوا فيها الشعب لمشاهدة هذه الاحتفالات ووزعوا عليهم الهدايا والحلوى وفجأة أعلن مكبر الصوت أمر القبض علىٰ هؤلاء أبناء البلاد والمشاركين في الاحتفالات وسيقوا في طوابير إلى مركبات قطارات الشحن التي كانت بانتظارهم واتجهت بهم إلىٰ أواسط آسيا دون طعام ولا كساء وأعدموا منهم الوطنيين فوراً والذي وصل من طويلي العمر بعد خمسة عشر يوماً قضاها في الجوع والبرد عاش في منفاه ثم تتبع الروس مدارسهم ومساجدهم فدمروها كما أجبروهم على استبدال أسمائهم وليس عجيباً أن لا تشر الصحافة إلى هذه الفاجعة من قريب ولا من بعيد .

وكذا فعلوا بشعب جرمان السفلى فقد تم القضاء عليهم ١٩٤١ حين ألقت إليهم الطائرات كُتباً ومنشورات فخرج الناس لجمعها عندها فتحت عليهم أفواه الرشاشات فقضوا على أعداد هائلة ثم أعدموا الكثيرين حتى الذين حاربوا في الجيش السوفيتي ونالوا الأوسمة والرتب وبذلك تم القضاء نهائياً عليهم أما في تشيكوسلوفاكيا فما أن فكر الحزب الحاكم بمنح شيء من الحرية حتى فوجىء بالجيش الأحمر يقوم بإنزال مظلي في بلادهم عام ١٩٦٨ والطائرة العمودية تنزل الأسلحة الثقيلة فخيم الرعب علىٰ البلاد وتراجع المسؤلون عن آرائهم وأبقوا على تبعيتهم بل على عبوديتهم للسوفيت ، هذا هو شأن السوفيت والشيوعيين مع أبناء العقائد المغايرة عامة ومع المسلمين خاصة وهذا هو مفهوم الحرية الفكرية عندهم لقد طرحوا شعارها يوم أن حكموا بعض بلادنا بقولهم لا حرية لأعداء الشعب وأعداء الشعب بنظرهم هم الذين لا يؤمنون بأفكارهم مهما كثر عددهم فهل من مدكر .

منشأ الشيوعية اليهودي والصهيوني

مؤسسو الفكرة الشيوعية : جاء في كتاب (الشيوعية والصهيونية توأمان) لإبراهيم الحلو صفحة ١٧ ما يلي : المعروف أن هناك من سبق هرتزل في وضع الأسس الأولية للفلسفة الصهيونية ونعني به الصهيوني العريق - موسى هس - صاحب روما والقدس والذي وضعه عام ١٨٦٢ م . واقترح فيه دولة يهودية في فلسطين بمساعدة فرنسا . ويقول : ولاشك أن موسى هس سبق اليهودي ماركس في نظرياته الاشتراكية العامة . ويقول في صفحة ١٨ : يقول الحاخام لو بس برونز في كتابه أغرب من الخيال : إن التاريخ اليهودي قلما يذكر أن كارل ماركس هوحفيد الحاخام مردخام ماركس .

كان في روحه وعمله أشد إخلاصاً لإسرائيل من الذين يتشدقون بذلك .

وفي مقدمة كتاب الصهيونية والشيوعية تأليف فرانك يقول : أما الحقيقة الراهنة فهي أن الصهيونية والشيوعية صنوان ، منبعهما واحد ، وغايتهما واحدة ، وجوهرهما واحد ، والفئة التي تقوم عليها من وراء ستار واحدة ، وما اختلافهما في الظاهر سوى ترتيب موقت اقتضاه تأمين النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم .

جاء في كتاب الشيوعية والصهيونية توأمان ص ٢٤ ما يلي : وتاريخ الثورة الشيوعية يؤكد أن زعماء الحزب الشيوعي الذين أشرفوا على الثورة وأعلنوها وقادوها ثم حكموا روسيا كانوا خمسة هم : لينين وزينوفيف وكامينيف وتروتسكي وباكوف سفرولوف . كانوا جميعهم من اليهود ما عدا لينين ، كان متزوجاً من يهودية ، إلا أن وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل يؤكد في مذكراته أن لينين يهودي النسب ، صهيوني الفكر والمنطلق ، وهو بحق الزعيم

الفعال في قيادة الحركة الشيوعية ، ويدلل على يهودية لينين بقوله : إنه كان يحضر المؤتمرات التي كان يعقدها حكماء صهيون في سويسرا ، والتي كان يحضرها وايزمان نفسه ، وإلا فما هو مبرر حضوره إن لم يكن يهودياً كما ورد في صفحة ٢٨

إن عدد أعضاء اللجنة المركزية الشيوعية في بطرس بورغ في بداية الحكم الشيوعي ٣٨٨ عضوا منهم ٣٧١ يهودياً و١٦ روسي ، وزنجي واحد .

وقد أعلن المليونير الصهيوني اليهودي يعقوب شيف عام ١٩١٧ على رؤس الأشهاد : أن الثورة الشيوعية في روسيا قد نجحت بفضل مساعداته المالية .

يقول إلياس مرقص أحد قادة الحزب الشيوعي السوري في كتابه عن تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي وفي صفحة ١٤ ـ ١٥ ما يلي : وإن عاملاً آخر أثر على وضع الحركة الشيوعية في المنطقة العربية هو أنها نشأت أول ما نشأت على يد أفراد من الأقليات القومية أو العنصرية أو الطائفية وفي أوساط هذه الأقليات نشأت الشيوعية .

يقول الدكتور سعدون حمادي في كتابه نحن والشيوعية ص ١٨ ـ ١٩ هناك ملاحظة أخرى هي أن الشيوعية قد وجدت مجالاً أوسع في وسط الأقليات الدينية والعنصرية ، وعلى وجه التخصيص انتشرت بين العناصر الشعوبية المعادية للعرب ، كما وأن العلاقات الوطيدة بين الحزب الشيوعي العراقي والجالية اليهودية قبل الهجرة لإسرائيل مثال بارز على ذلك .

ولقد كان اليهود من أبرز قادة الحزب الشيوعي العراقي أمثال : صديق يهوذا ـ وساسون دلال ـ ويعقوب كوحجان وغيرهم . أما في مصر فقد تشكلت حلقات الماركسية الأولى من قيادات غير إسلامية تقريباً أمثال : روزنتال وأنطون وسلامة موسى . بمشاركة عدد من موفدي الكومنترن وجلّهم من

اليهود الروس أمثال : أفيجدون ونداداب ، وقد ضبطت في بعض قضايا الشيوعية في مصر أوراق وتقارير ومكاتبات تثبت أن النشاط الشيوعي في مصر يدار من الخارج . فقد عثر مع ناحومي كانيل اليهودية التي قبض عليها في ٣ / ١١ / ١٩٥٣ تقارير شيوعية واردة من الخارج ، وبعضها من إسرائيل وفي ١٤ / ١٠ عثر مع زميلها جوزف دافيد أزمو الإسرائيلي أيضاً على كثير من التقارير الواردة من هنري كوربيل إلى الشيوعية المصرية .

وفي عام ١٩٢٥ أسس الأرمنيان أرتين مادوبان وهيكازن بوبا جيان الحزب الشيوعي اللبناني السوري باسم عصبة سبارناكوس . وفي عام ١٩٢٥ أعلن الحزب تنظيم نفسه وانتخب لجنة مركزية من أرتين مادوبان وهيكازن بوبا جيان ويوسف يزبك وفؤاد الشمالي وباكوب تيبر اليهودي الروسي والذي قدم من إسرائيل .

وفي عام ١٩٣٠ انتسب خالد بكداش سوري الجنسية كردي الأصل إلى الحزب الشيوعي ورشحه تخمان لتيفنكس للدراسة في معهد الشيوعيين الشرفيين كي يتعلم فيه مبادىء الشيوعية والولاء لروسيا وعاد سكرتيراً للحزب يساعده فرج الله الحلو ونيقولا شاوي معلنين تبعية الحزب لموسكو مباشرة . وولاءه للكريملن .

☆ ☆ ☆

موقف الحزب الشيوعي من الصراع العربي الإسرائيلي

لقد سبقت الدولة الشيوعية الأولى في الاتحاد السوفيتي كافة الدول باعترافها بإسرائيل .

ومما قاله غروميكو وزير خارجيتهم في هيئة الأمم في ١٥ / ٥ / ١٩٤٧ : (إن الدول الغربية أثبتت عجزها في الدفاع عن الحقوق الأولى للشعب اليهودي ، وهذا ما يبرر طموح اليهود إلى إنشاء دولتهم بأنفسهم . ومن غير العدل أن لا نوافق على هذا الطموح ، أو أن ننكر حق الشعب اليهودي في تحقيق ما يصبوا إليه) عن كتاب (الثورة) لخلدون ساطع الحصري . وعلاوة على هذا فإن مندوب الاتحاد السوفياتي تعاون مع المندوب الأمريكي في وضع التفاصيل لخطة تقسيم فلسطين ، ولولا تصويت الاتحاد السوفيتي والدول المناصرة له على التقسيم لما أمكن تمرير مشروعه من الجمعية العمومية . وحين استأنفت الجيوش العربية محاولتها لتحرير فلسطين عام ١٩٤٨م قال غروميكو : (إن الهجوم العربي على الشعب اليهودي المسالم يعتبر عملاً وحشياً ضد شعب لا يريد سوى تقرير مصيره) نفس المصدر .

وفي ٦ / ١١ / ١٩٤٨ أرسل ابن غوريون رسالة إلى ستالين أكد فيها أن الشعب الإسرائيلي سوف لن ينسى المساعدة والتأييد الذين قدمها الاتحاد السوفياتي لإسرائيل) ٧٦ نفس المصدر . هذا هو موقف الحزب كدولة ، أما موقف الأحزاب الشيوعية العربية فهو تبع لزعمائهم اليهود في موسكو ، المسيرون للحزب الشيوعي الأم ، ولا غرابة في ذلك ؛ فإن أول رئيس للجمهورية السوفيتية الشيوعية كارمينيف كان يهودياً ، ولينين رئيس الحكومة كذلك وتروتسكي ، ووزير الحربية كان يهودياً كذلك ، وكذا الرئيس الثاني للجمهورية السوفيتية الشيوعية كان يهودياً واسمه سفرولوف ، وهو من فئة

اليهود الإرهابيين ، ورئيس أركان الجيش السوفيتي الذي زار الجبهة في بعض دول الصمود والتصدي إثر حرب الأيام الست كان يهودياً ، واليهود القابعون وراء الستار يدبرون أمور الدولة الشيوعية كثيرون .

يقول الدكتور سعدون حمادي في كتابه ص ٨٥ ، ٨٦ : وفي العراق أصدر الحزب الشيوعي عدة بيانات إبان حرب عام ١٩٤٨ يؤيد فيها التقسيم ، ويطالب بالكف عن التدخل العسكري وبالصلح مع إسرائيل . وقد خرجت المظاهرات الشيوعية تهتف بحياة الصداقة العربية اليهودية ، وبنضال إخواننا اليهود ، يتقدمها عربي ويهودي متلازمان .

وإن نظرة إلى جدول هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين ليوضح مدى حرص الشيوعين على إقامة دولة إسرائيل :

في عام	عدد المهاجرين	منها	يهودي سوفيتي
١٩٧١	٤٢٠٠٠	١٩٠٠٠	٤٥ ٪
١٩٧٢	٦٥٠٠٠	٣٢٠٠٠	٤٨ ٪
١٩٧٣	٥٥٠٠٠	٣٤٠٠٠	٦٧ ٪

وفي سوريا أعلن الحزب الشيوعي السوري تأييده لقرار تقسيم فلسطين ، وإنشاء دولة إسرائيل ، فما كان من الشعب إلا أن هاجم مقر الأحزاب الشيوعية وأضرم فيها النيران ، ومنذ ذلك الحين صار الحزب الشيوعي السوري محظوراً . وكذلك كان موقف الأحزاب العربية الأخرى إزاء فلسطين ، وما أن أخفقت الدول العربية في تحرير فلسطين نتيجة تأييد الشرق والغرب لليهود ، وبعد أن أصبحت إسرائيل حقيقة واقعة ، ودولة ضمنت بقائها الدول

العظمى حتى فكّر السوفيت بتغيير سياستهم في الشرق الأوسط وتفاهموا على ذلك مع أمريكا ، وبدأت فصول المسرحية تتابع ؛ فتظاهرت أمريكا بمنع أسلحتها عن العرب ، مما جعل العرب يفتشون عن مصدر آخر للسلاح ، ثم أوعزت إليهم لشراء الأسلحة من الشرق ، وقدمت لهم المال اللازم ، كان ذلك بمساعي الدبلوماسي الأمريكي كوتبلاند والذي صرح بذلك في كتابه لعبة الأمم ، وعقدت صفقة الأسلحة التشيكية ونجحت المسرحية ، أما مبررات تغيير سياستهم فتتلخص بما يلي :

١ ـ امتصاص النقمة العارمة في نفوس العرب التي نجمت عن تأييدهم لقيام دولة إسرائيل ، وتشريد أبناء البلاد الأصليين تمهيداً لغزوهم الفكري .

٢ ـ تمزيق العرب وتقسيمهم إلى معسكرين شرقي يساري ، وغربي رأسمالي ، وتحويل الصراع من الأعداء إلى الأشقاء ، بعد أن باتت الوحدة العربية وشيكة التحقيق .

٣ ـ إحكام السيطرة على البلاد العربية ، وابتزاز خيرات البلاد ومواردها الطبيعية وثرواتها عن طريق بيع السلاح والعتاد ، والأجهزة الألكترونية المتطورة .

ويظن البعض أنهم (السوفيت) يعطوننا حاجتنا من السلاح المتطور للدفاع والهجوم ، ولكن الحقيقة المرة التي يكشف عنها بعض الحكام بين الحين والآخر تدل على أن الشرق والغرب متفقان على المحافظة على كيان إسرائيل ، وأنهم لا يسمحون للعرب أن يمسوا سيادتها ، لذا فالأسلحة التي يزودوننا بها ما هي إلا أسلحة دفاعية فقط ، وأن الأسلحة الفعالة منها لا يسمحون لنا باستخدامها ، بل يرسلون معها خبراء من قبلهم لاستخدامها حسب شروطهم .

لقد صرح الرئيس أنور السادات على الملأ بأسباب إنهاء الصداقة السوفيتية المصرية ذكر منها إلحاح الاتحاد السوفيتي على بإيقاف الحرب عام ١٩٧٣ حين

شاهدوا انتصار القوات المصرية على القوات الإسرائيلية ، وبرروا إلحاحهم هذا بناء على طلب سوريا التي تمثل الجبهة الشمالية ، ولكن سوريا لم تؤكد هذا الطلب حتى الآن .

كما أشار السادات إلى امتناع السوفيت عن تعويض مصر عما فقدته من السلاح ، وقطع الغيار في حرب ١٩٧٣ تأديباً لها لعدم انصياعها لوقف الهجوم على الإسرائيليين ، ولم تكتف بذلك بل منعت عنها ١٢٣ محرك طائرة ميج كانت مصر أرسلتها لصيانتها ، وبعد وساطات وبوس شوارب أعاد لها السوفيت منها ٥٠ محركاً فقط .

كما قام بكشف أمثال هذه المواقف وزير الدفاع السوري في بعض لقاءاته مع الضباط السوريين في الجولة التي قام بها بعد حرب ١٩٧٣ .

كما لا يخفى على أحد تأثيرهم على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بتأخير بدء الهجوم على الإسرائيليين عام ١٩٦٧ ، والتحلي بالصبر - حتى باغته اليهود - وقد صرح بذلك يوم إعلان استقالته بعد النكسة ، فلقد كان يعرف أنهم سيبدأون هجومهم بعد ساعات ، ولكن استجابته للسوفيت كلفت الجيش المصري سلاحه الجوي ، الذي بدأ تأسيسه من جديد ، بشرائه من الاتحاد السوفياتي ، مما جعله وبكل صراحة يعلن عن تحمله مسؤولية الفشل ، ويقدم استقالته بسببها .

ويكفي للكشف انحياز الاتحاد السوفيتي لإسرائيل الخطاب الذي ألقاه فارسو المؤرب في هيئة الأمم عام ١٩٤٨ قال فيه :

إن موقف الاتحاد السوفيتي من تطور القضية الفلسطينية شيء مخيف فموسكو لا تريد العدل ولا الإنصاف ولا سلام ولا مبادىء الأمم المتحدة . إن كل ما تريده هو زرع استعمار جديد في قلب العالم العربي . فإذا كان هذا هو

حال السياسة السوفيتية هنا فلا لوم علينا ولا تثريب إذا نحن كفرنا بكل شيء بالغرب والشرق معاً .

أما إذا أردنا أن نسمع هذه الحقيقة من الشيوعيين أنفسهم ، فذلك ما صرح به الملحق العسكري السوفيتي في باريس لصحيفة معاريف اليهودية في ٢٢ / ٦ / ١٩٦٤ .

حيث قال : لقد أعربنا عن تأييدنا لإسرائيل بالسلاح والعتاد والرجال في أقسى ظروف الأزمة الفلسطينية ، فما قدمناه ونقدمه للبلاد العربية من سلاح هو لأغراض دفاعية ، ولمكافحة الرجعية العربية فقط ، ولا يمكن أن نسمح باستعماله للعدوان على إسرائيل .

فنحن نريد سلامة إسرائيل ،بل نعمل من أجل سلامتها . ثم هل تظنون أننا جاهلون بأهمية إسرائيل بالنسبة لنا ، وهل تظنون أننا لا نعلم نوع الحكم الاشتراكي السليم الذي تبنونه في إسرائيل بأيديكم . وهل من المعقول أن نكون طرفاً في هدم هذه التجربة الاشتراكية التي حفظتها إسرائيل ، وهل تظنون أننا مهملون أهمية الوجود الإسرائيلي في الشرق الأوسط تلك المنطقة المهمة .

اطمئنوا اطمئنوا إن الاتحاد السوفياتي مع إسرائيل ، وسيؤيدها اليوم وغداً ، كما أيدها ورعاها بالأمس ، ونحن نرعى الاشتراكية العربية ، لأن في ذلك تعزيزاً لمصلحة إسرائيل أيضاً .

☆ ☆ ☆

كارل ماركس

لابد قبل ختام البحث من ذكر لمحة عن حياة كارل ماركس لنتعرف على شخصيته ، فإن كانت شخصية متزنة مخلصة مضحية فيحتمل أن تنتج فكراً سليماً صائباً ، أما إذا كانت شخصية معقدة أنانية مشوشة فإنها لا تنتج إلا فكراً متزمتاً حاقداً . فإن الإناء لينضح بما فيه .

كارل ماركس ـ ألماني الجنسية ولد عام ١٨١٨ ميلادية توفي ١٨٨٧ وهو ينحدر من أبوين يهودين ينتميان إلى الربانيين ـ الحاخامات ـ تزوج من جيف مون فستنالين التي لحقت به بعد وفاته بعدة شهور . هاجر إلى باريس عام ١٨٤٤ والتقى بفريدريك أنكلز ، وألفا معاً ـ العائلة المقدسة والمثالية الألمانية ـ ثم طردا من باريس فرحلا إلى بروكسل ، وهناك ألفا معاً ـ البيان الشيوعي ـ الذي يحرض العمال على الثورة . ثم هاجر إلى إنكلترا وكتب فيها عدة مؤلفات منها ـ رأس المال ـ الذي أكمل أنكلز إصداره بعد وفاته .

وصفه تلميذه الزوهل بقوله : كان نموذجاً فيما كان يعانيه ، من تأثير سوء الهضم ، والانتفاخ ، وهياج الصفراء . وكان موسوساً يغلو كجميع الموسوسين في الشعور بمتاعبه الجسدية .

ومن الأسباب التي أثرت في شخصه ، ونمت الحقد في قلبه وجوده في المجتمع الألماني الذي ينظر إلى الملة اليهودية ـ في ذلك الوقت ـ على أنها حقار ووصمة عار . يقول عنه ليوبولد شوارز تبلد في كتابه البروسي الأحمر : إنه شخص شعث للغاية . سيءالتصرف في أعماله . يجري في معيشته على نهج المشردين من المشتغلين بالمطالب الفكرية . ويندر أن يستحم أو يمشط شعره أو يغيِّر ملابسه الداخلية ، يشرب ويحوم أيامه على غير هدى وبغير عمل .

قال عنه باكونين : إنه زعيم من زعماء الفوضوية ، يحب نفسه أضعاف حبه لأصدقائه ومريديه ، وما من صداقة تصمد لحظة إذا مسته في غروره وكبريائه . والأغرب من ذلك أنه يغفر الإساءة إلى دعوته الفلسفية ، ولا يغفر أبداً أصغر الإساءات إلى شخصه . ولابد لك أن تعبده وتتخذه وثناً إذا أردت أن تظفر بمودته .

ويقول عنه كول في تاريخ الفكر الاشتراكي : إن ماركس بعد انفصاله عن الهيجيليين لم يكن من أصحاب النظريات الأخلاقية ولا الاجتماعية .

انتسب إلى الماسونية مع رفيقه أنكلز وبلغا الدرجة الحادية والثلاثين في المحفل الماسوني الإنكليزي .

توفيت زوجة صديقه أنكلز فلم يهتم بمواساته وتعزيته فكتب إليه يقول : من البديهة أنك سترى ما أنا فيه من الحزن وما أنت عليه من جمود الطبع .

إن أصحابي جميعاً ومنهم المخالفون قد أبدوا لي من العطف والعزاء فوق ما كنت أنتظر . أما أنت فقد لاح لك أنها فرصة لإظهار سموك بالتعالي عن الحزن وجمود العاطفة . والأغرب من هذا أنه لما مات أبوه في برلين لم يكلف نفسه مشقة الانتقال إليها ليواسي أمه وأخواته ، ولم يشغله شاغل غير طلب الميراث والجور على حصة أمه وأخواته .

قال عنه أبوه هنزيك ماركس : إن الأنانية غالبة عليه ، وإنها وصمة أو لعنة على صفحة نفسه .

ترى هل تنتج هذه الشخصية الأنانية المعقدة ما فيه خير الإنسانية وسعادة البشرية ؟ اللهم لا .

الرأسمالية

CAPITALISM

عن كتاب الموسوعة الميسرة

التعريف :

الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها ، متوسعًا في مفهوم الحرية ، ولقد ذاق العالم بسببه ويلات كثيرة ، وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ كانت أوروبا محكومة بنظام الإمبراطورية الرومانية التي ورثها النظام الاقطاعي (Feudl System) .

ـ لقد ظهرت ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر الطبقة البورجوازية (Bourgeois) تالية لمرحلة الإقناع ومتداخلة معها .

ـ تلت مرحلة البورجوازية مرحلة الرأسمالية وذلك منذ بداية القرن السادس عشر ولكن بشكل متدرج .

ـ فلقد ظهرت أولاً الدعوة إلى الحرية (Liberation) وكذلك الدعوة إلى إنشاء القوميات اللادينية والدعوة إلى تقليص ظل البابا الروحي .

ـ ظهر المذهب الحر (الطبيعي) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في فرنسا حيث ظهر الطبيعيون (Les Phisiocrates) ومن أشهر دعاة هذا المذهب :

١ - فرانسوا كيزني Francois Quensnay (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م) ولد في فرساي بفرنسا ، وعمل طبيبًا في بلاط لويس الخامس عشر ، لكنه اهتم بالاقتصاد وأسس المذهب الطبيعي ، فلقد نشر في سنة (١٧٥٦ م) مقالين عن الفلاحين وعن الجنوب ، ثم أصدر في سنة (١٧٥٨ م) الجدول الاقتصادي Le Tableau Economaique وشبّه فيه تداول المال داخل الجماعة بالدورة الدموية ، وقد قال ميرابو حينذاك عن هذا الجدول بأنه : « يوجد في العالم ثلاثة اختراعات عظيمة هي الكتابة والنقود والجدول الاقتصادي » .

٢ - جون لوك John Locke (١٦٣٢ - ١٧٠٤ م) صاغ النظرية الطبيعية الحرة حيث يقول عن الملكية الفردية : « وهذه الملكية حق من حقوق الطبيعة وغريزة تنشأ مع نشأة الإنسان ، فليس لأحد أن يعارض هذه الغريزة » .

٣ - ومن ممثلي هذا الاتجاه أيضًا تورجو Turgot وميرابو Mirabou وجان باتست ساي J . B . Say وباستيا .

- ظهر بعد ذلك المذهب الكلاسيكي الذي تبلورت أفكاره على أيدي عدد من المفكرين الذين من أبرزهم :

- آدم سميث A . Smith (١٧٢٣ - ١٧٩٠ م) وهو أشهر الكلاسيكيين على الإطلاق ، ولد في مدينة كيركالدي في اسكوتلنده ، ودرس الفلسفة ، وكان أستاذًا لعلم المنطق في جامعة جلاسجو ، سافر إلى فرنسا سنة (١٧٦٦ م) والتقى هناك أصحابَ المذهب الحر . وفي سنة (١٧٧٦ م) أصدر كتابه (بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم) هذا الكتاب الذي قال عنه أحد النقاد وهو (أدمون برك) : « إنه أعظم مؤلف خطه قلم إنسان » .

- دافيد ريكاردو David Ricardo (١٧٧٢ - ١٨٢٣ م) قام بشرح قوانين توزيع الدخل في الاقتصاد الرأسمالي ، وله النظرية المعروفة باسم « قانون

تناقص الغلة » ويقال بأنه كان ذا اتجاه فلسفي ممتزج بالدوافع الأخلاقية لقوله : « إن أي عمل يعتبر منافيًا للأخلاق ما لم يصدر عن شعور بالمحبة للآخرين » .

- روبرت مالتوس Robert Maltus (١٧٦٦ - ١٨٣٦ م) اقتصادي إنجليزي كلاسيكي متشائم صاحب النظرية المشهورة عن السكان إذ يعتبر أن عدد السكان يزيد وفق متوالية هندسية بينما يزيد الإنتاج الزراعي وفق متوالية حسابية .

- جون استيوارت مل J . Stuart Mill (١٨٠٦ - ١٨٧٣ م) يعدُّ حلقة اتصال بين المذهب الفردي والمذهب الاشتراكي فقد نشر سنة (١٨٣٦ م) كتابه (مبادئ الاقتصاد السياسي) .

- اللورد كينز Keyns (١٨٨٣ - ١٩٤٦ م) صاحب النظرية التي عرفت باسمه والتي تدور حول البطالة والتشغيل والتي تجاوزت غيرها من النظريات إذ يرجع إليه الفضل في تحقيق التشغيل الكامل للقوة العاملة في المجتمع الرأسمالي ، وقد ذكر نظريته هذه ضمن كتابه (النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود) الذي نشره سنة ١٩٣٦ م .

- دافيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦ م) صاحب نظرية النفعية Pragmatism التي وضعها بشكل متكامل والتي تقول بأن « الملكية الخاصة تقليد اتبعه الناس وينبغي عليهم أن يتبعوه لأن في ذلك منفعتهم » .

- (أدمون برك) من المدافعين عن الملكية الخاصة على أساس النظرية التاريخية أو نظرية تقادم الملكية .

الأفكار والمعتقدات :

١ - أسس الرأسمالية :

- البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات مثلاً .

- تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن .

- المنافسة والمزاحمة في الأسواق (Perfect Competition) .

- نظام حرية الأسعار (Price System) وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب ، واعتماد قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها .

٢ - أشكال رأسمالية :

- الرأسمالية التجارية التي ظهرت في القرن السادس عشر إثر إزالة الإقطاع ، إذ أخذ التاجر يقوم بنقل المنتجات من مكان إلى آخر حسب طلب السوق فكان بذلك وسيطًا بين المنتج والمستهلك .

- الرأسمالية الصناعية التي ساعد على ظهورها تقدم الصناعة وظهور الآلة البخارية التي اخترعها جيمس وات سنة ١٧٧٠ م والمغزل الآلي سنة ١٧٨٥ م مما أدى إلى قيام الثورة الصناعية في إنجلترا أولاً وفي أوربا عامة إبان القرن التاسع عشر . وهذه الرأسمالية الصناعية تقوم على أساس الفصل بين رأس المال وبين العامل ، أي بين الإنسان وبين الآلة .

ـ نظـام الكارتـل (Kartel System) الـذي يعني اتفـاق الشركات الكبيرة ـ على اقتسام السوق العالميـة فيما بينهـا مما يعطيهـا فرصـة احتكار هـذه الأسواق وابتزاز الأهالي بحرية تامة . وقد انتشر المذهب في ألمانيا واليابان .

ـ نظـــام الترست (Trust System) والـــذي يعني تكـــوين شركـــة من الشركات المتنـافسـة لتكـون أقـدر في الانتـاج وأقوى في التحكم والسيطرة على السوق .

٣ ـ أفكار ومعتقدات أخرى :

ـ إن المذهب الطبيعي الذي هو أساس الرأسمالية إنما يدعو إلى أمور منها :

ـ الحياة الاقتصادية تخضع لنظام طبيعي ليس من وضع أحـد حيث يحقق بهذه الصفة نموًا للحياة وتقدمًا تلقائيًا لها .

ـ إنه يدعو إلى عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية وأن تقصر مهمتهـا على حماية الأفراد والأموال والمحافظة على الأمن والدفاع عن البلاد .

ـ الحـرية الاقتصـاديـة لكل فرد حيث إن لـه الحـق في ممـارســة واختيـار العمل الذي يلائمه وقد عبروا عن ذلـك بـالمبــدأ المشهـور : « دعـه يعمل دعـه يمر » (Laisser Fair , laisser Passer) .

ـ إن إيمـان الرأسماليـة بـالحريـة الـواسعـة أدى إلى فـوضى في الاعتقـاد وفي السلوك مما تولـدت عنـه هـذه الصرعـات الغربيـة التي تجتـاح العـالم معبرة عن الضياع الفكري والخواء الروحي .

ـ إن انخفاض الأجور وشدة الطلب على الأيـدي العـاملـة دفع الأسرة لأن يعمل كل أفرادها مما أدى إلى تفكـك عرى الأسرة وانحلال الروابـط الاجتماعيـة فيما بينها .

ـ من أهم آراء آدم سميث ان نمو الحياة الاقتصادية وتقدمها وازدهارها إنما يتوقف على الحرية الاقتصادية .

ـ وتتمثل هذه الحرية في نظره بما يلي :

ـ الحرية الفردية التي تتيح للإنسان حرية اختيار عمله الذي يتفق مع استعداداته ويحقق له الدخل المطلوب .

ـ الحرية التجارية التي يتم فيها الإنتاج والتداول والتوزيع في جو من المنافسة الحرة .

ـ يرى الرأسماليون بأن الحرية (Liberation) ضرورية للفرد من أجل تحقيق التوافق بينه وبين المجتمع ، ولأنها قوة دافعة للإنتاج ، لكونها حقًا إنسانيًا يعبر عن الكرامة البشرية .

٤ ـ عيوب الرأسمالية :

ـ الرأسمالية نظام وضعي يقف على قدم المساواة مع الشيوعية وغيرها من النظم التي وضعها البشر بعيدًا عن منهج الله الذي ارتضاه لعباده ولخلقه من بني الإنسان .

ـ الأنانية : حيث يتحكم فرد أو أفراد قلائل بالأسواق تحقيقًا لمصالحهم الذاتية دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة .

ـ الاحتكار : إذ يقوم الشخص الرأسمالي باحتكار البضائع وتخزينها حتى إذا ما فقدت من الأسواق نزل بها ليبيعها بسعر مضاعف يبتز فيه المستهلكين الضعفاء .

ـ لقد تطرفت الرأسمالية في تضخيم شأن الملكية الفردية كما تطرفت الشيوعية في إلغاء هذه الملكية .

ـ المزاحمة والمنافسة : إن بنية الرأسمالية تجعل الحياة ميدان سباق مسعور إذ يتنافس الجميع في سبيل إحراز الغلبة ، وتتحول الحياة عندها إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف ، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى إفلاس المصانع والشركات بين عشية وضحاها .

ـ ابتزاز الأيدي العاملة : ذلك أن الرأسمالية تجعل الأيدي العاملة سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب مما يجعل العامل معرضًا في كل لحظة لأن يُستبدَل به غيره ممن يأخذ أجرًا أقل أو يؤدي عملاً أكثر أو خدمة أفضل .

ـ البطالة : وهي ظاهرة مألوفة في المجتمع الرأسمالي ، وتكون شديدة البروز إذا كان الإنتاج أكثر من الاستهلاك مما يدفع بصاحب العمل إلى الاستغناء عن الزيادة في هذه الأيدي التي تثقل كاهله .

ـ الحياة المحمومة : وذلك نتيجة للصراع القائم بين طبقتين إحداهما مبتزة يهمها جمع المال من كل السبل وأخرى محرومة تبحث عن المقومات الأساسية لحياتها ، دون أن يشملها شيء من التراحم والتعاطف المتبادل .

ـ الاستعمار : ذلك أن الرأسمالية بدافع البحث عن المواد الأولية ، وبدافع البحث عن أسواق جديدة لتسويق المنتجات تدخل في غمار استعمار الشعوب والأمم استعمارًا اقتصاديًا أولاً وفكريًا وسياسيًا وثقافيًا عامة ، وذلك فضلاً عن استرقاق الشعوب وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتها .

ـ الحروب والتدمير : فلقد شهدت البشرية ألوانًا عجيبة من القتل والتدمير وذلك نتيجة طبيعية للاستعمار الذي أنزل بأمم الأرض أفظع الأهوال وأشرسها .

ـ الرأسماليون يعتمدون على مبدأ الديمقراطية في السياسة والحكم ، وكثيرًا ما تجنح الديمقراطية مع الأهواء بعيدة عن الحق والعدل والصواب .

- إن النظـام الرأسمالي يقوم على أسـاس ربـوي ، ومعروف بـأن الربـا هـو جوهر العلل التي يعاني منها العالم أجمع .

- أن الرأسمالية تنظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي وتتعامل معـه بعيـداً عن ميـولـه الروحيـة والأخـلاقيـة ، داعيـة إلى الفصـل بين الاقتصـاد وبين الأخلاق .

- تعمد الرأسمالية إلى حرق البضائع الفـائضـة ، أو تقـذفهـا في البحر خوفًـا من أن تتدنى الأسعـار لكثرة العرض ، وبينما هي تقـدم على هـذا الأمر تكون كثير من الشعوب في حالة شكوى من المجاعات التي تجتاحها .

- يقوم الرأسماليون بإنتاج المواد الكمالية ويقيمون الدعايات الهائلة لها دونما التفات إلى الحاجات الأسـاسيـة للمجتمع ذلـك أنهم يفتشون عن الربح والمكسب أولاً وآخرًا .

- يقوم الرأسمالي في أحيـان كثيرة بطرد العـامل عنـدمـا يكبر دون حفـظ لشيخـوختـه إلا أن أمرًا كهـذا أخـذت تخف حـدتـه في الآونـة الأخيرة بسبب الإصلاحات التي طرأت على الرأسمالية .

٥ - الإصلاحات التي طرأت على الرأسمالية :

- كانت إنجلترا حتى سنة ١٨٧٥ م من أكبر البلاد الرأسمالية تقـدمًـا . ولكن في الربع الأخير من القرن التـاسـع عشر ظهرت كل من الـولايـات المتحـدة وألمانيا ، وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت اليابان .

- في عـام ١٩٣٢ م بـاشرت الـدولـة تـدخلهـا بشكل أكبر في إنجلترا ، وفي الولايات المتحدة زاد تدخل الدولة ابتداء من سنة ١٩٣٣ م ، وفي ألمـانيـا بـدءًا من العهد الهتلري وذلك في سبيل المحافظة على استمرارية النظام الرأسمالي .

ـ لقد تمثل تدخل الدولة في المواصلات والتعليم ورعاية حقوق المواطنينُ وسن القوانين ذات الصبغة الاجتماعية ، كالضمان الاجتماعي والشيخوخة والبطالة والعجز والرعاية الصحية وتحسين الخدمات ورفع مستوى المعيشة .

ـ لقد توجهت الرأسمالية هذا التوجه الإصلاحي الجزئي بسبب ظهور العمال كقوة انتخابية في البلدان الديمقراطية وبسبب لجان حقوق الإنسان ، ولوقف المد الشيوعي الذي يتظاهر بنصرة العمال ويدعي الدفاع عن حقوقهم ومكتسباتهم .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ تقوم الرأسمالية في جذورها على شيء من فلسفة الرومان القديمة ، يظهر ذلك في رغبتها في امتلاك القوة وبسط النفوذ والسيطرة .

ـ لقد تطورت متنقلة من الإقطاع إلى البورجوازية إلى الرأسمالية وخلال ذلك اكتسبت أفكارًا ومبادئ مختلفة تصب في تيار التوجه نحو تعزيز الملكية الفردية والدعوة إلى الحرية .

ـ قامت في الأصل على أفكار المذهب الحر والمذهب الكلاسيكي .

ـ إن الرأسمالية تناهض الدين متمردة على سلطان الكنيسة أولاً وعلى كل قانون أخلاقي أخيرًا .

ـ لا يهم الرأسمالية من القوانين الأخلاقية إلا ما يحقق لها المنفعة ولا سيما الاقتصادية منها على وجه الخصوص .

ـ كان للأفكار والآراء التي تولدت نتيجة للثورة الصناعية في أوروبا دور بارز في تحديد ملامح الرأسمالية .

ـ تدعو الرأسمالية إلى الحرية وتتبنى الدفاع عنها ، لكن الحرية السياسية

تحولت إلى حرية أخلاقية واجتماعية ، ثم تحولت هذه بدورها إلى إباحية .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- ازدهرت الرأسمالية في إنجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية وفي معظم العالم الغربي .

- كثير من دول العالم تعيش في جو من التبعية إما للنظام الشيوعي وإما للنظام الرأسمالي ، وتتفاوت هذه التبعية بين التدخل المباشر وبين الاعتماد عليهما في الشئون السياسية والمواقف الدولية .

- وقف النظام الرأسمالي مثله كمثل النظام الشيوعي إلى جانب إسرائيل دعمًا وتأييدًا بشكل مباشر أو غير مباشر .

مراجع للتوسع :

١ - أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة — تأليف أبي الأعلى المودودي - ترجمة محمد عاصم حداد - ط ٣ - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م - مطبعة الأمان - لبنان .

٢ - المذاهب الاقتصادية الكبرى — تأليف جورج سول - ترجمة راشد البراوي .

٣ - النظم الاقتصادية في العالم — د . أحمد شلبي - ط١ - النهضة المصرية - ١٩٧٦ م .

٤ - معركة الإسلام والرأسمالية — سيد قطب - ط٢ - مطبعة دار الكتاب العربي - ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

٥ - الاقتصاد في الإسلام — حمزة الجميعي الدهومي - ط١ - مطبعة التقدم بالقاهرة - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

القومية

نشأة القومية : لقد بدأ ظهور القوميات في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر ويرجع ذلك إلى عوامل أهمها :

١ ـ رغبة الشعوب الأوربية في تحررها من سلطة الإقطاع الذي منع العمال والفلاحين حقوقهم وسخرهم لمصلحته .

٢ ـ رغبتهم في التحرر من سلطة رجال الكنيسة الذين تسلطوا عليهم باسم الدين .

٣ ـ رغبتهم في سيادة الحرية والمساواة والتخلص من واقع التجزئة المرير وأعلن دعاة القومية الثورة في فرنسا وأمريكا ، ونادوا بالحرية والعدالة والمساواة ، وبإلغاء الحق المقدس للملوك ورجال الدين ، ونادوا بحقوق الإنسان ، وما أن نجحت الثورة الفرنسية ، حتى تطلعت الشعوب الأوربية وغير الأوربية للتحرر باسم القومية .

هذه المبررات للدعوة القومية في أوربا لم تكن موجودة لدى العرب المسلمين للأسباب التالية :

١ ـ لأن السيادة كانت عندهم للشرع والقانون ، والمواطنون متساوون في الحقوق والواجبات ، والعلماء ناصحون ومرشدون ، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر . لا سلطة لهم على أحد يقول الدكتور جب : لقد عجز دعاة القومية على أن يجدوا ما يشابه رجال الدين المسيحي في الإسلام . ويقول المؤرخ الشهير ج هـ ولز : لا يزال للإسلام حتى يومنا هذا فقهاء ومعلمون ووعاظ ولكن ليس كهنة ولا قساوسة .

٢ ـ أما الحرية والعدالة والمساواة ونحوها فهي قوام الإسلام يقول تعالى :

﴿ **يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ الحجرات ١٣ .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) . لقد كان العرب قبل ظهور القوميات يمارسون قوميتهم كما يمارسون حياتهم ، فهم ليسوا بحاجة إلى من يعرفهم عليها ، فهم أمة واحدة ؛ يتكلم معظمهم لغة واحدة ، ويدين غالبهم بدين واحد ، ويتعايشون مع أبناء الديانات الأخرى بالعدل والإحسان والتسامح . لم يكن بين الأقطار العربية حدود مصطنعة . كان تسلم شخصية عربية من بلد ما لوزارة في بلد غير بلده أمراً عادياً ، فلقد أحصى المستشرق فيلبي أعضاء الحكومة التي أنشأها الملك فيصل في دمشق والتي تمثل العرب كافة فكان فيهم : عبد الله الدملوجي عراقي - فواد حمزة فلسطيني - حافظ وهبي مصري - يوسف ياسين سوري - خالد الكركني ليبي - رشدي ملحس فلسطيني ، ومن المؤسف أن هذه الظاهرة قد زالت في عصر القوميات ولدى الحكومات القومية المعاصرة بالذات .

مما يدل على أن هذه الشعارات إنما هي للتصدير والمزاودة فحسب .

مما تقدم يتبين لنا أن العرب لم يكونوا بحاجة إلى القومية إلا أن عدوى القومية وصلت إليهم بقصد أو بغير قصد ، ودون تمحيص أو عرض على عقيدة الأمة للتأكد من مخالفتها أو موافقتها لتعاليم الإسلام يقول المؤرخ توينبي في كتابه الفكر القومي : إنه من المؤسف حقاً أن تنقله (يعني الفكر القومي) الشعوب الناطقة بالضاد كما هو .

لقد أسقطوا التجربة العربية الإسلامية من حسابهم ، وتقمصوا الشخصية الأوربية ، فانهزموا في نفوسهم ، وأضاعوا شخصيتهم ، حتى أنهم راحوا يسمون

العصور الإسلامية الزاهرة بالعصور الوسطى إمعاناً في التبعية للغرب ، لقد كانت عصوراً وسطى بالنسبة للأوربيين لما فيها من جهل وظلم وتخلف ، ولكنها كانت عصور علم وازدهار بالنسبة للعالم العربي والإسلامي .

يقول راندال في كتابه تكوين العقل الحديث : وعلى الإجمال كان العرب (المسلمون) يمثلون في القرون الوسطى التفكير العلمي والحياة الصناعية العلمية اللذين تمثلهما في أذهاننا اليوم ألمانيا الحديثة .

دور الجهات المستفيدة في انتشار القومية في بلاد العروبة والإسلام

١ ـ **دور الصهيونية العالمية في نشوء القوميات** : منذ ظهور الإسلام واليهود لا يفتاؤن يكيدون للإسلام ويمكرون بأهله مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ المائدة : ٨٢ .

وما أن نشأت الدولة العثمانية وأخذت على عاتقها نشر الإسلام والدفاع عنه حتى أدرك اليهود هذه الحقيقة ، وعبر عنها الكاتب اليهودي الغربي برنارد لويس ، ونقلها عنه زين نور الدين في كتابه نشوء القومية العربية بقوله : كانت الإمبراطورية العثمانية منذ تأسيسها حتى زمن سقوطها دولة تكرس قواها في سبيل تقدم شوكة الإسلام وحمايته ضد أي اعتداء خارجي .

وقد ظل العثمانيون طوال عدة قرون تقريباً في حرب مستمرة ضد الغرب المسيحي وذلك :

١ ـ لمحاولة فرض حكم إسلامي على جزء كبير من أوربا .

٢ ـ لشن حرب دفاعية تأخيرية جديدة تقف في وجه الهجوم المعاكس الذي قام به الغرب ، لذا راحوا يعملون للقضاء على دولة الخلافة لينسفوا السياج الذي أقامته لحماية الإسلام ، فيحققون أغراضهم ، ويقيمون دولتهم

المنشودة في غيبة الحراس الأمناء . لذا فقد ساهموا في طرح شعار القومية بدل الإسلامية ؛ ليقوموا بدور الشيطان في إثارة العداوة والبغضاء بين العروبة والإسلام ، وبين القوميات المختلفة ، وينزغون بين الأشقاء ، ويباعدون بين الأصدقاء الذين كانوا على قلب رجل واحد ، ليصبحوا قوميات متناحرة ، تتعدد أهدافهم بتعدد قومياتهم لأن أهم شعار يعتمد عليه الاستعمار في تثبيت نفوذه هو شعار : فرّق تسد . وقد ساد اليهود فعلاً حين تفرقت كلمة العرب والمسلمين وانهارت دولة الخلافة الإسلامية ويتلخص دور اليهود أعداء العروبة والإسلام فيما يلي :

أ ـ شراء النفوس الضعيفة بالمال : ففي عام ١٨٩٦ دخل هرتزل على السلطان عبد الحميد يساومه على بيع قسم من أرض فلسطين فرفض السلطان طلبه ، وفي عام ١٩٠٠ حاول قرصوه ممثل يهود سلانيك في مجلس المبعوثان في تركيا شراء مثلث يافا ـ غزة ـ البحر الميت لقاء مبلغ خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزانة الملك الخاصة ، وعشرين مليون ليرة ذهبية لخزانة الدولة كقرض طويل الأمد ودون فائدة ، تستخدمه الدولة للمشاريع الإنسانية ، فطرده السلطان من قصره . وفي عام ١٩٠٢ ، كرر هرتزل محاولته الأولى فكان جوابه الرفض وكتب السلطان عبد الحميد إلى بنولنسكي صديق هرتزل قائلاً : إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر . لا أقدر أن أبيع قدماً واحداً من البلاد ، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا ، فما كان من الصهاينة بعد هذا الرفض القاطع إلا أن بدأوا بالعمل على تقويض حكمه ، ويعترف بذلك كاتبهم برنارد لويس في كتابه نشؤ تركيا الحديثة فيقول : (لقد تعاون الأخوة الماسون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضاً قوياً لليهود ، وذلك لأنه رفض بشدة إعطاء أي شبر من أرض فلسطين لليهود) أحمد صالح محارب .

ب ـ تكوين الجمعيات السرية ، واستقطاب العناصر القيادية والنشطة في الدولة في هذه الجمعيات وفي الماسونية ربيبة اليهودية . يقول ستون وستون : إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير إسلامية ؛ فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من أصل تركي صاف . فأنور باشا مثلاً هو ابن رجل بولندي مرتد ، وكان جاويد من طائفة اليهود المعروفة بالدونمة ، وقرصوه من اليهود الأسبان القاطنين في سالونيكا ، وكان طلعت بلغارياً من أصل غجري اعتنق الإسلام ديناً ، أما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه مجرياً إلى جانب كونه من اتباع مدرسة كونت الفلسفية ويقول : إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة فقد كانوا يهوداً أو مسلمين من أصل يهودي (يعني الدونمة) .

أما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق الدونمة ، ويهود سالونيكا الأثرياء ، كما كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية أوشبه الدولية ، من فينا وبودابست وبرلين ، وربما من باريس ولندن . ويقول المليونير الأمريكي اليهودي هنري فورد في كتاب اليهودي العالمي : إن معظم مظاهر القومية القائمة اليوم نشأت عن السخط الذي تولد ضد سلطان المال اليهودي الذي مارس نشاطه تحت ستار مختلف الأسماء القومية الزائفة .

وكان يهود سالونيكا يعرفون بالدونمة ـ أي المرتدين ـ شركاء الثورة التركية الحقيقيين ، وهؤلاء من العرق اليهودي ، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهودياً أصلاً ، والاعتقاد الشائع بين الناس هو أنهم مسلمون بالاسم أما بالفعل فهم من أتباع توراة موسى (عن كتاب نشوء القومية زين نور الدين ص ٢٠٧) وكان آخر ما فضح دور اليهود بالقضاء على الخلافة الإسلامية هوكتاب السلطان عبد الحميد إلى شيخه أبي الشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق ، والذي نشرته مجلة العربي لأول مرة في السبعينات .

لقـد استطـاع اليهـود أن يشكلـوا جمعيـة تركيـا الفتـاة في سـالـونيكا وأن يستميلوا إليها الأقليات ، وفي عام ١٨٨٩ انقلبت إلى جمعيـة سريـة بـاسم جمعيـة الاتحاد والترقي ، ثم استمالوا إليها الضباط الشباب : أنور ونيـازي زعمـاء الجمعيـة العثمانية للحريـة ، والـذين سبق أن انـدمج معهم مصطفى كمال أتـاتورك زعيم جمعية الوطن ، وأصبحت الجمعيات الثلاث جمعية سرية قوميـة تخطـط للقضـاء على الحكم الإسلامي ، ومـا أن قطعوا الأمل بموافقـة السلطـان عبـد الحميـد على بيعهم أرض فلسطين حتى أجبروه على إعادة دستور مدحت باشـا عـام ١٩٠٨ ، وتسلموا زمـام الحكم ، وقضـوا على أتبـاعـه ثم خلعـوه عـام ١٩٠٩ ، ودللـوا على لؤمهم وحقـدهم على الإسلام أن اختـاروا نـاحوم أفنـدي حـاخـام يهـود تركيـا وسيطـاً بينهم وبينـه ، واختـاروا اليهودي قرصوه ، والأرمني آرام ليبلغوه قرار الخلع ، وقد نشرت مجلة المجتمع في عددهـا ٢٦٥ : أن عـالم السوء البـاطني العرق موسى كاظم هو الذي أفتاهم بخلعه ، وما أن تمكن الاتحـاديون من السيطرة على الحكم حتى اتخذوا قرارهم بتتريك رعايا الدولة العثمانية خلال أربعة قرون ، ممـا حدا بالشعوب الخاضعة لهذه الـدولـة إلى المنـاداة بقوميـاتهـا كرد فعل على هـذا الإجراء المثير . يقول وليم بولك : عنـدمـا وصل أنصـار تركيـا الفتـاة إلى الحكم مارسوا سيـاسـةالتتريـك على نحوٍ لم يحـاولـه أي حـاكم عثماني من قبل ، فبـدأت المدارس تعلم التركية ، وتؤكد عظمة الأتراك وفضائلهم ، هـذا الموقف الجـديـد من الأتراك دفع العرب إلى البحث لأنفسهم عن كيان متميز عن العثمانيين .

وهذا ما خطط له يهود ، فهم يعرفون استحـالـة تتريـك الشعوب التـابعـة للدولة العثـانيـة ، ولكن قرارهم بـالتتريـك كان بمثـابـة إعطـاء مبرر للشعوب الأخرى كي تنادي بقومياتها ، وتنفصل عن دولة الخلافة الإسلامية .

٢ ـ **دور الماسونية ربيبة الصهيونية :** قد يستغرب البعض دور الماسونيـة في تدعيم القومية باعتبارها جمعيـة أمميـة تحـارب القوميـات ، والحقيقـة هي أن

الماسونية تهدف إلى تحطيم الأديـان ، كما تهـدف إلى تحطيم القوميـات ، فـإذا مـا استطاعت أن تضرب الدين بالقومية فإنها لا تفوت هـذه الفرصـة الـذهبيـة ، حتى إذا ما تم لها القضاء على الـدين تفرغت للقضـاء على القوميـة بـاعتبـارهـا أسهل منالاً من الدين .

١ ـ يقـول جـورج أنطـونيـو (في كتـابـه يقظـة العرب ص ١٤٩) : (واستطـاع مؤسسـو الجمعيـة السريـة ـ العلميـة السـوريـة ـ عن طريـق أحـد زملائهم أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني ويشركوه في أعمـالهم) مع أن الأرجح أن يكون المحفل الماسوني هو الذي دفع أعضـاءه لتشكيل هـذه الجمعيـة القوميـة السرية ، وكانوا خمسة من خريجي الكلية البروتستانتية .

٢ ـ ويقول علي المحافظة في كتابه (الاتجاهـات الفكريـة عنـد العرب ص ١٥١) : (وفي عام ١٩١٣ نجح الشباب النصارى الخمسة في عقـد مؤتمر في فرنسـا دعو إليه كافة الجمعيات القومية السرية والعلنيـة برئـاسـة المـاسوني عبـد الحميـد الـزهراوي ، وفي هـذا المـؤتمر ظهر اتجـاه واضـح إلى رفض الرابطـة الـدينيــة ، واستبدلوا بها الرابطة القومية ، ففي أعقاب المؤتمر أجاب عبـد الحميـد الزهراوي على سؤال جريدة فرنسية : إن الرابطة الدينية عجزت دائماً عن إيجاد الوحـدة السياسية وأنا لا أرجع إلى الوراء) .

٣ ـ وفي الفصل الثـاني من كتـاب (هـانـدبوك) النص التـالي (إن قـادة جمعيـة الاتحـاد والترقي وزعمـاءهـا كانـوا جميعـاً وبـدون استثنــاء من البنــائين الأحرار ـ أي الماسونيين) .

٤ ـ وفي كتـاب أسرار المـاسونيـة ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ يقول الجنرال التركي جواد رفعت اتلخـان مـا يلي : (وبدأ قرصوه نشـاطـه ، وأوقع كثيراً من الـوطنيين المتحمسين في شباك الماسونيـة ، وكان أحـد هؤلاء طلعت بـاشـا الـذي انتخب رئيساًلمحفل المشرق الأعظم العثماني) . وورد في كتاب العروبة والإسلام لـداود

سنقراط ص ١٣٦ ـ إن ناحوم أفندي هو الاسم الحقيقي لقرصوه ، وهو نفسه الذي ذهب إلى مصر باسم ناعوم أفندي كبيراً لحاخاميها ، ورئيساً لجميع محافلها الماسونية ، وليكون قريباً من فلسطين في تنفيذ وعد بلفور ، وقيام دولة إسرائيل . وبلغ ناعوم أفندي من القوة في مصر بأن فرض قطاوي باشا اليهودي وزيراً لمالية مصر في إحدى وزارات صدقي باشا الأستاذ الأعظم في السلك الماسوني ، وفرض زوجة قطاوي كبيرة لوصيفات نازلي زوجة الملك فؤاد .

٥ ـ ويقول الكاتب اليهودي برنارد لويس في كتابه نشوء تركيا الحديثة ما يلي :

(لقد تعاون الأخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضاً قوياً لليهود) .

ويتمثل دور الماسونية في تقويض الخلافة الإسلامية في عاملين :

١ ـ إثارة النعرات الإقليمية وإنشاء الجمعيات القومية والسرية .

٢ ـ ممارسة ضغط سياسي على السلطان عن طريق الدول الغربية التي تسيطر الماسونية على قادتها ورؤسائها . كما يتضح مما يلي :

يقول لوليم غاي كار في ص ١١٢ من كتاب أحجار على رقعة الشطرنج) ما يلي (في عام ١٩٢٣أقيمت حفلة شاي كبرى وفي هذه الحفلة اقترح رئيس محفل الشرق الأكبر في فرنسا على الحاضرين أن يشربوا نخب الجمهورية العالمية التي ستولد من الماسونية العالمية) .

ويقول الدكتور محمد محمد حسين في كتابه (حصوننا مهددة من داخلها) : (إن أكثر الناس يجهلون أن شعار الثورة الفرنسية اليهودية ـ الحرية والإخاء والمساواة ـ هو من وضع مجمع بوردو الماسوني) .

ونتيجة ضغوط الماسونية عن طريق سفراء الدول الأوربية قدم السلاطين العثمانيون تنازلات للأجانب ساهمت إلى حد كبير على تقوية خصومهم والثورة عليهم .

٣ ـ دور الاستعمار الغربي في نشوء القوميات لتمزيق المنطقة والسيطرة عليها

تتلخص دوافع الاستعمار الغربي في تشجيع القومية العربية إلى ما يلي :ـ

١ ـ حقد الصهاينة والماسون على العروبة والإسلام عامة وعلى دولة الخلافة خاصة ؛ لأنها حالت دون تحقيق هدفهم بشراء أرض فلسطين ، مما دفعهم للتآمر عليها ، وتشجيع الحركات القومية لتمزيقها ، وتحريض الدول الأوربية التي يسيطرون على اقتصادياتها ، أو على بعض مجالسها ، كمجلس الكونغرس الأمريكي وكانكلترا التي وصلوا إلى وزاراتها حيث تسلم بلفور وزارة خارجيتها ، ووعد اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

٢ ـ الحقد الصليبي نتيجة فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وقضائه على أكبر كنيسة في الشرق .

٣ ـ طمع المستعمرين بالسيطرة على الدول العربية لموقعها الاستراتيجي ولخيراتها الوافرة ، يقول جورج كيرك مؤلف كتاب تاريخ الشرق الأوسط : إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني .

أما الأساليب والخطوات التي انتهجتها الدول الاستعمارية للسيطرة على العالم العربي فتتلخص فيما يلي :

١ ـ التشجيع على تأسيس الأحزاب القومية ، وبث هذه الفكرة عن طريق المدارس التبشيرية ، واستمالة بعض الشخصيات الإسلامية المتنفذة للمناداة بها ، وتسير الصحف التي يسيطرون عليها للترويج للفكرة القومية .

- يقول الدكتور وليد قزيها : (نزح العديد من الأسر الإقطاعية المسيحية إلى مصر وأوربا - وخاصة فرنسا - عقب أحداث الحربُ الأهلية اللبنانية ، وثورة صغار الفلاحين على المقاطعجية عام ١٨٦٠ ، وقد تأثر هؤلاء بالثقافة الغربية لأنهم وجدوا أنها تعبر عن مصالحهم ، وكان تبنيهم للمنهج العلماني وسيلة لإعلان معارضتهم الشديدة للجامعة الإسلامية التي شجعها السلطان عبد الحميد ، واتساقاً مع هذا المنهج كان من المنطقي أن تبنوا فكرة أن ينظم المجتمع على وجه جديد يأخذ بالقومية العربية كأساس ؛ حيث تتمتع الطوائف كلها بحقوق متساوية ، ويعود الاعتبار للأسر الكبيرة المسيحية منها والمسلمة ، التي تقف على رأس الهرم الاجتماعي في المنطقة العربية) .

- يقول جورج أنطونيو في كتابه (يقظة العرب ص ٧١) ما يلي : (وبدأت قصة الحركة القومية للعرب في بلاد الشام سنة ١٨٤٧ بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت في ظل رعاية أمريكية) .

ويقول في صفحة ٩٧ : (كان من نتيجة التسامح الذي تميز به حكم إبراهيم باشا نتيجة لم تخطر على بال أحد من قبل ، فقد فتح هذا التسامح الباب أمام البعثات التبشيرية الغربية ، وبذلك أتاح العمل لقوتين أحداهما فرنسية والأخرى أمريكية قدر لهما أن تحتضنا البعث العربي وترعياه) .

- ويحدثنا جورج أنطونيوس عن العربيين النصرانيين اللذين استثمر جهودهما المبشرون الأمريكان ، وآزورهما حتى أمسكا بأيديهما زمام الحياة الفكرية في ذلك العصر في لبنان فيقول : (كان ناصيف اليازجي أسنّ الرجلين ولد عام ١٨٠٠ ، وقد شحذت عزيمته الدروس التي تلقاها عن كاهن القرية ، وكان الرجل الثاني بطرس البستاني ولد عام ١٨١٩ ، وكان أيضاً عربياً نصرانياً من جبل لبنان ، تعلم لغات أخرى غير العربية ، التحق وهو ابن عشر سنين بكلية الدير في قرية عين ورقة ، وحين ذهب إلى بيروت سنة ١٨٤٠ تعرف بايلي

سميث وبأمريكي آخر جاء إلى بلاد الشام مبشراً وطبيباً ، وهو الدكتور نيلوسي فإن داسك ، ولم تقتصر هذه المعرفة على الصداقة وحدها بل تعدتها إلى الامتزاج الروحي ، فاعتنق البستاني المذهب المشيخي ، ومنذ ذلك الحين ارتبطت جهوده بجهود البعثة التبشيرية الأمريكية . ويشيد جورج أنطونيوس وألبرت حوازي بجهود البستاني في بعث القومية الغربية .

٢ ـ ومن الأساليب الاستعمارية الغربية سعيهم لإقامة دولة عربية ، في الجزيرة العربية منفصلة عن دولة الخلافة يتسلم قيادتها أحد أشراف مكة ، وذلك لإنهاء السلطة الروحية التي يتمتع بها الخليفة العثماني ، ليأخذوا من يده سلاح الجهاد المقدس ، في حالة نشوب حرب بينهم وبين السلطان ، فيطمئنوا إلى ولاء الشعوب الإسلامية المستعمرة من قبلهم كالهند وغيرها .

لذا كان من مصلحتهم تشجيع الحركات القومية ، وإثارتها على الخلافة العثمانية لتجزئتها والتمكن من الانتصار عليها ، وبذلك تضطر تركيا لحجز جزء من قواتها لإخضاع العرب ، فتباعد بذلك بين قوات تركيا المتواجدة في اليمن ، وبين قوات حليفتها ـ ألمانيا ـ الموجودة في مستعمراتها الأفريقية ، وبذلك تضرب عدة عصافير بحجر واحد ، وتحقق عدة أهداف بثورة العرب الكبرى .

ـ يقول لورنس الانكليزي : (لقد كنت مؤمناً بالحركة العربية إيماناً عميقاً ، وكنت متأكداً من قبل أن آتي إلى الحجاز أن هذه الفكرة ستمزق تركيا ، وتقضي على إمبراطوريتها شذر مذر) .

ويقول لورنس في كتاب (أعمدة الحكمة السبعة ص ٩) : (لقد طلب مني أن أعيش مع هؤلاء العرب كرجل غريب لا يقدر أن يجاريهم في معتقداتهم وتفكيرهم ، وكنت مضطراً لتدريبهم وتوجيههم في الاتجاه الذي ينسجم وسياسة بريطانيا المحاربة) .

وإذا أردنا أن نعرف ولاء لورنس للصهيونية فلنسمع إلى رأي وايزمان الزعيم اليهودي فيه والذي سجله في مذكراته ص ٤٥ ـ ٤٦ يقول فيه : (ويقضي علي الواجب وأنا أبحث تاريخ العلاقات بين العرب واليهود أن أثني هذا الثناء العظيم على الخدمات التي قدمها لورنس للقضية اليهودية ، لقد عرفت لورنس وقابلته مرات عديدة في مصر ، وقد كان يتردد بعد ذلك علي في منزلي بلندن من غير رسميات ولا كلفة) .

لقد بدأت بريطانيا اتصالها بالشريف حسين عن طريق كتشنر ثم تلاه مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر ، والسودان وقد كانت نتيجة هذه الاتصالات كتاب الشريف حسين إلى مكماهون في ٢ رمضان ١٣٣٣ هـ عام ١٩١٥ ميلادية يطلب فيه :

١ ـ أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية ما عدا عدن تبقى على حالها .

٢ ـ أن توافق انكلترا على إعلان خليفة عربي على المسلمين .

٣ ـ تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية بريطانيا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية .

٤ ـ تتعاون الحكومتان في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين براً وبحراً وجواً (عن كتاب يقظة العرب) ورد عليه مكماهون في ١٩ شوال ١٣٣٣ عام ١٩١٥ م بعد ديباجة إطراء هائلة قال : إن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة ، واستؤنفت المحادثات بين الطرفين إثر تولى كنشتر وزارة الحرب البريطانية ، وإعلان الحرب العالمية الأولى ، وذلك بعد أن تعثرت محادثات حسين مكماهون بسبب الاعتراض على حدود الدولة العربية الجديدة ، وأخيراً

تم الاتفـاق على كل شيء ، وعلى دخـول الشريف حسين الحرب العـالميـة إلى جانب انكلترا .

واستجاب الشريف لطلب انكلترا بعد أن ضمن وقوفها إلى جـانبـه ، ودخل جيش الملك فيصل بن حسين دمشق بعد أن أعلن الثورة العربيـة الكبرى في ٥ حزيران ١٩١٦ ، يقول لورنس : (بصفتي مندوبـاً لفيصل فـاجـأت الحـاضرين بـإعـلان عـزل حكـومـة دمشـق المحليـة ، وتعيين شكري بـاشـا الأيـوبي حـاكماً عسكرياً ، ونوري السعيد قائـداً للقوات المسلحـة ، وعزمي بـاشـا نـائبـاً لـه ، وجميل مديراً للأمن العام) ثم عـاد إلى الفنـدق ، بينما ذهب الجنرال الـلنبي إلى قبر صلاح الـدين الأيوبي وركلـه برجلـه وقـال كلمتـه المشهـورة (الآن انتهت الحرب الصليبية ياصلاح الـدين) ثم ذهب إلى الفنـدق والتقى بلورنس هنـاك فأقره على إجراءاته وانصرف .

لذا يقول الدكتور محمد أنيس في كتابه (الدولة العثمانيـة ص ٢٧١) : ومن أوضح معالم الحركة القومية العربيـة في هـذه المرحلـة والتي تلتهـا أبـان الحرب العالمية الأولى هو التعاون بين القوميين العرب والدول الأوربيـة ، فمن المعروف أن الجمعيات العربية في بلاد الشـام كانت على صلـة بـالقنصل الفرنسي بيكو في بيروت ، كما كانت جمعيـة اللامركزيـة على صلـة بكنشتر القنصل البريطـاني في مصر) ويقـول : (وهـذا التعـاون يعكس عـدم فهم سليم من جـانب العرب لطبيعة الاستعمار الأوربي) .

٣ ـ ومن الأساليب الاستعمارية : الضغط على السلطـان لتـأمين امتيـازات لرعايا الـدول الأجنبيـة كي تؤدي دورهـا في الخفـاء في تصعيـد المقـاومـة ضد الخلافة الإسلامية : فقد استجاب السلطـان لمطـالب فرنسـا في منح امتيـازات للمؤسسات الكاثوليكية ، والمدارس الدريفوسيـة الفرنسيـة الخـاصـة ـ نسبـة إلى مؤسسها دريفوس وهو ضابط يهودي طرد من الجيش الفرنسي ـ وقـد سـاهمت

هـذه الامتيـازات على تحقيـق نفـوذ اليهـود الصهـاينـة ، وعلى تجميـع العنـاصر المناهضة للخلافة .

كما طـالب سفراء بريطـانيـا وروسيـا وفرنسـا والنمســا بفصـل لبنـــان عن سوريا ، وإعطاءه الحكم الذاتي عـام ١٨٦٠م ، ووافقهم السلطـان على طلبهم ، كما حصلوا على امتيـازات هـامـة في استقلال البريـد والتجـارة ، وإنشـاء محـاكم خاصة برعاياهم ، وبإنشاء المدارس الخاصة بهم ، مما سهل عليهم الاتصال بكبـار الشخصيات ، والاتفاق معهم على العمل لإسقاط الخلافة الإسلاميـة تحت شعـار القومية العربية ، فاستجاب لهم البستاني واليـازجي وإليـاس حبـالين المـاسوني وسليم عمون الذين نشروا فكرة القومية العربيـة بين طلابهم ، وفي الصحف التي يحررون فيها .

٤ ـ ومن الأساليب الاستعمارية : الاتفاق على توزيع الدول العربيـة التي كانت خاضعة للدولة العثمـانيـة فيما بينهم : ويتمثل ذلـك في الوعود والاتفـاقـات التي أبرمتها مع حلفائها وأصدقائها .

لقد تجنبت انكلترا بادىء الأمر دخول اتفـاقـات لتصفيـة ممتلكات الـدولـة العثمانية خوفاً من سقوط بعض أجزائها بيد حليفتها روسيا ، فقد سبق لهـا أن أقدمت على احتلال مصر عام ١٨٨٢ ، ثم فرضت حمـايتهـا على الكويت لتضمن السيطرة على الخليج العربي ، وعلى منابع البترول فيه ، وما أن حصلت روسيا على حصتهـا من أملاك الـدولـة العثمـانيـة بموجب اتفـاق القسطنطينيـة ٨ ـ ٥ مارس سنـة ١٩١٥ م حتى التقت فرنسـا وانكلترا لاقتسـام بقيـة التركـة ، فكان اتفـاق سـايكس بيكو عـام ١٩١٦ م بمـوجبـه أقروا روسيـا على ضم الـولايـات الأربعة المجاورة لهـا ، ومنحت سوريـا لفرنسـا ، والعراق والخليج وحيفـا وعكا لانكلترا ، ويلاحظ أن هذا الاتفاق لم يتعرض لإنشاء دولة عربية ، والتي سبق لانكلترا أن وعدت الشريف حسين بأن يكون ملكاً عليها ، وبقي هذا الاتفاق

سراً حتى نشرته جريدة البرافدا السوفيتية عام ٢١ فبراير ١٩١٨ م فثارت ثائرة العرب ، واعتبروا ذلك خيانة من حليفتهم بريطانيا ، يقول الأمير علي بن الحسين : لم نكن سوى بداة بسطاء لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا الحياة الدولية ، أو عاملنا الأجانب ، ولقد جاء الإنكليز إلى الحجاز ، ولم نذهب إليهم ، وجاؤوا بورقة بيضاء وفي ذيلها ختم الإمبراطورية ، وقالوا لنا : هذه ورقة رسمية فاكتبوا فيها ما تشاؤون ، ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية ، فصدقناهم ووثقنا بهم ، وقاتلنا في جانبهم ، ولكن مالبثوا أن خانونا وغدروا بنا .

أما الخيانة الثانية فهي **وعد بلفور** وزير خارجية بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عام ١٩١٨ م . وذلك لإرضاء اليهود الذين يسيطرون على الصناعات الحربية في روسيا ، فتضغط بواسطتهم على روسيا البلشفية كي تستمر في وقوفها إلى جانبهم بعد الثورة الشيوعية .

ولقد باركت إيطاليا وأمريكا هذا الوعد وأيدته وشجعت على تنفيذه أما المؤتمر الخياني التآمري الثالث **فهو مؤتمر سان ريمو** عام ١٩٢٠ م وفيه أعطيت انكلترا حق الانتداب على العراق والأردن وفلسطين ؛ وذلك حتى تتمكن من تنفيذ مخططها الاستعماري بتحقيق وعد بلفور وزير خارجيتها . ومنحت فرنسا حق الانتداب على سوريا ولبنان تلك مخططات ومآمرات أصدقاء العرب الحريصين على نشر القومية العربية .

٤ ـ دور السوفيت في بعث القوميات : يقول الأستاذ مدثر عبد الرحيم : الأتراك لم يخطوا خطوتهم الكبرى في قطع الصلة بماضيهم العثماني (الإسلامي) باتخاذ اللاتينية بدلاً من العربية إلا بمتابعة السوفيت ، وبعد أن حضروا عدة اجتماعات في روسيا ، كان آخرها مؤتمر باكو عام ١٩٢٦ م لبحث هذا الموضوع ، وأثره في حكم الدويلات التركمانية داخل الاتحاد السوفيتي ، قرروا

فيه ترك الحروف العربية لأنها على حد تعبيرهم غير علمية . وإن كان الدافع الحقيقي لذلك طبعاً هو أحكام ربط تلك الولايات التركانية بجهاز الدولة السوفيتي ، بعد قطع الصلة بين رعاياهم الأتراك ، وبين تراثهم الإسلامي .

ويؤرخ توفيق برو بداية الحركة القومية في تركيا .

أ ـ بجمعية ترك درنكلي التي تأسست عام ١٩٠٨ م بزعامة يوسف أفجورة ، وهو روسي من نواحي قازان ، درس في روسيا ، وأكمل دراسته في باريس ، جاء بعد انقلاب الدستوريين ، عمل في السياسة ، نادى بتخلي الدولة عن البلاد العربية لتشكيل دولة قوية في الأناضول .

ب ـ ومن دعاة القومية التركية : أحمد أغاييف من أتراك روسيا جاء بعد الدستور ، تخلى عن جنسيته وتجنس بالعثمانية ، بدل اسمه إلى أحمد أغا أوغلي ، درس التاريخ في المدرسة الحربية ، وكان من أكبر مثيري الخلاف بين العرب والترك .

جـ ـ أسس القوميون الروس عام ١٩١١م مجلة المواطن التركي (تورك بودس) .

د ـ قام الخبراء الروس بتأسيس المحفل التركي الذي عكف على اكتشاف كل ما يتعلق بالشعب التركي من تاريخ ولغة وخصائص عرقية وحضارة وأدب وحياة اجتماعية . وعمل على إعادة الطابع اللاتيني لِلّغة التركية في نفس الوقت الذي كانت تقوم به عصابة (دبلكوكس) في القاهرة بتنقية اللغة المصرية العامية من الشوائب التركية والعربية أيضاً . في نفس الوقت الذي كانت فيه إرساليات التبشير تبذل جهدها في اكتشاف خصائص القومية السورية ، والكيان البربري ، وهكذا يرسم الاستعمار مخططه بمهارة فائقة ، ويعطي الأدوار لعملاء ، يجيدون تمثيلها ، ويلدغ المسلمون من جحورهم المرة تلو المرة بسبب ضعف صلتهم بالله تعالى ، لأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

دوافع انتشار القومية في بلاد العروبة والإسلام

ترجع هذه الدوافع إلى ثلاثة أسباب :

أ ـ تأثر بعض العرب والمسلمين الذين يدرسون في أوربا بالفكر القومي العلماني فنشروه في بلادهم ، دون تمحيص ، ودون إقامة أي اعتبار لعقائد وطبيعة المجتمعين .

ب ـ اندفاع الوطنيين العرب من مسلمين ومسيحيين للمناداة بقوميتهم العربية ؛ كرد فعل على حركة التتريك التي نادى بها الاتحاديون من يهود الدونمة ، والذين تسلطوا على الحكم أواخر حكم السلطان عبد الحميد بغية الحفاظ على هويتهم العربية دون التنكر للإسلام الذي هو بنظرهم روح العروبة وتراثها الخالد .

جـ ـ دفع الاستعمار الغربي أعوانه لترويج الفكر القومي لتمزيق الدول والقوميات الخاضعة لدولة الخلافة الإسلامية لاقتسام تركة الرجل المريض ، ونتيجة لهذه الدوافع فقد سرت موضة القوميات في بلادنا ، وتشكلت التنظيمات القومية التالية على أيد غير إسلامية .

١ ـ وفي عام ١٨٤٧ شكل البستاني واليازجي جمعية الآداب والعلوم .

٢ ـ وفي عام ١٨٥٠ ألف اليسوعيون الجمعية الشرقية بزعامة الأب الفرنسي روبر دنير . وأدرك المبشرون خطر ابتعاد المسلمين عن هذه الجمعيات .

٣ ـ فأسسوا الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٥٢ بلغ عدد أعضائها مائة وخمسين عضواً ، اشترك فيها زعماء عرب من مختلف العقائد ، كالأمير الدرزي محمد أرسلان وحسين بيهم ، وأحد أبناء البستاني وغيرهم كثير .

٤ - وفي عـام ١٨٧٥ أسس خمسـة من الشبـان النصـارى جمعيـة بيروت العربية ، وكلهم من خريجي الكلية البروتستانتية السورية .

٥ - وفي عام ١٨٩٥ تشكلت الجمعيـة العربيـة في بـاريس ، ولمـا انتقلت إلى بيروت صار النصارى الغالبية العظمى فيها .

٦ - وفي عام ١٩٠٤ ألف نجيب العـازوري - نصراني سوري - عصبـة الوطن العربي على أساس قوي علماني ، غير أنه حددها في آسيا مستبعـداً عرب المغرب منهـا ، يقول الـدكتـور تـوفيـق برو : إنـه كان داعيـة للـدول الغربيـة إنكلترا وفرنسا ، أصدر جريدة الاستقلال العربي ، تخلى عن منصبه لأسباب غامضـة ، وأقام بالقاهرة .

٧ - وفي عـام ١٩٠٨ أسس عزيـز المصري الجمعيـة القحطـانيـة ، وقـد ضمت ضباط عرب في الجيش العثماني .

٨ - في عـام ١٩١١ أسست المـاسـونبـة العربيـة في بـاريس جمعيـة العربيـة الفتاة ، ثم انتقل مركزها إلى بيروت .

٩ - في عام ١٩١٢ أنشأ حزب اللامركزية في القاهرة ، وهدفه إقامة حكم لا مركزي في الولايات العربية ، ويقول الدكتور محمد أنيس في كتـابـه (الـدولـة العثمانية) : (إن العلاقات السيئة في هذه المرحلة بين الدولة العثمـانيـة وانكلترا جعلت انكلترا ترحب بهذا النشاط الموجه للدولة العثمانية ، شريطة أن لا يمتـد إلى القضية المصرية نفسها (يقصد التحرر من الانتـداب البريطـاني) ويقول : ومن المؤكد أن المعتمد البريطاني كتشنر كان على علاقة طيبة بهذه الجمعية) .

١٠ - وفي عـام ١٩٣٢ أسس أنطون سعـادة الحزب القـومي السـوري الـذي تبنى فكرة فصل الدين عن الدولة ، واعتبـار العرب غير السوريين كغيرهم من الأجانب .

١١ - وفي عام ١٩٤٧ أسس ميشيل عفلق وزكي الأرسوزي حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا .

١٢ - وفي عام ١٩٥٨ تأسست حركة القوميين العرب أثر نكبة فلسطين على يد مجموعة من الشبان العرب من طلاب الجامعة الأمريكية .

مفهوم القومية العربية وتعريفها

مما تقدم يتبين لنا أن القومية نشأت من منبت غير قومي ؛ لذا اختلفت النظرة إليها ، وتعددت التعاريف فيها ، يقول الدكتور البزاز : (إن التعريف الجامع المانع للقومية يكاد يكون مستحيلاً) ، لذا كان لابد من اختيار بعض هذه التعاريف التي تمثل وجهات نظر متعددة .

١ - تعريف الدكتور حسين السيد عباس : القومية نزعة تربط الفرد بقومه بروابط متجانسة ، كالقرابة واللغة والعادات والتقاليد والتاريخ ، وتوحد بينهم أهداف مشتركة كالوحدة والتحرر والحرية ، والعدالة ، أما الروابط عند الدكتور عبد الحميد متولي فهي خمس (اللغة والجنس والدين والعادات والمصالح والذكريات المشتركة) .

٢ - تعريف الدكتور أحمد صدقي الدجاني : الفكر القومي هو الفكر الذي ينطلق من الإيمان بحقيقة الانتماء العربي لأمة عربية واحدة ، وينشغل بدراسة واقع هذه الأمة ، ويبحث من ثم بالتدليل على وجودها كوحدة ، وفي توحيد الوطن العربي ، وفي تحرير الأجزاء المحتلة من هذا الوطن ، وفي التقدم به ، وتحديد مكانه في العالم ، كما يرى أن هذه النزعة موجودة منذ اكتمال الأمة العربية ، وقد تغلفت بغلاف العقيدة ، ويدلل على ذلك بموقف ابن تيمية المعارض من هجوم التتار على دمشق عام ٧٠٢ م .

٣ - يقول إنطون سعادة : القومية يقظة الأمة العربية وتنبهها لوحدة

حياتها وشخصيتها وميزتها ولوحدة مصيرها ، إنها عصبية الأمة . ولقد علق الدكتور البزاز على هذا التعريف بقوله : إن هذا التعريف حسن بجملته لولا أن المؤلف يحاول أن يجعل للسوريين شخصية متميزة عن بقية العرب .

٤ ـ تعريف دار المعارف والعلوم الاجتماعية : القومية تشير إلى الحالة التي ترجع إلى الشخصية القومية أعلى مقاماً في القيم العليا .

٥ ـ تعريف محمد باقر الصدر: إن القومية ليست إلا رابطة تاريخية ولغوية وليست فلسفة ذات مبادىء ، ولا عقيدة ذات أسس ، بل حيادية بطبعها .

٦ ـ تعريف الأستاذين أرنولد ورنينيه في كتابهما هذه هي القومية :

إن الحقيقة الاجتماعية المقصودة عادة بكلمة القومية معقدة مركبة من ناحيتي الشكل والمحتوى ، قابلة للتحول والتغيير ، بتغيير الزمان والمكان ، حتى أننا لا نملك إلى الآن تعريفاً للقومية يخلو من الغموض والاضطراب . مما تقدم يتضح لنا وجهات نظر متباينة في مفهوم القومية .

١ ـ فمن الناس من يرى أن القومية هي العصبية للأمة والعرق ، ويرى فيها تعبيراً عن وحدة الجنس ، ونقاء السلالة والعرق لكل جنس في نظرهم خصائص وميزات جسمية وعقلية ونفسية ، وأن هذه الأجناس تتفاوت في الارتقاء ، وقد ساهم في هذه النظرية هيغل الألماني ، والفلاسفة النازيون ، حيث اعتبروا العرق الآري الأوربي هو أرقى الأجناس ، وأن الأجناس الأخرى وجدت لخدمة أغراض ومصالح الجنس الأوربي سيد الأجناس ، والذي يتميز بالبشرة البيضاء ، والعيون الزرقاء ، والشعر الأشقر . وبلغت هذه النظرية حد الإسفاف في العهد الهتلري النازي .

كما يرى يهود إنهم شعب الله المختار لسيادة العالم ، وما على الأمميين من القوميات الأخرى إلا الخضوع لهذا الشعب المختار .

لقد أثبت العلماء خطأ هذه النظرية ، وعدم صحتها ، ودحضوا زعمهم الخاطىء القائل بأن العرق الأسود هو حلقة متطورة عن النسناس ، كما أثبتوا أنه لم يعد هنالك عرق صاف بعد اختلاط الأجناس بالهجرات والتزاوج وموجات الغزو .

ـ قد يلاحظ البعض تقدم الشعب الألماني وتأخر بعض الأقوام الشرقية والسوداء ، ولكن ذلك لا يعود إلى ميزات الشعب الألماني فحسب ، بل إلى سبق هذا الشعب غيره في مضمار العلم والمعرفة، فلو أتيحت لهذه الشعوب نفس الفرص التي أتيحت للشعب الألماني لوجدنا منهم من العلماء والمفكرين ما وجدناه في الشعب الألماني . فتفاضل الشعوب لا يرجع إلى العرق ، بل يرجع إلى جدهم وتقدمهم في ميادين العلم والحضارة ، كما وأن اعتبار العرق أساساً للتفاضل مبدأ مرفوض إنسانياً لقيامه على العنصرية ، ومرفوض أخلاقياً لقيامه على الأنانية وإثارة العداوة والبغضاء . فيقول الأوربي أنا خير من الأفريقي ، والعربي أنا خير من الفارسي ، والسوري أنا خير من المغربي ، ويقول إبليس لربه حين أمره أن يسجد لآدم : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، فكان ذلك سبباً لطرده من رحمة الله ، لأن مقياس التفاضل عند الله التقوى .

٢ ـ ومنهم من يرى القومية رابطة اللغة:(يقول الحصري : إن اللغة هي روح الأمة وحياتها ، والتاريخ ذاكرة الأمة وشعورها ووحيها ، لقد تأثر ساطع الحصري بالنظرية الألمانية التي نشأت في القرن التاسع عشر ، والتي تقول بأن الأساس في تكوين الأمة هو وحدة اللغة . وعلى هذا يقول الحصري : العربي من تكلم العربية ، وحبذا لو قال : العربي من تكلم العربية ، وشعر بالانتماء للعرب ، ذلك لأن هناك الكثيرين ممن يتكلمون العربية هم أعداء للعرب . وقد يحتج البعض بقول الرسول ﷺ « ألا إن

العربية اللسان » ولكن هذا الحديث موجه إلى الأمة الإسلامية التي توحدت في شعورها عرباً وعجماً ، فلفت عليه الصلاة والسلام نظر العرب إلى أن العربية ليست لهم بأب أو أم يتفاخرون بها ، إنما هي اللسان ، وذلك لكي يقتلع فكرة التمييز العنصري من جذوره .

لاشك بأن اللغة عامل هام ومساعد في تكوين الأمم ، ولكنها ليست عاملاً وحيداً فها هي ذي أمريكا وروسيا تتكلم شعوبها أكثر من لغة ، ولم يؤثر ذلك على وحدتها .

٣ - ويريد البعض أن يجعل من القومية عقيدة جديدة ناسخة للعقائد السابقة الدينية منها والأخلاقية ، فإذا ما حققت القومية أهدافها بالوحدة والتحرر تجمعوا حول عقيدتهم الجديدة الناسخة . وهذا رأي الحقودين على الإسلام .

يقول الدكتور خلوصي في مجلة صباح الخير القاهرية : إيجاد المفهوم الاشتراكي للعروبة يفسح المجال للاشتراكية أن تتضح من كونها عقيدة تؤمّن للشعب العدالة والمساواة . ويقول : ونحن إذ نصر على مفهوم اشتراكي للعروبة فلكي نضمن منذ الآن أنه في حال تحقيق الأهداف القومية لا تصبح القومية بمجرد انتصارها عنصراً عقائدياً دائماً .

لقد بدأ مخططوا السياسة الدولية عملهم بإبعاد العرب عن عقيدتهم خطوة خطوة ، مبتدئين بالقومية العلمانية ، ثم بالاشتراكية ، ثم بالعلمانية ، ثم بالماسونية حتى إذا لم يبق لهم من الإسلام إلا اسمه ، وأصبحوا عملاء مخلصين لأسيادهم في الشرق والغرب ، سخّروهم للقضاء على العروبة والإسلام ، تحت شعارات التقدم والتحرر ، ومحاربة الرجعية والإمبريالية ، لأن أنجع وسيلة للقضاء على الشعوب تسليط أبنائها عليها يعيثون فيها فساداً .

ويقول الدكتور البزاز في كتاب (هذه قوميتنا) : إذا نظرنا إلى أوضاع أمتنا العربية الراهنة وحاولنا أن نستقرىء بعمق طبيعتها المستخلصة من روحها وثقافتها ، وأدركنا طبيعة تاريخها ، جاز لنا القول : إن الاشتراكية هي القومية العربية ذاتها ، منظوراً إليها من وجهة نظر اجتماعية .

لقد غفل الدكتور البزاز عن حقيقتين هامتين : الحقيقة الأولى : أن للعرب المسلمين نظاماً اقتصادياً يحقق العدالة الاجتماعية ، يجمع محاسن الأشتراكية ، ويتجنب مساوئها ، ينسجم مع عقيدتهم وأخلاقهم ، وأنهم لا يرضون عنه بديلاً .

والحقيقة الثانية : أن الاشتراكية التي لصقها بالقومية لا توحد الأمة العربية ، لمخالفتها عقيدة الأمة العربية المسلمة ، ولا يجوز لأحد أن يفرض على الأكثرية الساحقة نظاماً اقتصادياً دخيلاً بدل نظامهم الاقتصادي الأصيل ، سيما وأن هذا النظام أثبت فشله في روسيا نفسها ؛ حيث لم يقبله سوى ١٠ ٪ من السوفيت ، ففرضوه بقوة الحديد والنار ، وقضوا على الكثير من حركات التحرر التي تظهر بين الحين والآخر .

٤ ـ وصنف يريدها وسيلة للتخلص من الدين صراحة بحجة الحفاظ على شعور أبناء الديانات الأخرى . وكأن الحفاظ على شعور الأقليات الدينية لا يكون إلا بالتخلص من الدين الذي يعتبره المسلمون قوام حياتهم . لا أدري ما الحرج في أن يعيش المسلم إلى جانب غير المسلم ، وكلاهما متمسك بدينه ثم ما هو الأفضل لغير المسلم أن يكون جاره متديناً يرعى حق الجوار ، أم أن يكون مسلماً مستهتراً متفلتاً من ضوابط الدين والأخلاق ، ثم ما هو الحرج في أن يحتكم المسلم لتعاليم دينه في الأحوال الشخصية ، ويحتكم غير المسلم إلى تعاليم دينه في أحواله الشخصية ، ثم يحتكم الجميع في أحوالهم المدنية إلى القانون المستمد من التشريع الإسلامي الذي ترغبه الأكثرية الساحقة ، فيكون للمسلمين عقيدة وللعرب تراثاً . أليس في التزام رأي الأكثرية منتهى العدل والديمقراطية . سيما

إذا كان هذا التشريع صالحاً لكل زمان ومكان ، وقد اعترف بفضله وسموه ، خصومه من رجال القانون في العالم . فقد قرر المؤتمرون في مؤتمر القانون المقارن المنعقد في لاهاي عام ١٩٣٧ م بأن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع العام ، وأنها حية صالحة للتطور .

كما قرر مؤتمر المحامين الدولي المنعقد في لاهاي عام ١٩٤٨ م بوجوب تبني الدراسة المقارنة للتشريع الإسلامي ، والتشجيع عليها ، نظراً لما لها من مرونة وشأن هام .

كما تقرر في أسبوع الفقه الإسلامي في شعبة البلدان الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة المنعقد في باريس سنة ١٩٥١ م ، أن مبادىء الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها ، وأن مجموعة الآراء والمذاهب في الفقه الإسلامي ثروة تحمل على الإعجاب به ، وتجعله قادراً على الاستجابة لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها . فالتشريع الإسلامي إذاً ليس بضاعة كاسدة ، إنه أصلح تشريع لسعادة البشرية قاطبة ، بشهادة أصحاب الاختصاص من رجال القانون في العالم . لذا فليس في تطبيقه ما يخيف غير المسلمين ، ويعجبني في هذا المجال قول الشيخ محمد الغزالي : إن الإسلام الذي جعل بيت الزوجية يتسع لدينين - بزواج المسلم من الكتابية - فإنه لن يضيق الأرض أمام اتباع المسيحية واليهودية .

فإلى الذين يحاولون التخلص من دينهم لئلا يوصموا بالتعصب ولئلا يمسوا شعور غير المسلمين أسوق أقوال علماء ومفكرين غير مسلمين .

أ - شهادة الدكتورة سيجفريد هو نكة : في يناير سنة ١٩٤٢ : رفع الكاردينال بيدروا جوانزليس ومندوزا الصليب على الحمراء - القلعة الملكية للأسرة الناصرية - إعلاناً بانتهاء حكم العرب في الأندلس ، وبعد ثماني سنوات تعرض المسلمون للاضطهادات الشنيعة ، فقد حرم عليهم الإسلام وتعاليمه ، كما

حرمت اللغة العربية . فمن نطق بكلمة عربية ، أو بأغنية عربية ، أو بشعر عربي ، أو عزف على آلة موسيقة عربية ، أو استخدم اسماً عربياً ، أو لبس لباساً قومياً أو زار حماما عوقب بأشد العقوبات من سجن وطرد وحرق ، وهو على قيد الحياة .

ب ـ شهادة أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ص ٦٦ يقول : لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في ـ فحل ـ كتب الأهالي المسيحيون إلى العرب المسلمين يقولون : يامعشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم ـ وإن كانوا على ديننا ـ وأنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا) عاملونا بالتعصب ، فلم يبق مسلم واحد في أرض الأندلس وعاملناهم بالإسلام وتسامحه ؛ فبلادنا لازالت تعج بهم ، فهل في الإسلام ما يخيف ؟.

جـ ـ يقول غوستاف لابون : (ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب) ومع ذلك نتهم بالتعصب حين نتمسك بديننا ، لأن ذلك يمس شعور المتعصبين منهم ، لأن شعورهم حي ، أما شعور آولئك الذين يخجلون من الإسلام فقد مات منذ زمن بعيد .

لقد حاولوا أن يجردوا العروبة من روحها التي هي (الإسلام) وذلك كي يتخلى المسلمون بالتالي عن هذه العروبة التي صبغت بالعلمانية ، وتنكرت للإسلام كرد فعل على محاولاتهم تلك ، وبذلك يكونون قد أمعنوا في تجزىء هذه الأمة والإيقاع فيا بينها . لأن القوميات الصغيرة عرضة للذوبان ، ولا بقاء إلا للتجمعات الكبرى ، ألم تلاحظ أن الغرب عاد اليوم إلى تجميع هذه القوميات في تكتلات وأحلاف أوربية كبرى ، كما يفعل الشرق كذلك .

يقول الدكتور جورج حنا في كتابه معنى القومية : إن العروبة ليست الإسلام وإن الاسلام ليس العروبة .

ويردد جنتر في كتابه (داخل أفريقيا) ما سمعه من موظف فرنسي : إن الحل الوحيد لمراكش أن تحول إلى دولة علمانية ، مثلما حول كمال أتاتورك تركيا إلى دولة علمانية .

والحق أن كل من ينادي بالقومية العلمانية الجاهلية إنما هو أحد اثنين : إما أن يكون متأثراً بالفكر الغربي ينقله كالببغاء دون تمحيص ، وإما أن يكون عميلاً للغرب ، حاقداً على الإسلام ، وهؤلاء ليسوا جديرين بأن يحسب لشعورهم أو لآرائهم أدنى حساب .



القومية العربية والإسلام

يقول الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري في كتابه(في رحاب القرآن) : - إن القوميـة واقع تـاريخي ، ووجود جغرافي ، وحقيقـة إنسـانيـة . فـالعـالم معمور بـأقوام هنـا ، وأقوام هنـاك ، فهو مكون من شعـوب وقبـائـل . وبلغـة العصر يكون من قوميات متعددة متميزة . وقـد أراد الله لهـذه القوميـات أن تتعـارف بالمعنى الواسع للتعارف ، الذي يقتضي حسن الصلة ، وتبادل المنـافع ، وإعمـار الكون ، وتحري المصلحة العامة وفق ما يرضى الله تعـالى : يقول جل شـأنـه : ﴿ **يأيها النـاس إنا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلنـاكم شعوباً وقبـائل لتعـارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ (الحجرات ١٣) أما الدين فهو عقيدة وهداية ، ورسالة تعـالج شؤون الحيـاة ، وترسم للنـاس سبيل الرشـاد ، فهـو يستـوعب كل القـوميـات ويحتـويهـا ، ويحدد الصلـة فيما بينهـا ، ويرسم خطوطها وفق ما أراد ، فهي باصطلاح العصر (قومية غير عنصريـة) لأن كل الأقوام نـاس ، والنـاس من ذكر وأنثى ، وكلهم يرحبـون بنسبهم لآدم وآدم من تراب (وليست انعـزاليـة) لأنهـا وجـدت للتعـارف ﴿ **لتعـارفـوا** ﴾ (وليست متعصبـة أو أنـانيـة) لأن ﴿ **أكرمكم عنـد الله أتقـاكم** ﴾ وإذ ذاك تتنـافس القوميات لتحقيق إنسانية أكمل ، وحياة أهنأ لا جرياً لكسب مناطق النفوذ ، أوسعياً لاستعبـاد قوم لقوم لتجر قوميـة مـا ذيول الهـوان والحرمـان ، وترفـل قومية أخرى بحلل الترف والسرف والأشر والبطر - ذلك لأن الإنسـان في نظر رسول الله ﷺ إنمـا هو « أخو الإنسـان أحب أم كره » وهو بمفهوم القـوميـات المجردة عن الدين ذئب على أخيـه الإنسـان ، كما يقول مفكروا الغرب ، أمثـال هوبز وغيره ، حيث قال : الإنسان ذئب الإنسان .

لقد اختار الله تعالى العرب حملة رسالة الإسلام ، كما اختـار لغتهم العربيـة

لتكون لغة القرآن الكريم ، مما رفع شأن العرب ، وخلد ذكرهم : قال تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾ (الشعراء : ١٩٣) وسارع المسلمون غير العرب لتعلم العربية ؛ حبّاً للإسلام ؛ ورغبة في فهم أحكامه وتعاليمه ، فقرؤا بها القرآن ، وأدوابها الصلاة ، فحلت العربية محل الفارسية في العراق ، ومحل الرومية في بلاد الشام ، ومحل القبطية في مصر ، ومحل البربرية في المغرب ، وظهر منهم علماء أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم القيمة ، كل ذلك كان عن طيب نفس ؛ تقرباً إلى الله ، وحباً بالإسلام الذي سوى بينهم وبين العرب الذين نزل القرآن بلغتهم . وجعل التقوى مقياساً للتفاضل بين الناس ﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ (الحجرات : ١٣) .

وفي حديث ابن عساكر بسنده عن مالك قال رسول الله ﷺ : « ياأيها الناس إن الرب واحد والأب واحد وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي » . وها هو رسول الله ﷺ يقول « سلمان منا أهل البيت » ولما سمع خلافاً وقع بين عشيرتين ـ وحد بينهما الإسلام ـ نتيجة إثارة النعرات القبلية ، سارع إليها وهو يقول : « دعوها فإنها منتنة » نعم إنها منتنة لأنها تفرق ولا توحد ، تتكبر ولا تتواضع ، توهن ولا تقوي .

وخشية أن يتأثر المسلمون من غير العرب بالدعوة القومية العلمانية ، فتنقطع صلتهم بلغة القرآن وبالعرب حملة رسالة الإسلام ، ربط هؤلاء الأقوام برباط المحبة مع العرب والعربية ، لئلا يؤدي كرههم للعرب المتعالين عليهم في يوم من الأيام إلى ابتعادهم عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ لسلمان الفارسي : « ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك . قلت يارسول الله كيف أبغضك وبك

هدانا الله ، قال : تبغض العرب فتبغضني » رواه الترمذي والطيالسي .

وفي هذا المجال يقسّم المرحوم البنا القومية إلى عدة مفاهيم منها :

١ ـ **قومية المجد** : إذا كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن ينهج الأخلاف منهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ، ومدارك النبوغ والهمة ، وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة . وإن عظمة الأب مما يعتز به الابن ، ويجد لها الحماس والأريحية ، بدافع الصلة والوراثة ، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به ، وهل عدتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلا أن تحدوهم بأمجاد الماضين ؟ ولعل الإشارة إلى هذا في قول الرسول ﷺ« الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذ فقهوا » فها أنت ذا ترى أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل .

٢ ـ **قومية الأمة** : وإذا قصد بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره ، وأحقهم بإحسانه وجهاده ، فهو حق كذلك ، ومن ذا الذي لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم .

لعمري أرهط المرء خير بقية   عليه وإن غالوا به كل مركب.

٣ ـ **وإذا قصد بالقومية** : أننا جميعاً مبتلون ومطالبون بالعمل والجهاد ، وعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى نلتقي إن شاء الله في ساحة النصر ، فنعم التقسيم هذا ، ومن لنا بمن يحدوا الأمم الشرقية كتائب كل في ميدانها حتى نلتقي جميعاً في بحبوحة الحرية والخلاص . كل هذا جميل لا يأباه الإسلام وهو مقياسنا ، بل ينفتح صدرنا له وتحض عليه .

٤ ـ **قومية الجاهلية** : أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست ، وإقامة ذكريات بائدة خلت ، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه ، وإحياء

ما اندرس من عادات جاهلية ، فذلك معنى وخيم العاقبة سيء المغبة .

٥ ـ قومية العدوان : وأما أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى فذلك معناه أن يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الأوهام ، لا حقيقة له ولا خير فيه .

والإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها ، ولا يقولون : فرعونية وعربية ، وفينيقية وسورية ، ولا شيئاً من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس . ولكنهم يؤمنون بما قاله رسول الله ﷺ الإنسان الكامل بل أكمل معلم علم الإنسان الخير : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ما أروع هذا وأجمله وأعدله ، الناس لآدم فهم في ذلك أكفاء ، والناس يتفاضلون بالأعمال ، فواجبهم التنافس في الخير .

خواص العروبة : ولسنا مع هذا ننكر خواص الأمم ومميزاتها الخلقية ، فنحن نعلم أن لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق ، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل .

ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى والأوفر ، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان والتعالي على غيرها وفي رسالة المؤتمر الخامس يقول : ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام ، وإقامة دولته ، وإعزاز سلطانه ، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية ، وتأييدها ومناصرتها ، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية .

والوحدة العربية ما هي إلا خطوة في طريق الوحدة الإسلامية . إن واقع التجزئة الذي نكب به العالم العربي اليوم جعل الوحدة العربية بعيدة المنال ،

وجعل الوحدة الإسلامية أكثر بعداً ، لذا قد يكون من الحكمة أن تتوحد الدول المتقاربة لمرحلة أولى : كتوحيد مصر والسودان مثلاً ، وتوحيد دول المغرب العربي والخليج العربي وهكذا ، ثم تتوحد في المرحلة الثانية الاتحادات المتقاربة في كل قارة ، ثم تكون الوحدة العربية الشاملة إن شاء الله تعالى . ثم تبدأ مرحلة التقارب الإسلامي ؛ وذلك بإقامة معاهدات ثقافية وتجارية وصناعية ، تنتهي باتفاق سياسي ، يضم رؤساء الدول الإسلامية ، يلتزم استراتيجية واحدة ترعى مصالح العرب والمسلمين ، فتكون كتلة ثالثة تضم مئتي مليون مسلم ، كتلة لا شرقية ولا غربية ، تدفع الاعتداء ، وتحمي الضعفاء ، وترفع راية السلم والحق والمحبة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .



العلمانية وفصل الدين عن الدولة

١ ـ **العلمانية :** هي ترجمة لكلمة سيكبلاريزم SECULARISM وهي تسمية توهم بأن لها صلة بالعلم ، مع أن المقصود بها إقامة الحياة بعيداً عن الدين وبعبارة أخرى : الفصل الكامل بين الدين والحياة ، أو بين الدين والدولة .

وتعرفها دائرة المعارف البريطانية : بأنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة ، إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها . فالأولى إذاً أن نسميها اللادينية ، أو فصل الدين عن الدولة ، ويدعي بعض العلمانيين أن العلمانية لا تعادي الدين إنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ولكنها تترك للناس حرية التدين الشخصي الفردي الاعتقادي يعني : التعبدي على أن يظل هذا مزاجاً شخصياً ، لا دخل له بأمور الحياة . ترى هل هناك عداء وجفاء أكثر من تجميد الدين ، وإقصائه عن حياة الناس ، مع أنه أنزل ليحقق العدل والمساواة والحرية والسعادة بين بني الإنسان .

لم يكن للدين الحقيقي وجود في أوربا ، سواء في صورة عقيدية صحيحة ، أو شريعة حاكمة ، ومع ذلك كان هنالك نفوذ ضخم جداً بممارسة رجال الدين له في مجالات الحياة كافة ، وايهام الشعوب بأنه دين .

فلقد كان الدين النصراني أدياناً ، والأنجيل أناجيل كثيرة ، والإله الواحد آلهه متعددة أب وابن وروح قدس ، والمسيح العبد رباً ، والكهان أرباباً من دون الله ؛ يشرعون فيظلمون ، وللعلم المتحرر يحاربون ، وللحكام والإقطاع ينحازون ، وبعد كل ذلك يدَّعون أنهم منصفون ، وباسم الإله والدين العادل يحكمون ، ولم يبق من الدين إلا أخلاقيات نظرية ، وإيمان بالله وقدرته ، يلجأ إليه الضعفاء والمظلمون ، وحتى الإله نفسه لم ينج من تعدياتهم

وتطـاولهم على صلاحيـاتـه ، فبـاعـوا مسـاحـات من الجنـة ، ومنحـو مشتريهـا صكـوك الغفران ، حتى كره النـاس الـدين ورجـال الـدين ، وتنـادوا للتمرد عليه ، فرفعوا شعار العلمانية وفصل الدين عن الدولة كمطلب جماهيري .

٢ ـ فصل الدين عن الدولة

فكرة مستـوردة ، انتشرت في بـدء عصر النهضـة في أوربـا . نـادى بهـا المصلحـون الأوربيـون ؛ ليتحرروا من تسلـط رجـال الكنيسـة الـذين جمعـوا السلطة الـدينيـة والمـدنيـة في أيـديهم ، فحكموا الشعوب النصرانيـة بـاسم الله ، وتسلطوا على عبـاد الله ، ووقفوا حجر عثرة في طريق انتشـار العلم والتطور ، والتحرروالمساواة ، فتأثر بهذه الدعوة المشبوهة الطلاب المسلمون الذين يدرسون في أوربا ، وفي المدارس التبشرية ، وجلهم من أبنـاء الأسر الحـاكمـة شغلوا بعـد انتهاء دراستهم مراكز قيادية في بلادهم ، فسـاهموا في ترويج الفكرة هـذه حتى أصبحت عنـوان التطـور والتحرر عنـد معظم الأحـزاب القـوميـة . في وقت تخلفت فيـه الحركـة العلميـة ، كما تخلفت فيـه أسـاليب الـدعـوة إلى الإسـلام ، وعجزت عن مجاراة العصر ومعالجة مشاكله . ومـا هي إلا سنوات عجـاف حتى قيض الله لهـذا الإسـلام من يجـدد أمر الـدعـوة إليـه ، ومن يتصـدى لمجـابهـة خصومه ، ويرد على الشبهات المثارة حولـه . فبـدد نور العلم غيـاهب الجهل ، وأسفر أصحاب هذه المبادىء المستوردة عن عدائهم للإسلام وتنكرهم لتعـاليمـه . وتهافتت أفكارهم أمـام موضوعيـة الإسلام ، وثبوت صلاحـه لكل زمـان ومكان وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فـإذا هو زاهق** ﴾ .

وفصل الـدين عن الـدولـة هو إحـدى المؤآمرات التي وجهت للقضـاء على الإسلام وإقصـائـه عن الحيـاة ، ليحل مكانـه حكم الأهواء ، فيشقى الضعفـاء ، ويسعد المتسلطون .

٣ ـ فصل الدين عن الدّولة في اليهودية

إن أول من نادى بفصل الدين عن الدولة بعض الفرق اليهودية القديمة مثل الصدوقيين ، الذين عرف عنهم الشك في حقائق الدين ، والمناداة بالتحرر من قيوده التعبدية والأخلاقية ، فهم أقرب ما يكون إلى الحزب السياسي منهم إلى الطائفة الدينية ، وكلهم من المثقفين ، وأبناء الطبقة الأروستقراطية .

ولم يرد ذكر في التاريخ لطائفة يهودية إلا وأنكرت شيئاً من تعاليم اليهودية ، فالفريسيون الذين فسروا النصوص المقدسة تفسيراً صهيونياً يدعو إلى اعتزال الأجانب ، واحتقار الأمم والأديان الأخرى ، وكذا الأسينين أتباع النبي عاموس حرموا الملكية الفردية ، واستخدام الذهب والفضة ، والأضاحي والقرابين والاشتغال بالتجارة . أما السامريون ـ وهم قبائل آشورية ـ فقد أنكروا البعث واليوم الآخر .

٤ ـ دور اليهود في نشر فكرة فصل الدين عن الدولة في أوربا

ما أن انتشرت النصرانية في أوربا بشكل واسع ، وتحققت السلطة الزمنية للكنيسة ورجال الدين ، حتى قام اليهود بدور فعال في فصل الدين عن الدولة ؛ بغية إضعاف أثر المسيحية على أولادهم الذين هم أقلية في المدارس النصرانية ، في أوربا عامة ، وفي أمريكا خاصة ، ظهر ذلك على لسان حكمائهم ومفكريهم . يقول موسى مندلسن المفكر اليهودي الأول : (بضرورة الاتجاه إلى القومية دون النظر إلى أمر الدين ، وإن على المواطن الأوربي أن يصرف النظر عن الدين) هذا هو منطلق يهود لتدمير قيود الكنيسة في أوربا ، وإقامة قوميات متصارعة تحل محل الوحدة الدينية فينفذون إلى هذه القوميات ويسيطرون عليها ، ويسخرونها لصالح يهود ، حتى إذا تمكنوا من إقامة دولة

يهودية لهم ، أقاموها على أساس الدين والدين وحده . جاء في البروتوكول الرابع عشر (عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا) .

تلك هي أصول اللعبة ، يطالبون غيرهم بالتحرر من الدين ، وبالمناداة بالقومية ، في الوقت الذي يستمسكون هم في جزئيات الدين ، ويقيمون دولتهم على أساسه . حينما توفي تشرشل رئيس وزراء بريطانيا شيع جثمانه بالسيارات ؛ نظراً لبعد المقبرة ، أما وفد دولة إسرائيل ، الدولة العصرية والمتحضرة فقد شيعوه سيراً على الأقدام ، فساروا عدة كيلو مترات ؛ انسجاماً مع تعاليم اليهودية ، ويتضح دور اليهود في مؤامراتهم على الأديان من تصريح الماسونيين عملاء الصهيونية في جريدة اكاسيا عام ١٩٠٣ صفحة ٨٦٠ جاء فيه : إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة . كما نصت مضابط المؤتمر الماسوني العالمي سنة ١٩٠٠ ص ١٠٢ على ما يلي : إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية هي أبادتهم من الوجود .

٥ ـ فصل الدين عن الدولة في النصرانية

منذ أن ظهرت النصرانية لاقى المؤمنون بها عنتاً شديداً ، فهم ملتزمون بواجباتهم المدنية تجاه الإمبراطورية الرومانية الوثنية كسلطة ، وبواجباتهم الدينية نحو الكنيسة ، كممثل للدين الجديد . ولقد مر هذا الصراع بين السلطتين في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : مرحلة المسالمة : كانت الغلبة فيها للسلطة الزمنية نظراً لقلة المؤمنين بالنصرانية ، مما اضطرهم لمداراة الحكام ، ومسايرتهم ، فقد كتب بولس إلى تلميذه تيطس قائلاً : (ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعون) .

المرحلة الثانية : وفيها انتشرت النصرانية بشكل واسع حتى دانت لها معظم أوربا ، وفيها تقرر النظام البابوي الذي اعتمد على نظرية السيفين ومؤداها : أن الله خلق لحكم العالم سيفين إحداهما روحي سلمه للبابا ، والثاني زمني سلمه للإمبراطور عن طريق البابا ، وللبابا الحق في أن يسلبه من الإمبراطور متى شاء ، وذلك بحرمانه من الصفة الدينية ، وقد استعملت هذه العقوبة ضد الملك هنري الرابع ، وفريدريك الأول ، بدأ هذا الطور منذ أن أعلن الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٤ م حماية المسيحية ، فمنع اضطهاد رجالها ، وأعفىٰ أملاك الكنيسة من الضرائب . ثم أعلن مجلس الشيوخ في روما عام ٣٩٣ م أن روما في حماية المسيح ، ومنح رجال الكنيسة امتيازات خاصة كإعفائهم من الضرائب ، وحق إقامة محاكم خاصة لهم في الكنائس ، وبذلك قوى نفوذ الكنيسة في كافة المجالات .

أ ـ **ففي المجال السياسي** : أعلن البابا غريغورس السابع (١٠٧٣ ـ ١٠٨٥) : أن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله ، تستمد نفوذها من الله مباشرة . كما أعلن البابا أنست الثالث (١١٩٨ ـ ١٢١٦) : أن الخادم الذي أقامه الله على شعبه إنما هو نائب المسيح ، وخليفة بطرس ، فهو قائم بين الله وبين عباده ، فهو دون الرب وفوق البشر وهو يحكم الجميع ولا أحد يحكمه . بهذه السيادة أباح رجال الكنيسة لأنفسهم التدخل في تعيين الأباطرة وعزلهم ، وضم بلاد إلى أخرى . وقد غضب البابا أنسنت على ملك إنكلترا فأعلن حرباً صليبية عليه ، وحرض ملك فرنسا فيليب أغسطس على مهاجمته ، وضم إنكلترا إليه ، مما اضطر ملكها لطلب الغفران وأقسام يمين الولاء للبابا .

ب ـ **وفي المجال الفكري** : ضاقت الكنيسة بمخالفيها ، فأعلنت حرباً صليبية على المسلمين دامت مئتي عام ، أهلكت الحرث والنسل . كما أعلنت حرباً على المسيحيين الهراطقة ، الذين ارتابوا في صحة مبادىء روما ، وفي صحة تفسير

الإنجيـل ، كالألبين الـذين قضت الكنيسـة على مـدنهم الـزاهرة . كما قـامت الكنيسة بحرب مدمرة على أتبـاع والـدو في فرنسـا ، استبـاحت فيهـا الأموال والحرمات . كما أعلنت حربـاً ضد لوثر ، وتمت مـذبحـة بـارتلمي بتحريضهـا ، ذبح فيها مائة ألف برونستانتي في ليلة واحدة .

وأنشـأت محـاكم التفتيش للتحقيق في عقـائـد مسلمين أجبروا على التنصر ، وفي عقائد يهود وبرونستانت وأرثـذوكس ، فـأصبح لهـا تـاريخ حـافل بـالقوة والغلظة والوحشية .

كما طاردت رجال الفكر من العلماء ، فـأحرقت الكثيرين منهم وهم أحيـاء مثـل جـون هس ، وجيرم البراجي ، وجـان دارك وبرونـوا وفـانيني ، وقـد قدرت ضحايا محاكم التفتيش بما لا يقل عن تسع ملايين من بني الإنسان .

كما أحرقت كتب ومـؤلفـات الكثيرين من العلمـاء ، وعـدت القـول فيهـا كـدوران الأرض حـول الشمس وغير ذلـك من النظريـات العلميـة هرطقـة وخروجاً من الدين .

المرحلـة الثـالثـة : مرحلـة الانكمـاش : وفيهـا انفجر البركان فوق من كانوا على فوهته من رجال الدين المسيحي . واستغلت السلطة الزمنية فسـاد رجـال الكنيسة واستيـاء غـالبيـة المسيحيين ، فراحت تتصرف لوحـدهـا ، غير عـابئـة بسلطة الكنيسة وكسب رضائها ، فقوت سلطتها ، وسلم رجال الـدين بهزيمتهم فقالوا : دع ما ليقصر لقيصر وما لله لله .

كما تحررت المجالس الشعبية من سلطـة الكنيسـة ، فقرر البرلمـان الإنكليزي عام ١٣٠١ م أن ليس للبابا حق التدخل في الشؤون الداخليـة ، كما قرر مجلس طبقـات الأمـة الفرنسي عـام ١٣٠٢ مثـل ذلـك ، ثم تحركت أقـلام الكتـاب والمصلحين يدعون إلى التحرر من سلطة الكنيسة وكانت قمة ذلـك التحرر يوم

نجحت الثورة الفرنسية فأعادت رجال الدين إلى كنائسهم ، وأعلنت فصل الدين عن الدولة . كما انتهت سلطة البابا في إيطاليا ، وانحصرت في الفاتيكان ؛ بسبب ما لاقى منها الشعب الأوربي من ظلم وتعسف ، ومما ساهم في ذلك ظهور البورجوازيين (صغار التجار) الذين أثروا بسرعة كبيرة ، فدفعهم تعاملهم بالربا والمضاربة والاحتكار والقمار إلى محاربة الدين الذي يحد من جشعهم بتحريم أساليبهم الاستغلالية ، فساندوا فكرة فصل الدين عن الدولة .

ومما زاد الطين بلة ظهور بعض الكتب المقدسة التي حوت نصوصاً متضاربة ، وقصصاً خيالية ، وانحرافات شاذة نسبت إلى الأنبياء المعصومين عن الكبائر ، كاتهامهم بارتكاب الفاحشة مع بناتهم ، وغيرها ، مما ساهم في تعقد الكثيرين من المتنورين من هذا الدين ، مما يدل دلالة واضحة على أن يدا آثمة ماكرة امتدت لتحريف الكتاب المقدس ، فأضعفت ثقة أنصاره به ، ودفعتهم للتحرر منه . هذا بالإضافة إلى أن تعاليم المسيحية عجزت عن تلبية مطالب الحياة .

ونظراً لولع الشعوب الضعيفة بتقليد الشعوب القوية (حسب نظرية ابن خلدون) فقد انتقلت فكرة فصل الدين عن الدولة ، إلى ربوع البلدان المتخلفة ، فانتشرت الأحزاب القومية ، والعلمانية التي تنادي بفصل الدين عن الدولة وتروج لها دون النظر إلى مبررات انتشارها في أوربا ، ودون النظر إلى انسجامها مع عقائدهم أو مخالفتها لها ، وساهمت جهات أجنبية في ترويج هذه الفكرة ؛ ليتمكنوا بواسطتها من إقصاء الإسلام عن حياة المسلمين .

٦ - الإسلام وفصل الدين عن الدولة

لابد قبل الخوض في هـذا البحث من أن نرجع إلى الأسبـاب التي أدت إلى فصل الدين عن الدولة في الغرب ، ومناقشتها مع تعـاليم الإسلام ، وواقع الحكم الإسلامي ؛ لنرى بوضوح أن المبررات التي أدت إلى فصل الدين عن الدولـة في أوربا هي مبررات ومرغبات لتمسك الدولة بـالـدين في عـالمنـا الإسلامي ، كي تستفيد من سلطانه على نفوس المؤمنين به ، فتستقيم بـه تصرفـاتهم ، وتسمو بـه أخلاقهم ، وينعم المواطنوا بعـدالـة أحكامـه ، وتغمر السعـادة نفوس الخـاضعين لنفوذه . ولكم أهم مبررات فصل الدين عن الدولـة في أوربـا ، ومنـاقشتهـا على ضوء الإسلام :

أ - محاربة رجال الكنيسـة للعلم والعلمـاء ، وإيقـاع الأذى بهم ؛ مما جعل الدين المسيحي مقترناً مع الجهل والرجعية ، وهذا ما أنكرته العقول المتفتحـة ، خلافـاً لمـا كان في عصر صـدر الإسلام ؛ من تشجيـع للعلمـاء ، وإكرام الخلفـاء لهم ، وإقـامـة حلقـات العلم والمنـاظرات بين العلمـاء في قصـورهم وبحضرتهم ، استجـابـة لـدعوة الإسلام للتعلم قـال تعـالى : ﴿**يرفـع الله الـذين آمنـوا منكم والـذين أوتوا العلم درجـات**﴾ وقولـه ﴿ **إنمـا يخشى اللهَ من عبـاده العلمـاء** ﴾ (وقـولـــه ﴿ **هـل يستـوي الـــذين يعلمـون والـــذين لا يعلمـون** ﴾ (ســورة الـزمر : ٩) ولقــولــه ﷺ « طلب العلم فريضـــة على كل مسلم » وقوله « اطلب العلم من المهد إلى اللحد » .

ب - حصر الدين بيد رجال الكنيسة ، يمنحونـه لمن يشـاءون ، وينزعونـه عمن يشاءون يمنحون صكوك الغفران ومساحات من الجنة لقاء مبلغ من المـال كبير ، كل ذلك عكس آثار الفسـاد المستشري بين رجـال الـدين المسيحي على الدين نفسه ، فابتعـدوا عنـه ، وعزلوه عن حيـاتهم ، فلم يبق منـه إلا طقوسـاً

تؤدى على ألحان الموسيقى العذبة .

ولكن الإسلام لم يحصر الدين بيد فئة معينة تتاجر به ، وتثرى على حسابه ، بل حرر الدين من أي واسطة ، وجعل الصلة بين الإنسان وخالقه صلة مباشرة ، تزداد متانة كلما ازداد العبد تقربا من الله بالعبادة والطاعة . لذا فلا يوجد في الإسلام رجال دين ، بل علماء ومتفقهون ، تقتصر مهمتهم على شرح تعاليم الإسلام للجاهلين به وبأحكامه ، وما عرف التاريخ عن هؤلاء العلماء إلا نصح الحاكم ، ومساندة المظلوم ونشر العلم ، وتهذيب النفوس .

جـ - كثرة الأناجيل وتناقضها وحشوها بالخرافات والاتهامات لأشرف الناس وللأنبياء مما جعل العقول المتفتحة تبتعد عن هذا الدين ، بينما اقتضت حكمة الله تعالى أن يحفظ هذا الدين بحفظ القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وأن يلهم سيدنا عثمان رضي الله عنه أن ينسخه ويوزعه على الأمصار ، بحيث لاتختلف نسخة عن أختها في حرف واحد . هذا الجمع حفظ القرآن من الدس والتشويه ، والتحريف والتناقض ﴿ **آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير** ﴾ (هود : ١)﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ (سورة النساء : ٨٢) وهذا ما شهد به المنصفون من غير المسلمين ، حين أقدموا على دراسة هذا الدين وكتابه القويم .

د - خلو الأناجيل من تشريع كامل متطور يعالج كافة شؤون الحياة ؛ مما دفع أصحابه لالتماس هذه التشريعات في الأنظمة الوضعية السائدة ، فضعف سلطانه في التحكم في علاقاتهم ومعاملاتهم المعيشية ، واقتصر على أثره الروحي الذي كثيراً ما يضعف أمام مشاغل الحياة ومغرياتها ، لأن الذي قدمته الكنيسة لا يقيم وزناً للحياة الدنيا ، بل يدعو إلى إهمالها في سبيل الخلاص الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالاستعلاء على مطالب الجسد . أما الإسلام

فيتضمن تشريعا متطوراً سبق عصره وأسعد معتنقيه بعدالته وشموله وواقعيته ؛ باهتمامه بالروح والجسد على السواء ، وبصلاحه لكل زمان ومكان ، وهذا ما شهد به كبار رجال القانون والقضاء في العالم ، حين اجتمعوا في مؤتمر لاهاي ، وأقروا أفضليته على سائر التشريعات العالمية السائدة .

وهناك حقيقة هامة هي أن الإسلام وجد ليحكم لا ليرتل على المقابر ، وأنه لا خيار للمسلمين في عدم الاحتكام إليه ، لأن التشريع ركن من الدين ، بل هو الدين نفسه ، فمن رغب عن هذا التشريع فقد خرج من الإسلام ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم يقول تعالى : ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ فالارتباط بين الدين والتشريع ارتباط وثيق لا يمكن الفصل بينهما ، فها هو خليفة رسول الله ﷺ يستبيح دم من يفرق بين الصلاة والزكاة ، فيحارب المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة ، ولم يشفع لهم إقامتهم للصلاة ، ولاشهادتهم أن لا إله إلا الله ، لأن الإسلام كل لا يتجزأ ، فمن هدم جزءاً منه فكأنما هدم الإسلام كله ، لذا قال رضي الله عنه : والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لحاربتهم عليه .

بعد هذا البيان لا أجد منصفاً ينادي بفصل الدين عن الدولة في الإسلام ، لأن في فصل الدين عن الدولة ـ عند المسلمين ـ تعطيلا لأحكام الدين . وأن كل من ينادي بفصل الدين عن الدولة إما أنه يقلد الغرب ، وأعداء الإسلام ، كالببغاء دون أن يفهم نتيجة هذا الفصل ، أو أنه مأجور لحرب الإسلام والكيد للمسلمين ؛ لترويجه أفكاراً خطيرة تهدف إلى إقامة حواجز بين الإسلام وأهله .

٧ ـ كل دين منهج حياة وكل منهج حياة دين

لابد لكل نظام اجتماعي من أن يهدف إلى تحقيق غاية الوجود الإنساني ، وإلى بيان الوسائل التي تساعده على تحقيق غاية وجوده ، كما يهدف إلى تحديد الارتباطات التي تقوم بينه وبين هذا الوجود .

فالنظام الاجتماعي إذن ينبثق عن تصور اعتقادي ينسجم مع التفسير الذي يقدمه ذلك التصور للوجود وللإنسان في هذا الوجود ، ولغاية ذلك الوجود الإنساني ، لذا فكل دين هو منهج حياة ؛ لأنه يقوم على تصور اعتقادي ، ينبثق عن نظام اجتماعي ، ينسجم مع تعاليم ذلك الدين ، والعكس صحيح ؛ فكل منهج حياة هو دين ، لأن الدين هو الخضوع والانقياد لنظام وتعاليم الله تعالى .

فإذا كان المنهج الذي يصرف حياة الجماعة هو من صنع الله فإن هذه الجماعة هي في دين الله .

وإذا كان المنهج الذي يصرف حياة الجماعة هو من صنع الملك فإن هذه الجماعة هي في دين الملك .

وإذا كان المنهج الذي يصرف حياة الجماعة هو من صنع الشعب فإن هذه الجماعة هي في دين الشعب .

وإذا كان المنهج الذي يصرف حياة الجماعة هو من صنع الشيوعية فإن هذه الجماعة هي في دين الشيوعية .

وليس الدين الإلهي مجرد عقيدة وجدانية منعزلة عن واقع الحياة البشرية ، ولا شعائر تعبدية فحسب ، ولا مجرد أحوال شخصية تحكمها شريعة إلهية ، بينما تحكم سائر نواحي حياتها شريعة مستمدة من مصدر آخر .

يقول الشهيد سيد قطب : إن من المضحك حقاً أن يقوم تصور مفتعل يعطي الله تعالى حق التشريع في جانب من جوانب الحياة ، ويعطي غيره حق التشريع في بقية جوانب الحياة ، وبذلك يصطدم تشريع الله مع تشريع غير الله ، فينعكس ذلك على الإنسان ؛ فيصاب بانفصام في الشخصية ، وبالحيرة والقلق ، ولا تفيده كل ما تقدمه له المدنية الحديثة من رفاه ؛ لأنها إن أسعدت جسمه فلن تسعد روحه . ذلك لأن السعادة الحقيقية هي سعادة النفس ، والشخصية الإنسانية إنما هي وحدة متكاملة في طبيعتها وكيانها ، وهي لا تستقيم وتنسجم إلا حين يحكمها منهج واحد ، منبثق في أصله من تصور واحد .

فالأديان كلها إذاً : جاءت لتكون منهج عقيدة وتشريع يحتكم إليها المؤمنون بها قال تعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** ﴾ (البقرة ٢١٣) .

فها هو ذا سيدنا شعيب يطالب قومه بالتزام شرع الله في معاملاتهم فيقول : ﴿ **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين * وزنوا بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ (الشعراء : ١٨١ ـ ١٨٣) .

وكذا وقف سيدنا موسى يعلن حكم التوراة ويلزم أتباعه بالاحتكام إليه فيقول : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفِظُوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ المائدة ٤٤ .

ثم جاء سيدنا عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل مصدقاً لشريعة التوراة

وهي : ـ العهد القديم ـ وداعياً أتباعه إلى اتباع شرع الله قال تعالى : ﴿ **وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه وهدى وموعظة للمتقين * وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (المائدة ٤٦ ـ ٤٧) .

ثم أرسل الله تعالى سيدنا محمد بن عبد الله برسالة الإسلام الخاتمة المتكاملة ، فهي بمثابة النسخة الأخيرة المزيدة والمنقحة من الكتب السماوية التي أمرنا بالاحتكام إليها قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بماأنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلمأنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ المائدة ٤٨ ـ ٥٠ .

مما تقدم يتبين أن الله تعالى أرسل الرسل جميعاً يدعون إلى منهج الله دون سواه ، وإن اختلفوا في بعض تفصيلات الشريعة فهم متفقون في أصل التصور ، وفي الغاية الأساسية الكبرى وهي : إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده دون سواه ، وعلى إبطال الألوهيات والربوبيات الزائفة . كما أعلن مقام دين الإسلام ، وجعل له الهيمنة على سائر الديانات باعتباره الدين الأكمل والأنسب لكل العصور المتطورة ، والأجناس البشرية المختلفة وصدق الله إذ يقول : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ (المائدة : ٣) .

كما أعلن المفاصلة بين أتباع هذا الدين وبين سائر الجاهليين فقال تعالى : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ (الشورى ١٠) ولكن أعداء الله من أصحاب الأهواء يسعون بكل ما يستطيعون وعلى مر العصور إلى إبعاد منهج الله عن حياة البشرية ؛ ليتسلطوا في غيبتها على عباد الله ، وليعثوا في الأرض فساداً .

٨ ـ الإسلام منهج حياة

إن من يرجع إلى تاريخ المسلمين يجد أن الخليفة المسلم يؤم المسلمين في الصلاة ، ويعلن الحرب ، ويعقد الصلح ، ويراقب سلوك المسلمين وتعاملهم ، مما يدل على أن مهماته لم تقتصر على النواحي الدينية ، بل تعدتها إلى كافة نواحي الحياة ، لذا فإن تاريخ الإسلام كما قدمنا لم يعرف فصلاً بين الدين والسياسة . وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدناه يعالج كافة نواحي الحياة كذلك ، فقد تضمن نصوصاً في السياسة ، وفي العبادة ، وفي القضاء ، وفي المعاملات ، وفي كل شأن من شؤون الحياة .

ففي العبادات : يقول الله تعالى : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ النساء ١٠٣ ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ البقرة : ١٨٣ ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ آل عمران : ٩٧.

وفي الأخلاق : يقول تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي قربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ... يأيها الناس اجتنبوا كثيراً من الظن** ﴾ ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾(البقرة : ٢٦٤) .

وفي السياسة الخارجية : يقول تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾(الممتحنة : ٨) .

وفي السياسة الداخلية : يقول تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (آل عمران : ١٥٩) ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (المائدة : ٤٤) ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاَّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾(المائدة : ٨) .

وفي القضاء : يقول تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ﴾ (النساء : ٩٢) ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ (النور : ٢) ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلَّبُوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفَوْا من الأرض ﴾ (المائدة : ٣٣) ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴾ .

وفي المعاملات والبيوع : كانت آية البيع والرهان وأحكام البيع هي أطول آية في القرآن ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ... ﴾ إلى آخر الآية (البقرة : ٢٨٢) .

وفي التركات : يقول تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ (النساء : ٧) ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها

النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ، إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين ... ﴾ إلخ ...

مما تقدم يتبين أن الإسلام دستور حياة ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا عالجها وصدق الله إذ يقول : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ (الأنعام : ٣٨) فهل بعد هذه الحجج الدامغة ما يبرر القول بفصل الدين عن الدولة ؟ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

إن ديناً هذا شأنه لجدير به أن يحكم ، ولظلم به وبأهله أن يهجروه ، ولئن استطاع أعداء الإسلام من المستعمرين وأذنابهم التأثير على بعض البسطاء للمناداة بفصل الدين عن الدولة ، إلا أن هذه المحاولات قد تحطمت أمام وعي المسلمين وفهمهم حقيقة الإسلام ، وصدق الله إذ يقول ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه** ﴾(الأنبياء : ١٨) .

☆ ☆ ☆

حوار بين الإسلاميين والعلمانيين

المقام في دار الحكمة بالقاهرة في
شهر ذي القعدة ١٤٠٦ يوليو ١٩٨٦

تتلخص آراء الشيخ محمد الغزالي فيما يلي:

١ ـ الإسلام عقيدة وشريعة عبادات ومعاملات دين ودولة. وإن الدولة التي يقيمها الإسلام لا توصف بأنها علمانية كما لا توصف بأنها دينية على النحو الذي يفهمه الناس من الحكومة الدينية التي عرفوها في القرون الوسطى في أوربا. فهي ليست علمانية ينصب اهتمامها على توفير الأمور المعاشية للناس فقط بل تهتم كذلك بالعبادات والإخلاص؛ فمهام الحكومة الإسلامية توضحها الآية الكريمة **﴿الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾**.

فالحكومة الإسمية إذاً تهتم برفع مستوى مواطنيها المعاشي والتربوي وتتجاوز مطالب الجسد لتشمل معه مطالب الروح ذلك لأن ولاءها لله وانتماءها للعقيدة وعملها أن تبين هدايات الله في المجتمع والدولة إرضاءً لله وتحقيقاً لسعادة مجتمعها في الدنيا والآخرة.

٢ ـ والحكومة الإسلامية ليست كالحكومة الدينية في أوربا لأن تلك الحكومة عرفت بالتعصب الديني، والتعصب هو استغلاق الذهن استغلاقاً يجعل الإنسان لا يرى إلا نفسه. هذا التعصب يرفضه العقلاء ويرفضه ديننا الإسلامي الحنيف ويشهد على ذلك تاريخنا الإسلامي المشرق ففي تاريخ الإسلام ما دل على التسامح ورفض التعصب فها هوذا عمر بن الخطاب حينما طعن وأوشك على الموت كانت آخر وصية له أن أوصى بأهل الذمة خيراً وهذا حدث فريد في التاريخ لم يقل به أي رئيس دولة في الماضي ولا في الحاضر وأما رفضه الصلاة في

كنيسة القيامة لكي لا تتخذ مسجداً من بعده لدليل آخر على تسامحه مع أصحاب الديانات الأخرى وعلى احترامه لحرية عقيدتهم فالحرية الدينية ابتداع إسلامي تميز به تراثنا الإسلامي النظري والتطبيقي وما عرفت الحرية الدينية على هذا الشكل إلا في تراثنا الإسلامي. أما نصوص القرآن في ذلك فكثيرة منها قوله تعالى: **﴿لا إكراه في الدين﴾ ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾ ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** والآثار في ذلك كثرة. لذلك أرفض أن تسمى الحكومة الإسلامية حكومة دينية بمفهومها لدى الأوربيين والذي لقنوه للغوغاء من أبنائنا فارتبط مفهوم الحكومة الدينية لديهم بما صنعه الذين أقاموا محاكم التفتيش في إسبانيا حيث لم يتركوا فيها مسلماً واحداً والتي لولا حكمنا للأندلس لما بقي فيها يهودي واحد.

٣ ـ والحكومة الإسلامية ليست كالحكومة الدينية في أوربا تلك التي عرفت بمحاربتها للعلم والعلماء بينما الحكومة الإسلامية تتبنى العلم والعلماء والتفكير عندنا فريضة دينية كما يقول الأديب الكبير عباس محمود العقاد بينما كان عندهم معصية شيطانية وما عرفت الدنيا ديناً يدعو إلى الاستدلال المنطقي والتفكير العلمي كالإسلام يقول تعالى: **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً﴾ ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** وما يؤكد تفوقنا في كافة العلوم والآداب تاريخ حضارتنا الإسلامية الزاهرة التي أجمع فيها مؤرخو الشرق والغرب على أننا انفردنا بالعلم نحو ألف سنة بينما كانت أوربا تتيه في ظلمات الجهل والتخلف وأنها يوم تحررت من سلطة الكنيسة سارعت تنهل العلم من معاهدنا وجامعاتنا ويستشهد الشيخ الغزالي على ذلك بحادثتين اثنتين سجلهما تاريخنا الإسلامي الثّر.

أ ـ كتاب أرسله جورج الثاني ملك إنكلترا وفرنسا إلى الخليفة هشام الثالث

الذي حكم سنة ١٤١٣ ـ ١٤٢٢ يقول فيه: بعد التعظيم والتوقير سمعنا عن الرقي العظيم تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم في بلادكم العامرة. فأردنا لبلدنا اقتباس هذه الخصائص لنشر أضواء العلم في بلادنا التي يحيطها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبي على رأس بعثة بنات الأشراف الإنكليز. الإمضاء خادمكم المطيع جورج وفي الهامش إشارة إلى أن الكتاب أرسل مع شمعدانين من الذهب الخالص طول كل منهما ذراعان مع ٢٢ قطعة ذهبية من أواني المائدة.

ب ـ خطاب أرسله جوهان ملك إنكلترا مع وفد سفارته البلاط الموحدي الخليفة الناصر سنة ٦٠٨ هـ ١٢١٢ م، وقد جاءت البعثة تطلب المساعدة العسكرية ضد النبلاء ورجال الدين وسائر الأهالي من مؤيديهم مقابل أن يعتنق الإسلام هو وسائر رعيته ويقول الدكتور الترزي: مثل هذه اللقطة في التاريخ المغربي ما كان على ابن خلدون أن يغفلها أو يهملها فمثل هذه السفارة من الأهمية بحيث ذكرتها المصادر الإنكليزية بإسهاب وذكرت أفرادها واحداً واحداً، ويقول الشيخ الغزالي وما يعنينا هنا هو ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية خلال ألف عام.

٤ ـ ويقول الشيخ الغزالي إن الأمة الإسلامية في كبوة لكن الإسلام ليس مسؤولاً عنها بل نحن المسلمين المسؤولون عنها وذلك يرجع لعاملين اثنين:

أ ـ عامل داخلي سببه ما نقل إلينا من مواريث فاسدة أدخلت على الإسلام دون تحقيق ولا تمحيص.

ب ـ عامل خارجي سببه الهجمة الاستعمارية الشرسة التي لا زالت تحمل بين جوانبها قلب بطرس الناسك الحاقد على الإسلام والمسلمين ـ على حد تعبير الشيخ جمال الدين الأفغاني ـ وتتمثل هذه الهجمة بالدس والافتراء والتشويه الذي أدخلوه على الإسلام وبالطعن في رجالات الإسلام فتأثر بدعوتهم أبناء الإسلام الذين لم يعرفوا شيئاً عن دينهم الإسلامي فراحوا ينادون بالعلمانية والاشتراكية وغيرها من الدعوات المستوردة. هؤلاء العلمانيون بنظر الشيخ الغزالي قسمان:

أ ـ قسم يجهل الشريعة الإسلامية وحقيقة الدين. وقد يقول آراءه الإصلاحية التي قد تكون موافقة للإسلام ويظن أن الإسلام يضيق بها.

ب ـ وقسم يكره الإسلام ويضيق بالكتاب والسنة ﴿ **ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم**﴾ هذا الصنف من الناس يقف في صف أعداء الإسلام المحاربين له هؤلاء يجب أن نقف منهم موقف اليقظة والصرامة فنحن في فترة الدفاع عن النفس فلا يجوز أن أترك ديني تعبث بها الأهواء وتلعب بها عصابات لا تعرف شيئاً عن دين الله ولا عن دنيا الناس ومن المؤسف أن لا يجد العلمانيون غير الإسلام مطية سهلة يهجمون عليه بينما يتجاهلون الاتجاه الديني الحاكم في أوربا وغيرها حتى إسرائيل سمت نفسها باسم أحد أنبيائها ولكنها غير خطرة بنظرهم أما الإسلام فهو الخطر الوحيد عليهم وعلى أسيادهم.

إنني أوصي الأجيال الناشئة أن تتعرض لكل من يحقر لها دينها وأن تتمسك بهذا الدين دين العزة والكرامة والعلم والتحرر ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ملخص كلمة الدكتور يوسف القرضاوي بتصرف

ركز الدكتور القرضاوي حديثه في ثلاث نقاط هي: ١ ـ ضرورة تحديد المفاهيم، ٢ ـ ضرورة تحديد موضوع النزاع، ٣ ـ ضرورة تحديد المعايير التي يحتكم إليها عند الاختلاف.

١ ـ تحديد المفاهيم:

أ ـ مفهوم الإسلام: الإسلام هو الدين الذي بعث الله به خاتم رسله، وأنزل به آخر كتبه، فيه سعادة النفوس وتنظيم المجتمعات وهداية البشر للتي هي أقوم مصدره كتاب الله وسنة رسوله.

ب ـ العلمانية: هي فصل الدين عن الدولة أي دولة بلا دين ودين بلا دولة. التدين عندهم مسموح به كتدين فردي مثل الصوم والصلاة والحج أما أن يخوض التشريع الإسلامي حياة المسلمين فهذا أمر مرفوض بنظرهم. فالزكاة عندهم مرفوضة مع أنها من العبادات لأنها حسب ادعائهم نوع من الإحسان الفردي وفي الحقيقة لأنها تساهم في بناء الاقتصاد الإسلامي كفريضة دينية. إنهم يرفضون أن يكون الإسلام أساساً للانتماء.

٢ ـ يتلخص الخلاف بيننا وبينهم فيما يلي:

أ ـ إنهم يرفضون أن يكون التشريع لله ويعطونه لأنفسهم مع أن آيات القرآن الكريم تشير إلى **﴿إن الحكم إلا لله﴾ ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ـ والفاسقون ـ والظالمون﴾**.

ب ـ إنهم يؤمنون أن الإسلام خال من التشريع (قياساً على النصرانية) وإن

وجد فيه بعض التشريعات فهي لا تصلح لكل زمان ومكان وهي ليست كافية لاستيعاب مشاكل العصر لذا فقد منحوا أنفسهم حق التشريع واستدراك ما عجزت الشريعة عن استيعابه بنظرهم بينما يؤمن المسلمون بأن الإسلام عقيدة سامية وشريعة كاملة شملت علاج كافة نواحي الحياة المادية والمعنوية وصدق الله إذ يقول: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.

والتشريع الإسلامي تشريع متكامل بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ونحن رضينا بما رضيه الله لنا.

والتشريع الإسلامي استقر، فقد أحل الحلال وحرم الحرام، وقد وضح لنا ذلك رسول الله بقوله: «إن الله حد لكم حدوداً فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تتركوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وترك أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها».

هذه الأشياء التي تركها لاجتهادنا والتي تتطور بتطور الزمن شملتها الاجتهاد والاستحسان والقياس والمصالح المرسلة وفق أسس وقواعد وضوابط حددها علم أصول الفقه. لذا جاءت تعاليم الإسلام شاملة لكل نواحي الحياة صالحة لكل زمان ومكان لا تخلق على كثرة الرد، وما دام باب الاجتهاد مفتوحاً فلن يعجز عن معالجة المستجدات في كل العصور والأزمان.

ج ـ الحرية عندهم مطلقة يرفضون تقيدها بضوابط الشريعة فشرب الخمر بنظرهم مزاج شخصي لا يجوز منعه والزنا حرية جنسية لا يجوز كبتها ولا يعاقب مرتكبوها ما دامت برضاء الطرفين أما نحن فنرى ضرورة أن تقوم الحياة على أساس من الطهارة والاستقامة ومنع الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

القانون الوضعي بنظرهم يقنن العادات والتقاليد والقيم والعرف فيقرها جميعها سواء كانت صالحة أم غير صالحة أما القانون المستمد من الشريعة الإلهية فيرتقي بالمجتمع إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة لذا فهو يقر الصالح النافع ويحرم

الضار القبيح الحسن عندهم ما حسنوه لأنفسهم والحسن عندنا ما حسنه الشرع .

ويمتاز القانون الإسلامي عن القانون الوضعي بالوازع الداخلي الذي يدفع صاحبه إلى الاستجابة لتنفيذ القانون عن طيب خاطر. حاولت أمريكا أن تمنع الخمور فجندت أجهزة الإعلام والأمن وغيرها فأخفقت ونجح المهربون واستمر احتساء الخمرة، وأخفقت الأنظمة والقوانين الوضعية حينما حرم الإسلام الخمر حرمها بالتدريج فذمها في آيتين وحرمها في الثالثة وما أن نزلت آية التحريم حتى قالوا اللهم انتهينا وسالت الخمرة في شوارع المدينة وانتصر القانون الرباني .

٣ ـ المعايير التي يجب الاحتكام إليها حين الاختلاف :

نحن نقول إن الإسلام نظام للحياة ويقولون إن الإسلام عبادات فحسب وما دمنا مسلمين فلا بد من الاحتكام للإسلام لقوله تعالى : **﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم تؤمنون بالله ورسوله ذلك خيراً وأحسن تأويلاً﴾** .

أ ـ الإسلام منهج حياة بدليل قوله تعالى : **﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبؤكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾** المائدة/ ٤٨ .

ب ـ الإسلام يؤخذ كاملاً ولا يجوز أن نأخذ ببعض أحكامه ونترك البعض الآخر بدليل قوله تعالى : **﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾** وبدليل قوله تعالى : **﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾** المائدة/ ٤٩ .

هذا هو الإسلام فهل يؤمن به العلمانيون بهذا المفهوم لا أظن ذلك .

لهذا كله فنحن ضد العلمانية لأنها ضد الإسلام نحن مع العلمية ضد العلمانية ونحن مع التدين ضد التعصب ومع التطور ضد الجمود ومع الأخلاق ضد التفلت فرسالة الإسلام نظام حياة يعالج حياة المسلم في كافة نواحي الحياة التعبيرية والأخلاقية والاقتصادية والتشريعية رسالة قال عنها الشهيد حسن البنا: امتدت طولاً حتى شملت آداب الزمن وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة وصدق الله إذ يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾.

كلمة الدكتور فؤاد زكريا في دفاعه عن العلمانية

تتلخص أفكار الدكتور فؤاد فيما يلي:

١ ـ أرى أن هنالك سوء فهم للعلمانية بحيث أصبحت شتيمة ومحاولتي في هذه الندوة أن أقول لكم لا ليست العلمانية هي الشيء المعيب أو المرعب أو الشيء الذي يجب أن نعلن عليه حملة شعواء. ليست العلمانية نقيضاً للإسلام حتى نكون مضطرين لاختيار العلمانية أو الإسلام. فمصر في الخمسينات والستينات اختارت العلمانية فهل معنى هذا أن مصر كانت كافرة. النحاس باشا قال إنه علماني حتى النخاع وكان أكثر الناس تمسكاً بالإسلام وعندما عرض عليه البعض تطبيق الشريعة في القوانين رفضها رفضاً قاطعاً هل لأنه كان كافراً؟ لا أظن؟

تعليق ـ ١ ـ يحاول الدكتور فؤاد هنا أن ينفض غبار الشر والجحود عن العلمانية ليخرجها لماعة تسر الناظرين مؤمنة توافق الشرع والدين، ويتقوى في دفاعه عنها بأصحاب الوجاهات السياسية من الأموات كالنحاس باشا. وقد فات الدكتور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل لنا تركت فيكم الزعماء السياسيين أو العلماء الشرعيين أو الدكاترة العلمانيين فاتبعوهم بل قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي».

فمرجعنا يا دكتور كتاب الله وسنة رسوله، والكبير عندنا هو الكبير عند الله الحريص على إقامة شرعه العادل.

٢ ـ يقول الدكتور فؤاد في رده على الإسلاميين القائلين بأن الوضع في أوربا الذي برر لها المناداة بالعلمانية يختلف عن وضع عالمنا الإسلامي لذا فلا

حاجة لنا للعلمانية بقوله: إن المسألة ليست بهذه الصورة تماماً فالذي حدث في أوربا لم يكن مجرد ردود فعل على دولة الكنيسة فقط بل كان رد فعل على أسلوب التفكير. كانت أوربا تريد أن تقفز قفزات كبيرة نحو العلم وتجاه الكشوف الجغرافية للسيطرة على العالم وفي اتجاه التصنيع وكان العائق في وجهها هو ما نسميه التفكير بالسلطة. يعني أنه لا يجوز أن نخالف فكر أرسطو مثلاً أو تفكير رجال الكنيسة وفهمهم الخاص بالدين المسيحي فمن خالفهم اتهموه بالكفر والزندقة وحاولوا قتله. فظهرت العلمانية كرد فعل للتفكير بالسلطة وكان لا بد من عملية فصل بين الكنيسة وسلطة الدولة وهذا لا يعني أن أوربا أصبحت كافرة.

تعليق ـ ٢ ـ يحاول الدكتور فؤاد هنا أن ينقل الهجمة من رجال الدين المناصرين للسلطة إلى الدين نفسه وأسلوب تفكيره الذي سماه التفكير بالسلطة. حين يقول إن العلمانية لم تكن ردود فعل ضد سلطة الكنيسة بل كانت ضد أسلوب التفكير بالسلطة وقد فات الدكتور فؤاد أن الشباب المسلم مثقف يعرف تاريخه وتراثه وأن هذه المغالطة لن تنطلي عليه لأنهم يعرفون أن الدين الإسلامي دين العلم والفكر والمنطق وأنه منسجم مع العلم مشجع على طلبه ولو بالصين وهي ليست مركز العلوم الشرعية طبعاً وفي ذلك إشارة إلى طلب كافة العلوم وأنه يدعو العقل إلى التفكير والتأمل والبحث وإذا كان الدكتور فؤاد لا يصدق هذه الحقيقة إلا من علماء غربيين أجانب فليسمع إلى نتيجة أبحاث عالم من أشهر علماء أوربا وهو الدكتور موريس بوكاي حيث دلل على أن القرآن الكريم هو الدين الوحيد الذي لا تتناقض آياته مع الحقائق العلمية القطعية. اقرأ إن شئت كتابه دراسة في الكتب المقدسة الذي كان سبباً في إسلامه. حبذاً لو قرأتم عن الإسلام بمقدار ما تقرؤون عن الأفكار الدخيلة لكنتم منصفين.

أما دليلنا من تاريخ الإسلام فقد قدمه الشيخ الغزالي في بحثه أو الندوة والشواهد على علو شأن المسلمين في العلم كثيرة تنتظر الراغبين في قراءتها.

٣ ـ يقول الدكتور فؤاد: إن مفهوم العلمانية لم يكن محاربة الدين أو الاعتداء عليه وإنما المقصود منه أن للدين نشاط وميدان وأن للبشر نشاط وميدان آخر وأن الفرق الحقيقي بين العلمانية والدين ليس تضاداً وإنما شمول الدين كل

مرافق وأنشطة الحياة يجعلنا مع احترامنا للدين أن نترك بعض هذه الجوانب للاجتهاد البشري والتفكير الإنساني وأن المشكلة في نظري هي التداخل بين الجانب الإلٓهي والجانب البشري.

تعليق ـ ٣ ـ هذا الفصل بين الجانب الإلٓهي والجانب البشري تأثر به الدكتور فؤاد بما حدث في أوربا يوم ضعفت سلطة الكنيسة فقالوا دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وحفظ الدرس عن أساتذته وقاس الإسلام على النصرانية ولكنه قياس مع الفارق فتصدى مع بني فكره لتوزيع الاختصاص بينهم وبين الله فأعطوا الله التخصص في بعض العبادات تكرماً، وسموا ما أعطوه لله ديناً وتركوا التشريع لأنفسهم فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا تلك إذاً قسمة ضيزى.

إنها لعبة ماكرة يقصدون منها إقصاء التشريع الإسلامي عن حياة المسلمين ليحل مكانه تشريع الأهواء ولكن ذلك مرفوض بنظرنا لسببين أحدهما منطقي والثاني عقدي.

أ ـ أما المنطقي فلأن الإيمان بالفكرة لا يقبل إلا إذا كان إيماناً كاملاً بكل جزئياتها. ترى هل يعتبر الدكتور، من يدعي الماركسية ماركسياً إذا أنكر المادية الجدلية وهل يعتبر قومياً عربياً من ينكر الوحدة العربية وهل يعتبر إسلامياً من ينكر جزءاً من الشريعة أو شيئاً عام من الدين بالضرورة وهل يعتبر علمانياً من يؤمن بتطبيق الشريعة الإلٓهية ؟

ب ـ أما العقدي فلأنه لا يجوز الأخذ ببعض أحكام الإسلام في جانب من جوانب الحياة والاحتكام إلى تشريعات غير إسلامية في جانب آخر وذلك لسببين:

ـ **السبب الأول: لأن** الإسلام نظام متكامل عبادة وشريعة معاملات وأخلاق تكافل وسياسة هذه الحلقات متداخلة مع بعضها البعض فالزكاة مع كونها عبادة لها صلة بالاقتصاد الإسلامي والإرث له صلة بالأسرة وأنظمتها الاجتماعية وهكذا فإذا حكمنا غير الإسلام في جانب ما تعطلت الجوانب الأخرى فالإسلام لا يحقق أهدافه ولا يظهر مجاله وصلاحه إلا إذا طبقت كافة أحكامه لذلك نجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه يسارع إلى القضاء على هذه البادرة الخطيرة فيحارب مانعي

الزكاة مع أنهم يصومون ويحجون ويصلون ويتظقون بالشهادتين مثل بعض العلمانيين اليوم ومن يقتدون بهم وأكثر ومع ذلك فقد أهدر الصديق دمهم وقال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم عليه.

ـ **والسبب الثاني**: وجود النص القرآني الثابت والقاعدة الفقهية لا اجتهاد في مورد النص يقول تعالى: ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون**﴾ لذلك فإن أية محاولة لإقصاء بعض تعاليم الإسلام عن حياة المسلمين إنما هي مؤامرة يراد بها القضاء على الإسلام لا يجوز السكوت عليها لأن التفريط بالبعض سيؤدي إلى التفريط بالكل.

٤ ـ يقول الدكتور فؤاد: إن من يدعون إلى تطبيق الشريعة يعلمون أن التشريع الإلٓهي لا يفرض على الناس إلا من خلال الإنسان وهذا يعرض التشريع الإلٓهي للهوى والمصالح التي هي من خصائص الإنسان وفترات الضعف موجودة في التاريخ الإسلامي في معظم فتراته وهذا ما يجعلني أقول: إن الفارق بين التشريع الإلٓهي والتشريع البشري ليس بالضخامة التي نتصور.

تعليق ـ ٤ ـ إنها قولة حق أريد بها باطل. هل يتوقع الدكتور أن ينزل الله ملائكة من السماء لتطبيق الشريعة وهل الضعف البشري خاص بتطبيق الشريعة فحسب أم يشمل تطبيق الشريعة والقانون على السواء ولا أظنه يقول غير ذلك. إذن فقد سقطت حجته وسيبقى البون شاسعاً بين التشريع الإلٓهي وكماله وسمو تعاليمه وهيمنة وازعه واندفاع المسلمين للأخذ به والدفاع عنه والتصدي لخصومه وبين التشريع البشري المعرض للخطأ والنقص.

٥ ـ ويقول الدكتور فؤاد: إن أحوال البشر متغيرة والحياة تواجهنا بمواقف مستمدة يوماً بعد يوم هذه المسائل لم يكن من الممكن أن يعمل حسابها في عصر كان أبسط تعقيداً بكثير وهذا معناه أن مساحة الاجتهاد البشري تتسع يوماً عن يوم وعصراً عن عصر أسبق منه. هذه الاجتهادات تحدد علاقتنا بالعالم وتحدد طريقتنا في بناء اقتصادنا وقوانين حياتنا كما أن الذين يصنعون القوانين الوضعية لا يتجاهلون الدين والعرف السائدين في ذلك البلد.

تعليق ـ ٥ ـ الملاحظة الأولى في هذه الفقرة هي اعتراف الدكتور فؤاد وبشطارة ـ بعجز الشريعة عن مسايرة مستجدات العصر لذا فهو يوسّع مساحة الاجتهاد البشري ليحدد علاقته بالعالم. وإلحاق النقص بالشريعة القاصرة عن مسايرة العصر بنظره هو إلحاق النقص بموجد الشريعة وهو الله تعالى ولكنني أستغرب هذا النوع المبطن من الغمز والطعن. لِم لَمْ تقلها صراحة يا أبا العلمنة هل تخشى التكفير أم تخشى انكشاف حقيقة العلمانية وعداءها للإسلام فتنفر منك الجماهير المسلمة التي تحاول استدراجهم إلى العلمانية ؟

والملاحظة الثانية: هذا الجهل المطبق بالإسلام لدى المتأثرين بحضارة الغرب وشبهاتهم التي ينتقصون فيها من الإسلام، بحيث لم تجد استعداداً لدى الواحد منهم لقراءة سطر واحد عن الإسلام بينما يقرأ مئات الكتب المعادية للإسلام والإنصاف يقضي أن يقرأ الإنسان شبهات الأعداء وردود الأصدقاء أما أن يتخذوا من كلام الحاقدين على الإسلام حقائق يغلقون عليها عقولهم ويقفون في صف أعداء الإسلام دون أن يشعروا فتلك مصيبة وإن شعروا فالمصيبة أعظم. لم يستطيعوا أن يقتنعوا أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان متجاهلين شهادة المختصين من علماء القانون مسلمين وغير مسلمين.

وضح لهم الدكتور القرضاوي أن الشريعة قد اكتملت وأن الاجتهاد والاستحسان والقياس والمصالح المرسلة تستوعب كل ما يستجد من أمور الحياة كما وضح الدكتور مصطفى الزرقا أن أحكام الإسلام قد فصلت في الأمور التي لا تتطور وأجملت في الأمور التي تتطور لكي يجتهد العلماء في إيجاد حلول لكل جديد كما صنف الشيخ عبد الوهاب خلاف آيات القرآن حسب المواضيع فكان منها سبعون آية تتعلق بالأحوال الشخصية وسبعون آية بالأمور المدنية وسبعون آية في الأحكام الجنائية وثلاث عشر آية في المرافعات وعشر آيات في الأحكام الدستورية وخمس وعشرون في تنظيم علاقة المسلمين بغيرهم. كما تجاهلوا شهادة الدكتور عبد الرزاق السنهوري في كتابه نظرية الحق وشهادة الدكتور شفيق شحادة وهو قبطي مصري في كتابه الالتزام في الشريعة. كما ضربوا ستاراً حول شهادة رجال القانون من مسلمين وغير مسلمين في مؤتمراتهم الدولية.

ففي مؤتمر القانون المقارن في لاهاي أقروا بأن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع العام وأنها حية وصالحة للتطور. وفي مؤتمر المحامين الدوليين المنعقد في لاهاي كذلك عام ١٩٤٨ تقرر وجوب تبني الدراسة المقارنة للتشريع الإسلامي نظراً لما لها من مرونة وشأن هام. وكذا في مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي المنعقد في باريس سنة ١٩٥١ والذي تقرر فيه أن مبادىء الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها وأن مجموع الآراء والمذاهب الفقهية ثروة تحمل على الإعجاب وأنها قادرة على الاستجابة لجميع مطالب الحياة المدنية والتوفيق بين حاجاتها. ومع ذلك يصرون على عدم صلاح الشريعة آخذ بالمثل الشعبي القائل (عنز ولو طارت) ومع قناعتي أن أحداً منهم لن يستجيب لصوت الحق ولكنني سأورد بعض الأمثلة توضيحاً للراغبين في الاستفادة والمعرفة.

أ ـ قال تعالى: ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ ـ هذا النص أرسى قاعدة الشورى. ولكن سيدنا أبا بكر طبقها في اختيار الخليفة من بعده بطريقة غير الطريقة التي حددها عمر غير الطريقة التي التزمها عثمان المهم أن يستشار أهل الرأي في الأمة أما الطريقة فقد تركها لخيار المسلمين في كل عصر ومصر.

ب ـ الزكاة، يقول تعالى: ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها وتزكيهم** ﴾ ويقول في مصارفها ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل** ﴾ شكى مسلم الفاقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر له بشراء حبل وفأس وطلب إليه أن يذهب ويحتطب لقد أمن له وسيلة الكسب التي تغنيه عن المسألة في ذلك العصر أما في عصرنا الحاضر فيمكن للجهة المختصة بفريضة الزكاة أن تجمع أموال الزكاة وأن تقوم بإحصاء دقيق للفقراء في بلدها ثم تنشىء مصنعاً تحتاجه البلدة وتسلم المصنع لهؤلاء الفقراء. المهم أن الزكاة جمعت ووزعت لمستحقيها أما الطريقة فتختلف من عصر لعصر ومن حاجة بلد إلى حاجة بلد أخرى.

ج ـ في الصيام: لا أدر لم جعل الدكتور فؤاد من مشاهدة هلال رمضان وتوحيد بدء الصيام مشكلة مستعصية. أخشى إن وجدنا لهذه المسألة حلاً أن يقول

بضرورة توحيد مواقيت الصلاة في كافة أصقاع المعمورة، عندها سنطلب منه أن يتعاون مع أنصاره ثم يسخروا الشمس كي تشرق في آن واحد على كافة أجزاء الكرة الأرضية بشقيها المظلم والمضيء، (لأنها هي السبب) عندها نوحد له المواقيت إذ كثيراً ما يتأخر مطلع القمر من بلد إلى بلد عدة ساعات فيرى في قطر بينما يطلع بعد ساعات ليلاً في قطر آخر فتتعذر رؤيته ليلاً.

لذا نجد الشيخ عبد الرحمن تاج يقول: ومن هنا اختار كثير من أئمة الفقه في المذاهب الأربعة عدم التعويل على اختلاف المطالع في إثبات الهلال. وقال: وهذا الرأي القوي السديد لا يتنافى مع ما دل عليه الحديث «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» فإن ذلك الخطاب للأمة الإسلامية المتكاملة المتعاون فمتى تحققت رؤية الهلال فيكفي إذاً لإيجاب الصوم على أهل القطر إن ثبتت رؤيته ولو في قطر آخر. فإن الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذي هو رؤيته بل أتى بالمصدر على طريقة الفعل المبني للمجهول فكأنه يقول صوموا إذا رؤي الهلال. وإذاً لا فرق بين قطر وقطر فيما يرجع إلى ثبوت الهلال وهناك من العلماء من قال إن رؤية الهلال بالمرصد هي رؤية لا تناقض نص الحديث.

٦ - ويدلل الدكتور فؤاد أخيراً على أن كلمة العلمانية ليست شراً بل كلمة مطلوبة في قاموسنا السياسي والدين المعاصر. حين يستشهد بالصراعات الطائفية بين السيخ والهندوس والمسلمين في الهند وبالصراعات الطائفية في لبنان منذ عشر سنوات والصراع الطائفي في فلسطين هو الذي دفع منظمة التحرير نفسها للمناداة بدولة علمانية في فلسطين يتعايش في ظلها أتباع الديانات الثلاث ويقول إنه لا مفر من هذه المذابح إلا بتأكيد مفهوم الدولة العلمانية فالعلمانية بنظره ليست شريرة بل هي الأمل في إنقاذ مجتمع معين.

تعليق - ٦ - ويرد عليه الدكتور القرضاوي بقوله: الهند دولة علمانية فهل حلت العلمانية المذابح القائمة بين طوائفها، إن الطوائف تحرم ذبح البقر وقتل الحشرات لأنها ذات روح واستعمال المبيدات ولكنهم يحلون ذبح المسلمين ومن يخالفهم في العقيدة. ولبنان كذلك دولة لا دين لها هل كانت تحكم بالشريعة الإسلامية أم بالتعاليم المسيحية! إنها تحكم بقوانين وضعية مستوردة فهي دولة

علمانية ومع ذلك لم تنه العلمانية الحرب الطائفية فيها.

وأقول: لا يخفى على الدكتور فؤاد ـ وهو سيد العارفين ـ أن أسباب هذه الفتن إنما هو الاستعمار فما دام هناك استعمار وجهل، وما دام للأقوياء مطامع في بلاد الضعفاء، وما دامت معركة اقتسام مناطق النفوذ دائرة بين الدول الكبرى، وما دام في أمتنا من يؤجر نفسه وفكره ويعطي ولاءه لأعداء هذه الأمة، فإن محاولات التجزئة والتفرقة وإثارة الفتن قائمة، ولا أدل على ذلك من أن مسيحيي لبنان، يعملون في ثلاث جبهات، قسم مع إسرائيل وقسم مع رئيس الدولة وقسم مع أمل والحزب الاشتراكي. فأين الطائفية إذاً وأية علمانية هذه التي ستوحد لبنان وهل يتصور الدكتور فؤاد أن قائد الانفصال في جنوب السودان سيتوقف عن تمرده ما دامت روسيا وأثيوبيا بجانبه، وأريد أخيراً أنْ أذكر العلمانيين بأن العلمانية نغمة قديمة يرفضها جيلنا المعاصر وإن حاولوا بعثها من جديد ومسحها مما علق بها من غبار عدائها للإسلام لأن العقيدة أرقى من القومية والعرقية وأنه يمكن للإنسان أن يتناسى قوميته في سبيل عقيدته ولكنه لا يتجاهل عقيدته في سبيل قوميته سيما إذا كانت هذه العقيدة تحترم كافة القوميات وتعتمد مقياس التقوى أساساً للتفاضل بين بني الإنسان ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾.

الليونز

INTERNATIONAL ASSOCIATION

OF LIONS CLUBS

عن كتاب الموسوعة الميسرة

التعريف :

إنها مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر ، لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ في صيف ١٩١٥ م دعا مؤسس هذه النوادي ملفن جونس إلى فكرة إنشاء نواد تضم رجال الأعمال من مختلف أنحاء الولايات المتحدة ، وكان أول نادٍ تأسس من هذا النوع في مدينة سانت انطونيو ـ تكساس .

ـ في مايو ١٩١٧ م ظهرت المنظمة العالمية لنوادي الليونز إلى الوجود وقد عقدت اجتماعها الأول في شيكاغو حيث أقدم نوادي الروتاري هناك .

ـ يعتقد بعض الدارسين بأن هذا النادي تابع لنوادي بناي برث أي (أبناء العهد) الذي تأسس في ١٣ / ١٠ / ١٨٣٤ م في مدينة نيويورك .

ـ بصورة عامة فإن هذه النوادي جميعاً تتبع بشكل أو بآخر منظمة البنائين الأحرار (الماسون) .

ـ لقد أُنشيء نادي الليونز ليكون بديلاً عن النوادي السابقة في حالات انكشافها أو اضطهادها لما يتمتع به من مظهر اجتماعي إصلاحي خيري .

الأفكار والمعتقدات :

- إن اسمهم (الليونز) أي الأسود إنما يرمز إلى القوة والجرأة .
- تتجلى نشاطاتهم الظاهرية في :
- الدعوة إلى الإخاء والحرية والمساواة .
- نشر معاني الخير والتعاون بين الشعوب .
- تنمية روح الصداقة بين الأفراد بعيدًا عن الروابط العقيدية .
- الاهتمام بالرفاهية الاجتماعية .
- العمل على نشر المعرفة بكل الوسائل الممكنة .
- مساعدة المكفوفين .
- تخفيف متاعب الحياة اليومية عن المواطنين .
- تقديم الخدمات إلى البيئة المحلية .
- إقامة المسابقات الترفيهية .
- دعم المشروعات الخيرية .
- دعم مشروعات الأمم المتحدة .

العضوية :

- شروط العضوية في هذه النوادي لا تختلف كثيرًا عن شروط العضوية في نوادي الماسونية والروتاري .

- لكنها تمتاز عن النوادي الماسونية بأنه يجوز لديهم بأن يمثل المهنة الواحدة أكثر من عضوين .

ـ لا يستطيع أي شخص أن يقدم طلب انتساب إليها ، إنما هم الذين يرشحونه ويعرضون عليه ذلك إذا رأوا مصلحة لهم فيه .

ـ يشترط أن يكون العضو من رجال الأعمال الناجحين .

ـ يشترط أن يكون مكان عمل العضو في ذات المنطقة التي فيها النادي .

ـ يفرض على كل عضو بأن يحقق نسبة حضور في الاجتماعات الأسبوعية لا تقل عن ٦٠٪ سنويا .

ـ يمنعون منعًا باتًا دخول العقائديين وذوي الغيرة الوطنية الشديدة .

ـ يجتذبون الشباب والشابات بغية المحافظة على أدنى مستوى ممكن من الأعمار الشابة للمحافظة على حيوية النادي الدائمة فضلاً عن سهولة التأثير .

ـ يجتذبون السيدات من زوجات كبار المسئولين كما يسند إليهن مهمة الاتصال بالشخصيات الكبيرة ، ولهن نوادٍ خاصة بهنَّ تسمى نوادي سيدات الليونز .

ـ الهيكل التنظيمي : يتكون كل نادٍ من :

ـ رئيس .

ـ نائب رئيس أو أكثر .

ـ سكرتير ـ وأمين صندوق .

ـ مجلس إدارة مؤلف من (١٢) عضوًا على أن يكون بينهم شخص أو اثنان من رؤساء النادي السابقين بهدف إحكام القبضة على المجلس كي لا ينحرف في أي مسار لا يريدونه لناديهم .

ـ لجان متنوعة تشكل من قبل المجلس لتشمل الأنظمة المختلفة .

خطورة هذه النوادي :

ـ نشاطاتها الخيرية الظاهرية مصيدة تخفي وراءها أهدافها الحقيقية .

ـ يتسمون بالتخطيط الدقيق ، ويعملون على أساس من السرية في جمع المعلومات .

ـ يتعرفون على أسرار المهن من خلال لقاءاتهم مما يعطيهم قدرة على التحكم في السوق المحلية كما يعينهم على التدخل في الشئون الاقتصادية للبلد .

ـ يجمعون المعلومات المتعلقة بالشئون السياسية والدينية للبلد الذي يعملون فوق أرضه ويرسلونها إلى مركز المنظمة العالمي التي تقوم بتحليلها ووضع الخطط اللازمة والمناسبة حيالها .

ـ إنهم يُقَسّمون المنطقة التي يعملون فيها ، ومن ثم يجب أن يغطي كل قسم بنشاطه القاطعَ المتعلق به .

ـ هناك غموض شديد يكتنف أسرارهم ومواردهم ووسائلهم .

ـ تضرب مجالس إدارات مناطق الليونز إجراءات أمن مشددة حولها .

ـ يرددون دائمًا شعار (الدين لله والوطن للجميع) .

ـ الإسلام لديهم يقف على قدم المساواة مع الديانات الأخرى سماوية كانت أم بشرية هذا من حيث الظاهر ، أما الحقيقة فإنهم يكيدون له أكثر مما يكيدون لسواه .

ـ يركزون في دعواتهم ومحاضراتهم على إبراز مكانة معينة لإسرائيل وشعبها ، كما يقومون بزراعة أفكار صهيونية في عقول أعضائها .

ـ لقد عقدوا دورة في نوادي ليونز مصر الجديدة بالقاهرة للحديث عن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل .

ـ إنهم يقيمون حفلات مختلطة ماجنة راقصة تحت شعار (الحفلات الخيرية) .

ـ لقد أصدر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة في مكة المكرمة بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٩٨ هـ قرارًا بَيَّنَ فيه أن مبادئ حركات الماسونية والليونز والروتاري تتناقضَ كليًا مع مبادئ وقواعد الإسلام .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ إن نوادي الليونز لا تخرج عن الدائرة الماسونية التي تتبع لها ، فالجذور إذن واحدة .

ـ إنها تدعو إلى فكرة الرابطة الإنسانية وإزالة العوائق بين البشر .

ـ إنها تستمد جوهرها الحقيقي من الفكر الصهيوني .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ لهذه المنظمة نوادٍ في أمريكا وأوروبا وفي كثير من بلدان العالم .

ـ ادعت نوادي الليونز في أوائل عام ١٩٧٠ م بأن عدد أعضائها يزيد عن (٩٣٤,٠٠٠) عضو موزعين في (١٤٦) بلدًا .

ـ مركزها الرئيسي الحالي هو في أوك بروك بولاية الينوي في الولايات المتحدة الأمريكية .

ـ نوادي الليونز والروتاري نشطت في مصر بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل .

ـ إنها تتخذ من الفنادي الضخمة مراكز لها كفندق السلام بمصر الجديدة وفندق هيلتون وشبرد وشيراتون .

ـ إنها ترصد مبالغ ضخمة كجوائز تقدم خلال حفلات تنمية الصداقة وحفلات الاهتمام ببعض المشروعات مما يضع إشارة استفهام حول طبيعة الموارد المالية .

مراجع للتوسع :

١ ـ شهادات ماسونية حسين عمر حماده ـ دار قتيبة بدمشق ـ ط ١ ـ ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م .

شهود يهوه

عن كتاب الموسوعة الميسرة

التعريف :

هي منظمة عالمية تقوم على سرية وعلنية الفكرة ، دينية وسياسية ، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهي تدعي أنها مسيحية ، والواقع أنها واقعة تحت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم ، وهي تعرف باسم (جمعية العالم الجديد) إلى جانب (شهود يهوه) الذي عرفت به ابتداء من سنة ١٩٣١ م وقد اعترف بها رسميا في أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك سنة ١٨٤٤ م .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

١ ـ أسسها سنة ١٨٧٤ م الراهب تشالز راسل (١٨٦٢ ـ ١٩١٦ م) وكانت تعرف آنذاك باسم (مذهب الراسلية) و (الدارسون الجدد للإنجيل) .

٢ ـ ثم خلفه في رئاسة المنظمة فرانكلين رذرفورد (١٨٦٩ ـ ١٩٤٢ م) الذي ألف سنة ١٩١٧ م كتاب (سقوط بابل) ويرمز ببابل لكل الأنظمة الموجودة في العالم .

٣ ـ ثم جاء نارثان هرمر كنور (١٩٠٥ م) وفي عهده أصبحت المنظمة دولة داخل الدولة كما يقال .

الأفكار والمعتقدات :

ـ يؤمنون بيهوه إلٰهًا لهم وبعيسى رئيسا لمملكة الله .

ـ يؤمنون بالكتاب المقدس للنصارى ولكنهم يفسرونه حسب مصالحهم .

ـ الطاعة العمياء لرؤسائهم .

ـ يستغلون اسم المسيح والكتاب المقدس للوصول إلى هدفهم وهو (إقامة دولة دينية دنيوية للسيطرة على العالم) .

ـ لايؤمنون بالآخرة ولا بجهنم ويعتقدون بأن الجنة ستكون في الدنيا في مملكتهم .

ـ يعتقدون بقرب قيام حرب تحريرية يقودها عيسى وهم جنوده يزيحون بها جميع حكام الأرض .

ـ يقتطفون من الكتاب المقدس الأجزاء التي تحبب في إسرائيل واليهود ويقومون بنشرها .

ـ لايؤمنون بالروح وبخلودها ولهم معابد خاصة بهم يسمونها القاعة الملكية أو بيت الرب .

ـ الأخوة الإنسانية مقتصرة عليهم دون سواهم من البشر .

ـ يعادون النظم الوضعية ويدعون إلى التمرد ، ويعادون الأديان إلا اليهودية ، وجميع رؤسائهم يهود .

ـ يعترفون بقداسة الكتب التي تعترف بها اليهودية وتقدسها وهي ١٩ كتابًا .

ـ يقولون بالتثليث ويفسرونه بـ (يهوه ، الابن ، الروح القدس) .

ـ يمر العضو فيها بمراحل معقدة ويخضع الالتحاق بها إلى شروط قاسية .

ـ علامتها :

١ ـ تبني (المينورا) وهي الشمعدان السباعي الذي هو رمز اليهود الديني والوطني .

٢ - تبني النجمة السداسية وهي رمز لليهود كذلك .

٣ - تبني اسم يهود ويكتبونه بالعبرية وهو « الإله » عند اليهود .

من كتب المنظمة :

ـ تنطق باسمهم مجلة كانت تصدر تحت اسم (برج مراقبة صهيون) ثم عدلوها إلى : (برج المراقبة) لإخفاء كلمة صهيون .

ـ هذا الخبر الجيد عن المملكة (المقصود مملكتهم المأمولة) .

ـ الأساس في الإيمان بعالم جديد .

ـ لقد اقترب علاج الأمم .

ـ العيش بأمل نظام عادل جديد .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ يمكن اعتبارهم فرقة مسيحية بفهم خاص إلا أنهم واقعون تحت سيطرة اليهود بشكل واضح ويتبنون العقائد اليهودية في الجملة ويعملون لأهداف اليهود .

ـ تأثروا بأفكار الفلاسفة القدامى واليونانيين منهم بخاصة .

ـ لهم علاقة وطيدة بإسرائيل وبالمنظمات اليهودية العالمية كالماسونية .

ـ لهم علاقة تعاون مع المنظمات التبشيرية والمنظمات الشيوعية والاشتراكية الدولية .

ـ لهم علاقة كبيرة مع أهل النفوذ من اليونانيين والأرمن .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- لا تكاد تخلو دولة في العالم من نشاط هذه المنظمة السرية الخطرة .

- مركزهم الرئيسي في أمريكا - حي بروكلين بنيويورك :

124 Columbia Heights, Brooklyn 1,
New York – USA .

- وصل عدد البلدان التي يزاولون فيها نشاطهم سنة ١٩٥٥ م إلى ١٥٨ دولة وكان عددهم آنذاك ٦٣٢٩٢٩ عضوًا وعدد دعاتهم ١٨١٤ داعية فكم يكون إذن عددهم الآن ؟ وقد فطنت بعض الدول إلى خطورتهم فمنعت نشاطهم وتعقبتهم ومن هذه الدول : سنغافورة - لبنان - ساحل العاج - الفلبين - العراق - النرويج - الكاميرون - الصين - تركيا - سويسرا - رومانيا - هولندا .. وما يزالون ينشطون في هذه الدول بطريقتهم الخاصة السرية . أما في أفريقيا والدول الإسلامية فغالبًا ما يكون نشاطهم بالتعاون مع المنظمات التبشيرية .

- يصدرون آلاف الكتب والنشرات والصحف ويوزعونها مجانًا مما يدل على قوة رصيدهم المالي .

- لهم مدارس خاصة بهم ومزارع ودور صحافة ودور نشر .. ولكل منها إدارة خاصة بها .

- لهم مكاتب للترجمة والتأليف ولجان دينية عليا لتفسير الكتاب المقدس وفق مصلحتهم .

- لهم تعاون كبير مع المنظمات المماثلة التي تعمل لصالح اليهود ، تستفيد هذه المنظمة من أعضائها في أعمال الاستخبارات والجاسوسية والدعاية .

بناي برث أو أبناء العهد

B'NAI B'RITH

عن كتاب الموسوعة الميسرة

التعريف :

(بناي برث) جمعية من أقدم الجمعيات والمحافل الماسونية المعاصرة وذراع من أذرعتها الهدامة ، ولا تختلف عنها كثيراً من حيث المبادئ والغايات إلا أن عضويتها مقصورة على أبناء اليهود ، وخدمتها أساسا لدعم الصهيونية في العالم .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ اليهودي الألماني (هنري جونس) من مدينة هامبورغ ، ترأس عشرة من اليهود الذين هاجروا إلى نيويورك وحصلوا في ١٣ / ١٠ / ١٨٤٣ م على ترخيص بتأسيس هذه الجمعية .

ـ منذ سنة ١٨٦٥ م والجمعية تسعى لأن يكون لها وجود في فلسطين ، وفي سنة ١٨٨٨ م تأسس أول محفل لها ، ولغة العمل الرسمية فيه هي اللغة العبرية ، ومن أبرز شخصياته : ناحوم سوكولوف ـ دزنكوف ـ حاييم نخمان ـ دافيد بلين ـ مائير برلين ـ حاييم وايزمن ـ جاد فرامكين .

ـ لقد عملوا على تأسيس مستعمرات يهودية صغيرة في فلسطين ، وكانت (موتسا) أول قرية يؤسسونها عام ١٨٩٤ م بالقرب من القدس مشكلين بذلك نواة الكيان الإسرائيلي الحالي .

ـ اليهودي سيجموند فرويد عالم النفس الشهير (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩ م) : انضم عام ١٨٩٥ م إلى هذه الجمعية وكان مواظبًا على حضور اجتماعاتها (انظر بحث الفرويدية) .

ـ في عام ١٩١٣ م أسسوا جمعية لمكافحة التشهير والإهانة وتشويه السمعة التي يتعرض لها اليهود في العالم .

ـ فيليب كلوزنيك Philip Kluznick كان رئيسًا لهذه الجمعية عندما عين في عهد الرئيس أيزنهاور رئيسًا للوفد الأمريكي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ـ جون فوستر دالاس : وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكي عام ١٩٥٨ م ، وهو نصراني بروتستانتي شارك في الحفل الذي أقامته الجمعية في ٨ / ٥ / ١٩٥٦ م ، حيث قال في هذه المناسبة : « إن مدنية الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للإنسانية ، ولذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدنية التي معقلها إسرائيل) .

ـ إن رؤساء الولايات المتحدة يثنون دائماً على الأعمال التي تقوم بها هذه الجمعية .

أولاً : الشعارات الظاهرية المعلنة :

ـ حب الخير للإنسانية والعمل على تحقيق الرفاهية لها .

ـ مساعدة الضعفاء والعجزة وذوي العاهات وتقديم الدعم للمستشفيات الخيرية .

ـ افتتاح بيوت الشباب في جميع أنحاء العالم .

ـ الدفاع عن حقوق الإنسان .

ـ منع الإهانة بسبب الجنس اليهودي .

ـ العطف على المضطهدين من اليهود .

- تطوير التبادل الثقافي والاهتمام بالاحتياجات الثقافية والدينية للطلاب اليهود وذلك عن طريق مؤسسة (The Hillel Foundation) .

- التوجيه في مجال التدريب المهني .

- مساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية .

- فتح حوار مع مسؤولي الحكومات حول موضوعات الحقوق المدنية والهجرة والاضطهاد .

ثانيًا : الأهداف الحقيقية :

- إنهم يهود ولا يهمهم إلا إعلاء هذا العنصر ليسود العالم .

- دعم الماسونية العالمية في خططها وبرامجها الهدامة .

- دعم الوجود الإسرائيلي في فلسطين وتشجيع اليهود ليهاجروا إليها .

- العمل على تدمير الأخلاق والحكومات الوطنية والأديان عدا اليهودية .

- التعاون مع الماسونية والصهيونية لإشعال الحروب والفتن وقد كان لهم دور بارز في الحرب العالمية الأولى .

- قاموا بشن هجوم على هتلر وحكمه حينما جاء إلى الحكم سنة ١٩٣٣ م .

- كان لهم دور خطير في التمهيد للحرب العالمية الثانية .

- التقاط الأخبار واحتلال المراكز الحساسة في الدول المختلفة ، كما أن لهم أنظمة داخلية سرية وشبكة من العملاء السريين .

- تغلغلت هذه الجمعية في صميم الحياة الأمريكية والإنجليزية وتحكمت في شؤون الاجتماع والسياسة والاقتصاد لهذين البلدين بخاصة .

- إنهم يستخدمون المال والجنس والدعاية المركزة من أجل تحقيق أهداف

اليهودية المدمرة .

ـ لقد عملوا على خطف (أدولف ايخمان) النازي الشهير في عام ١٩٦٠ من الأرجنتين إلى اسرائيل حيث أعدم هناك في ٣١ / ٥ / ١٩٦٢ م .

ـ التصدي لكل من يحاول النيل من اليهود واغتيال الأقلام التي تتعرض لهم حتى يخضع الجميع لهيبتهم .

ـ إنها جمعية لا تقدم خدماتها إلا لأبناء الجالية اليهودية ولا تعمل إلا من أجل دعم تفوقهم وسيطرتهم .

ـ في الاجتماع الذي عقد في مدينة (بال) بسويسرا ١٨٩٧ م قال رئيس الوفد الأمريكي لجمعية (بناي برث) : « ولسوف يأتي الوقت الذي يسارع فيه المسيحيون أنفسهم طالبين من اليهود أن يتسلموا زمام السلطة » .

ـ حظيت (بناي برث) بتمثيل في الأمم المتحدة وذلك من خلال عضويتها في المجلس التنسيقي للمنظمات اليهودية .

ـ يتقلد زمام المنظمة رئيس ينتخب كل (٣) سنوات من قبل المحفل الأعلى الذي يتألف من ممثلي المحافل المحلية . وهناك لجنة إدارية ومدراء يشاركون في إدارة المنظمة أيضًا .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ أنها منظمة يهودية وبالتالي فإن التلمود هو محرر عقيدتها وتفكيرها .

ـ بروتوكولات حكماء صهيون ركن أساسي في خططها وأهدافها .

ـ طموحات الماسونية الهدامة أمر مهم تعمل على تحقيقه وإنجازه .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- تأسست (بناي برث) في نيويورك وانتشرت محافلها في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا ، وصارت لها في هذه الدول مواقع نفوذ قرية .

- امتدت فروعها إلى استراليا وأفريقيا وبعض دول آسيا .

- في مصر تأسس لها محفلان أحدهما محفل ماغين دافيد رقم ٤٣٦ وقانونه مطبوع باللغة العربية ، والآخر محفل ميمونت رقم ٣٦٥ وقانونه مطبوع بالألمانية ، وقد تم حظر نشاطها في الستينات .

مراجع للتوسع :

١ ـ الماسونية ما هي حقيقتها ، أسرارها ، أهدافها	رابطة العالم الإسلامي ـ الأمانة العامة للمجلس الأعلى للمساجد ـ الدورة الثالثة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٢ ـ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية	عبد الله التل ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ـ ط ٣ ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
٣ ـ حقيقة نوادي الروتاري	من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ الكويت ـ ط ٢ ـ ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

الروتاري

ROTARY CLUB

عن كتاب الموسوعة الميسرة

التعريف :

« الروتاري » منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية ، تعرف باسم « نادي الروتاري » ROTARY CLUB ، وقد جاء هذا الاسم من « التناوب » (IN ROTATION) تلك العبارة التي صاحبت الاجتماعات الأولى لأعضاء النادي الذين كانوا يعقدونها في مكاتبهم بشكل متناوب .

التأسيس وأبرز الشخصيات

- في سنة ١٩٠٥ م أسس المحامي بول هاريس أول ناد للروتاري في مدينة شيكاغو .

- بعد ثلاث سنوات انضم إليه رجل يدعى شيرلي بري الذي وسع الحركة بسرعة هائلة ، وظل سكرتيرًا للمنظمة إلى أن استقال منها في سنة ١٩٤٢ م .

- توفي بول هاريس (المؤسس) سنة ١٩٤٧ م بعد أن امتدت الحركة إلى ٨٠ دولة ، وأصبح لها ٦٨٠٠ ناد تضم ٣٢٧٠٠٠ عضو .

- انتقلت الحركة إلى دبلن بإيرلندا سنة ١٩١١ م ثم انتشرت في بريطانيا بفضل نشاط شخص اسمه مستر مورو الذي كان يتقاضى عمولة عن كل عضو جديد .

- تأسس نادي الروتاري في مدريد سنة ١٩٢١ م ثم أغلق ولم يسمح له بمعاودة النشاط في كل اسبانيا .

ـ تأسس نادي الروتاري في فلسطين سنة ١٩٢١ م عندما كانت دولة إسرائيل حلمًا صهيونيا ، وكان هذا الفرع أسبق الفروع في المنطقة العربية .

ـ في الثلاثينات تم تأسيس فروع للروتاري في الجزائر ومراكش برعاية الاستعمار الفرنسي .

ـ يوجد في طرابلس الغرب فرع للروتاري ومن أعضاء مجلس الإدارة فيه المستر جون روبنسون والمستر فون كريج .

ـ يعقوب بارزيف رئيس نادي الروتاري في إسرائيل عام ١٩٧٤ م غادر إسرائيل في ١٤ / ٣ / ١٩٧٤ ، إلى مدينة (تاور مينا) بصقلية لحضور المؤتمر الذي ينظمه النادي الروتاري الإيطالي ، وادعى أنه سيكون مؤتمراً عربيًا ـ إسرائيليًا لاشتراك وفود عدد من الدول العربية مع وفد إسرائيلي .

ـ كان أول المتحدثين مختار عزيز ممثل النادي الروتاري التونسي ثم تكلم بعده يعقوب بارزيف اليهودي .

الأفكار والمعتقدات :

ـ عدم اعتبار « الدين » مسألة ذات قيمة لا في اختيار العضو ، ولا في العلاقة بين الأعضاء ، ولا يوجد أي اعتبار لمسألة الوطن .

ـ تلقن نوادي الروتاري أفرادها قائمة بالأديان المعترف بها لديها على قدم المساواة مرتبة حسب الأبجدي : البوذية ـ المسيحية ـ الكونفشيوسية ـ الهندوكية ـ اليهودية ـ المحمدية ... وفي آخر القائمة التأويزم « الطاوية » وهي عقيدة صينية وجدت في القرن السادس قبل الميلاد وهي تؤمن بأن تحقيق السعادة يتم بالاستجابة لمطالب الغرائز البشرية وتسهيل العلاقات الاجتماعية والسياسية بين جميع البشر .

- إسقاط اعتبار « الدين » يوفر الحماية لليهود ويسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية كافة ، وهذا يتضح من ضرورة وجود يهودي واحد أو اثنين على الأقل في كل ناد .

- عمل الخير لديهم يجب أن يتم دون انتظار أي جزاء مادي أو معنوي ، وهذا مصادم للتصور الديني الذي يربط العمل التطوعي بالجزاء المضاعف عند الله .

- لهم اجتماع أسبوعي ، وعلى العضو أن يحرز ٦٠٪ من نسبة الحضور سنويًا على الأقل .

- باب العضوية غير مفتوح لكل الناس ، ولكن على الشخص أن ينتظر دعوة النادي للانضمام إليه على حسب مبدأ الاختيار .

- التصنيف يقوم على أساس المهنة الرئيسية ، وتصنيفهم يضم (٧٧) مهنة .

- العمال محرومون من عضوية النادي ، ولا يختار إلا من يكون ذا مكانة عالية .

- يحافظون على مستوى أعمار الأعضاء ويعملون على تغذية المنظمة بدم جديد وذلك باجتلاب رجال في مقتبل العمر .

- يشترط أن يكون هناك ممثل واحد عن كل مهنة وقد تخرق هذه القاعدة بغية ضمّ عضو مرغوب فيه ، أو إقصاء عضو غير مرغوب فيه .

- يشترط أن يكون في المجلس الإداري لكل ناد شخص أو شخصان من رؤساء النادي السابقين أي من ورثة السر الروتاري المنحدر من (بول هاريس) .

ـ تشارلز ماردن الذي كان عضوًا لمدة ثلاث سنوات في أحد نوادي الروتاري قام بدراسة عن الروتاري وخرج بعدد من الحقائق :

ـ بين كل ٤٢١ عضوًا في نوادي الروتاري ينتمي منهم ١٥٩ عضوًا للماسونية مع تأكيد الولاء للماسونية قبل النادي .

ـ في بعض الحالات اقتصرت عضوية الروتاري على الماسون فقط كما حدث في أدنبره ـ بريطانيا سنة ١٩٢١ م .

ـ ورد في محافل نانس بفرنسا سنة ١٨٨١ م ما يلي : « إذا كون الماسونيون جمعية بالاشتراك مع غيرهم فعليهم ألا يدعوا أمرها بيد غيرهم ، ويجب أن يكون رجال الإدارة في مراكزها بأيد ماسونية وأن تسير بوحي من مبادئها » .

ـ نوادي الروتاري تحصل على شعبية كبيرة ويقوي نشاطها حينما تضعف الحركة الماسونية أو تخمد ، ذلك لأن الماسون ينقلون نشاطهم إليها حتى تزول تلك الضغوط فتعود إلى حالتها الأولى .

ـ تأسست الروتاري عام ١٩٠٥ م وذلك إبان فترة نشاط الماسونية في أمريكا .

ـ هناك عدد من الأندية تماثل الروتاري ذكرًا وطريقة وهي : الليونز ـ الكيواني ـ الاكستشانج ـ المائدة المستديرة ـ القلم ـ بناي برث (أبناء العهد) فهي تعمل بنفس الصورة ولنفس الغرض مع تعديل بسيط وذلك لإكثار الأساليب التي يتم بواسطتها بث الأفكار واجتلاب المؤيدين والأنصار .

ـ بين هذه النوادي زيارات متبادلة ، وفي بعض المدن يوجد مجلس لرؤساء النوادي من أجل التنسيق فيما بينها .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ التشابه كبير بين الماسونية والروتاري في مسألة (الدين والوطن) ، وفي اعتمادهم على مبدأ (الاختيار) فالعضو لا يمكنه أن يتقدم بنفسه للانتساب ولكن ينتظر حتى ترسل إليه بطاقة دعوة للعضوية .

ـ القيم والروح التي يُصْبَغُ بها الفرد واحدةٌ في الماسونية والروتاري مثل فكرة المساواة والإخاء والروح الإنسانية والتعاون العالمي ، وهذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم ، وتفتيت جميع أنواع الولاءات ، حتى يصبح الناس أفرادًا ضائعين تائهين ، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم .

ـ الروتاري وما يماثلة من النوادي تعمل في نطاق المخططات اليهودية من خلال سيطرة الماسون عليها والذين هم بدورهم مرتبطون باليهودية العالمية نظريًا وعمليًا ، ورصيد هذه المنظمات ونشاطاتها يعود على اليهود أولاً وآخرًا .

ـ تختلف الماسونية عن الرتاري في أن قيادة الماسونية ورأسها مجهولان على عكس الروتاري الذي يمكن معرفة أصوله ومؤسسيه ، ولكن لا يجوز تأسيس أي فرع للروتاري إلا بتوثيق من رئاسة المنظمة الدولية وتحت إشراف مكتب سابق .

ـ تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان وإلغاء الخلافات الدينية .

ـ أما الغرض الحقيقي فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع معلومات تساعدهم في تحقيق

أغراضهم الاقتصادية والسياسية وتساعدهم على نشر عادات معينة تعين على التفسخ الاجتماعي ويتأكد هذا إذا علمنا بأن العضوية لا تمنح إلا للشخصيات البارزة والمهمة في المجتمع .

الانتشار ومواقع النفوذ :

بدأت أندية الروتاري في أمريكا سنة ١٩٠٥ م وانتقلت بعدها إلى بريطانيا وإلى عدد من الدول الأوربية ، ومن ثم صار لها فروع في معظم دول العالم . كما أن لهذه المنظمة فرعًا في إسرائيل ولها نواد في عدد من الدول العربية كمصر والأردن وتونس والجزائر وليبيا والمغرب ولبنان وتعد بيروت مركز جمعيات الشرق الأوسط لهذه النوادي .

يهود الدونمة

عن كتاب الموسوعة الميسرة

التعريف :

هم جماعة من اليهود أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد بالمسلمين ، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي .. ولا يزالون إلى الآن يكيدون للإسلام ، لهم براعة في مجالات الاقتصاد والثقافة والإعلام لأنها هي وسائل السيطرة على المجتمعات .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

أسسها سباتاي زيفي (١٦٢٦ ـ ١٦٧٥ م) : وهو يهودي إسباني الأصل ، تركي المولد والنشأة ، وكان ذلك سنة ١٦٤٨ م حين أعلن أنه مسيح بني إسرائيل ومخلصهم الموعود .

ـ استفحل خطر سباتاي فاعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء في ادعاءاته ولما عرف أنه تقرر قتله أظهر رغبته في الإسلام .

ـ واصل دعوته الهدامة من موقعه الجديد كمسلم وكرئيس للحجاب وأمر أتباعه بأن يظهروا الإسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن .

ـ طلب من الدولة السماح له بالدعوة في صفوف اليهود فسمحت له بذلك فعمل بكل خبث واستفاد من هذه الفرصة العظيمة للنيل من الإسلام .

ـ اتضح للحكومة بعد أكثر من ١٠ سنوات أن إسلام سباتاي كان خدعة فنفته إلى ألبانيا ومات بها .

ومن أهم شخصيات هذه الطائفة بعد مؤسسها :

سارا وهي فتاة بولندية آمنت بسباتاي وتزوجت منه .

ـ ابراهام نطحان : يهودي ، وقد أصبح رسول سباتاي إلى الناس .

ـ جوزيف بيلوسوف وهو خليفة سباتاي ووالد زوجته الثانية ، كان يتحرك باسم (عبد الغفور أفندي) .

ـ مصطفى جلبي رئيس فرقة (القره قاش) وهي من ضمن ثلاث فرق تفرعت عن الدونمة .

ـ ليس لهم مؤلفات مطبوعة ومتداولة ولكن لهم نشرات سرية كثيرة يتداولونها فيما بينهم .

الأفكار والمعتقدات :

ـ يعتقدون أن (سباتاي) هو مسيح إسرائيل المخلص لليهود .

ـ يقولون إن الجسم القديم لسباتاي صعد إلى السماء فعاد بأمر الله في شكل ملاك يلبس الجلباب والعمامة ليكمل رسالته .

ـ يظهرون الإسلام ويبطنون اليهودية الماكرة الحاقدة على المسلمين .

ـ لا يصومون ولا يصلون ولا يغتسلون من الجنابة ، وقد يظهرون بعض الشعائر الإسلامية في بعض المناسبات كالأعياد مثلا إيهامًا وخداعًا .

ـ يحرمون مناكحة المسلمين ، ولا يستطيع الفرد منهم التعرف على حياة الطائفة وأفكارها إلا بعد الزواج .

ـ لهم أعياد كثيرة تزيد على العشرين منها : الاحتفال بإطفاء الأنوار وارتكاب الفواحش ، ويعتقدون أن مواليد تلك الليلة مباركون .

- لهم زي خاص بهم فالنساء ينتعلن الأحذية الصفراء والرجال يضعون قبعات صوفية بيضاء مع لفها بعمامة خضراء .

- يحرمون المبادرة بالتحية لغيرهم .

- يهاجمون حجاب المرأة ويدعون إلى السفور والتحلل والتعليم المختلط ليفسدوا على الأمة شبابها .

الجذور الفكرية والعقائدية :

- عقيدتهم يهودية صرفة وبالتالي فهم يتحلّون بالخصال الأساسية لليهود ، كالخبث والمراوغة والدهاء والكذب والجبن والغدر ، وتظاهرهم بالإسلام إنما هو وسيلة لضرب الإسلام من داخله .

- لهم علاقة وطيدة بالماسونية ، وكان كبار الدونمة من كبار الماسونيين .

- يعملون ضمن مخططات الصهيونية العالمية .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- غالبيتهم العظمى توجد الآن في تركيا .

- ما يزالون إلى الآن يملكون في تركيا وسائل السيطرة على الإعلام والاقتصاد ، ولهم مناصب حساسة جداً في الحكومة .

- كانوا وراء تكوين (جماعة الاتحاد والترقي) التي كان جل أعضائها منهم ، كما ساهموا من موقعهم هذا في علمنة تركيا المسلمة ، وسخروا كثيراً من شباب المسلمين المخدوعين لخدمة أغراضهم التدميرية .

مراجع للتوسع :

١ ـ يهود الدونمة — محمد على قطب

٢ ـ وثائق منظمات وعادات السباتاي — إبراهيم غالانتي

٣ ـ مجموعة مقالات عن الدونمة — علاء الدين غوسة

المونية

أو

حركة صن مون التوحيدية

MOONISM

عن كتاب الموسوعة الميسرة

التعريف :

المونية : حركة مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة بهدف إلغاء الفوارق الدينية بين الناس لينصهروا جميعًا في بوتقة (صن مون) الكوري الذي ظهر بنبوة جديدة في هذا العصر الحديث .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ مؤسس هذه النحلة هو القس الثري صن مون المولود في كوريا عام ١٩٢٠ م الذي أدعى بأنه على اتصال بالمسيح عليه السلام منذ عام ١٩٣٦ م وأنه في السادسة والعشرين من عمره بدأ يدرس حياة الأنبياء والقادة الروحيين من مثل موسى وعيسى ومحمد ﷺ ومن مثل بوذا وكرشنا ، ويطلع على تعاليم الأديان السماوية والوضعية كاليهودية والنصرانية والإسلام وكذلك البوذية والهندوسية .

ـ في عام ١٩٧٣ م انتقل إلى الولايات المتحدة وعقد صلات عدة مع كبار الشخصيات هناك .

ـ ألقى القبض عليه وأودع السجن الفيدرالي بكنكتيكت لمدة سنة ونصف السنة بسبب تهربه من دفع الضرائب ، وقد استطاع أتباعه تصوير سجنه على أنه اضطهاد في سبيل المعتقد الديني الذي يحمله .

- يحتل حاليًا منصب الرئيس للمجلس العالمي للأديان .

- زار المانيا ، لكن سلطات بون أعلنت عن أنه شخص غير مرغوب فيه .

- يحاول أن يكون قريبًا من الأحداث المهمة إذ كان له ولطائفته دور مهم في الوقوف إلى جانب الرئيس ريتشارد نيكسون في فضيحة ووترجيت ، كما أنهم نشيطون في حماية برنامج الرئيس ريغان وسياسته في أمريكا الوسطى .

- شانج هوان كواك : يشغل منصب مساعد رئيس المجلس العالمي للأديان ، وهو أكبر معاوني مون ، وقد أعلن في بيانه الذي ألقاه في المؤتمر المنعقد بتركيا سنة ١٩٨٥ م عن نبوة مون وأنه يتلقى الوحي ((Revelation) عن السماء .

- اليهودي فرانك كوفمان : يقيم في نيويورك ، ويتبع مون ، ويعمل في مؤسسته ، وقد ناشد علماء المسلمين في مؤتمر تركيا (أن يتفهموا موقف الأديان الأخرى مثل اليهودية والبوذية والهندوكية) ؟؟

- دكتور يوسف كلارك : قس كاثوليكي من مساعدي مون ، وهو عضو مجلس إدارة المجلس العلمي للأديان ، كان ممثل المجلس في مؤتمر تركيا .

- كوزا : رئيس مكتب مون في هندوراس ويعمل بهمة على نشر الحركة في أمريكا اللاتينية .

- موسى دست : رئيس كنيسة مون بالولايات المتحدة الأمريكية .

الأفكار والمعتقدات :

- يزعم أنه على اتصال بالمسيح وأنه يتلقى عن السماء مدعيًا نبوة جديدة .

- شعاره وهدفه المعلن هو السعي من أجل توحيد الأديان على اختلاف أنواعها .

ـ يقول للنصارى بأن الإله قد رمى بالمسيحية جانبًا وأبدلها برسالة جديدة هي رسالة توحيد الأديان الداعي إليها .

ـ من القانون الأساسي لحركة مون : (إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إله واحد بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية والوطنية والقومية والاجتماعية) .

ـ يقولون في كتابهم (المبدأ المقدس) : « إن رسالة آدم الأساسية أن يخلق الأسرة الكاملة في الأرض ، وهذه المهمة لم تتحقق نتيجة لعمل الشيطان الذي كان نشيطًا في مهمته منذ بداية الخلق ، **وعيسى قد خلق آدم ،** وفشل في أمر الزواج ، وترك مبدأ تكوين الأسرة الكاملة وفشله ليس كاملاً فقد أحيا الجانب الروحي للإنسان ، وقد ظل جسد الإنسان مستعبدًا للشيطان ، وهذا أيضًا يجب تجديده ، وهذا يستلزم آدمًا ثالثًا بالاتحاد مع زوجة مثالية يمكن تحقيق هذا الهدف لإنجاب الإنسان الكامل » .

ـ إنهم يقومون بدراسة رسومات بيانية يزعمون أنها « تبين أن التاريخ والأحداث متكررة ومقدرة سلفًا ونسبة لهذه الجداول البيانية هناك أمثلة متكررة من البشر قد اختيروا ليصيروا آباء كاملين لكن الشيطان قد اعترض سبيلهم فلم تنجح تجارهم ، هذه الأسر المثالية كان وجودها على مر التاريخ الإنساني في فترات متقطعة على مدى أربعمائة عام سلفت » .

ـ يتم اقتناص الشخص ليصبح عضوًا في حركتهم عن طريق دعوته أولاً إلى وجبة طعام ثم دعوة للاشتراك في رحلة نهاية الأسبوع .

ـ يمنع الأفراد الجدد من التحدث بعضهم لبعض وعليهم الانتظار حتى اللقاء الآخر في نهاية الأسبوع .

ـ يمضي المدعو عدة أسابيع مع معلمه ، وقد يجعلونه بعد ذلك في مسكن

واحد مع أعضاء جدد آخرين ليلقنوهم جميعًا العقيدة الجديدة مع التركيز على تقديس وتمجيد شخصية مون والتأكيد على ضرورة التنكر لعقيدة أهاليهم ومجتمعاتهم .

ـ يقول مون في كتابه التوجيهي (أقوال الأب الروحي) : « إن عملية البعد عن العائلة والأصدقاء لا يتم بالصدفة إذ لابد أن تترس على حياتك الجديدة ومن بعدها يمكنك أن تتنكر لعائلتك وأصدقائك وجيرانك » .

ـ إذا ما حاول العضو الفرار منهم فسيكون ذلك صعبًا لعدة أمور :

١ ـ لأنه يكون قد انفصل عن عائلته فلا يستطيع العودة إليها بعد أن ناصبها العداء بسبب معتقده الجديد الذي يخالف معتقدها .

٢ ـ لأنه يكون قد غُسِلَ دماغُه وصار أداة طيعة في أيديهم يحركونه كيفما يريدون بعد أن سيطروا عليه روحيًا وخدعوه بالوعود السماوية الكاذبة .

٣ ـ لأن أفراد عصابة مون سيتابعونه ويطاردونه حتى يعود إلى حظيرتهم من جديد .

ـ إذا ما استسلم العضو الجديد لهم فإنهم يسخرونه لبيع الورود والشموع ليكون مصيدة لجذب الأعضاء الجدد فضلاً عن الإيراد المالي الذي يحققه لميزانية الحركة .

ـ نظم مون عملية زواج جماعية في ميدان ماديسون جاردن بنيويورك قام خلالها بتزويج ٢٠٧٥ شاباً وفتاة على الرغم من أن المجلس القومي الكنسي في أمريكا كان قد أصدر بيانًا يعلن فيه عدم الاعتراف بكنيسة مون .

ـ يؤكد مون محاربته للشيوعية ويركز هجومه عليها كما أنه يرسل البعثات لمناهضتها في أماكن عديدة من العالم .

ـ لقد عقد مون عددًا من المؤتمرات سعيًا وراء تحقيق أهدافه ، ومنها :

١ ـ مؤتمر توحيد اليهود في سويسرا .

٢ ـ موتمر اتحاد العالم المسيحي في ايطاليا .

٣ ـ مؤتمر البوذيين في اليابان .

٤ ـ مؤتمر الهندوكية في سيريلانكا .

٥ ـ مؤتمر اتحاد العالم الإسلامي : الذي تم عقده في تركيا قرب اسطنبول وذلك في الفترة من ١٩ ـ ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥ م ، وقد تعاونت معهم كلية الإلهيات بجامعة مرمرة بهدف إنجاح المؤتمر . وكان من المدعوين عدد من الشخصيات الإسلامية .

٦ ـ لديهم خطة لعقد مؤتمرات أخرى من سنة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣ م .

ـ كان اتباع مون المشاركون في المؤتمر بتركيا يصورون الخلافات بين الأديان على أنها لا تعدو أن تكون شبيهة بتلك الخلافات الفقهية الموجودة بين المذاهب الإسلامية ذاتها ، وهذا محض افتراء إذ إن الخلاف بين الأديان خلاف عقائدي قبل كل شيء فيا الخلاف بين المذاهب الفقهية ليس أكثر من خلاف سطحي اجتهادي في الفروع دون الأصول .

ـ قال اليهودي كوفمان في الجلسة الختامية لهذا المؤتمر : « الأمر يحتاج إلى أن نبذل المزيد من الجهد حتى نفهم بعضنا ، فإننا قد ننتسب إلى شيء واحد وعقيدة واحدة ، ورغم ذلك تختلف ، ومن أجل أن نلتقي لابد لنا من أن نتفهم غيرنا من خلال نظرته » ؟؟

ـ تذكر جريدة (المسلمون) في عددها (٣٦) أن المجلس العالمي للأديان الذي يترأسه صن مون إنما يعمل تحت رقابة المؤسسة العالمية المتحدة للأديان

(IRF) وهي واحدة من الوكالات الدينية الإنسانية التابعة للكنيسة الموحدة التي هي إحدى الحركات الدينية الجديدة التي أسسها صن مون في كوريا .

ـ وتذكر الجريدة بأن أهداف المجلس العالمي للأديان حسبما توردِه مذكرة المجلس ذاته هي :

١ ـ المناداة بوحدة الإنسانية .

٢ ـ منح الاحترام الواجب للتراث الإنساني المختلف .

٣ ـ دعوة الناس من كل الأديان إلى نوع من الوحدة الروحانية واحترام خصوصيات كل دين .

٤ ـ تشجيع الفهم المتبادل والتعاون بين ومع المعتقدات الدينية في العالم .

٥ ـ معاونة هؤلاء المتطلعين إلى إيجاد تناسق وانسجام بين الأديان والمساعدة في التعاون بين المنظمات الدينية .

٦ ـ توسيع استخدام وجهات النظر الدينية في حل المشكلات الإنسانية العامة .

٧ ـ الدفاع عن حقوق الإنسان بما في ذلك حق حرية المعتقدات الدينية وممارستها .

٨ ـ التأييد العلمي للطموحات الفردية الخاصة بالمعتقدات الدينية عن طريق وضع برامج من شأنها تخفيف المعاناة وتحسين حال البشرية .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ إن اليهود ـ باعتبارهم أقلية مفسدة ـ يسعون دائمًا لبث دعاوى إذابة الفروق بين العقائد مما يمهد الطريق لهم ليتغلغلوا في شعوب الأرض ويكونوا هم المستفيدين في النهاية على حساب الأديان الأخرى جميعًا .

ـ إن هذه الحركة تدور في فلك الحركات المسخرة لخدمة الصهيونية العالمية. إذ إن التشابه بين هذه الحركات يدل على أنها ذات أصل واحد وتعمل لهدف مشترك واحد .

ـ إن الثراء الفاحش الذي يتحرك فوقه صن مون ليشير إلى الجهة التي تموله وتقف وراءه لتستفيد من عمله ودعوته في تفتيت الأديان وتحطيم الأخلاق .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ تتمتع هذه الحركة بوجود ضخم في جنوب ووسط أمريكا إذ إن لهم علاقات قوية مع كبار السياسيين في تشيلي وأرجواي والأرجنتين وهندوراس وبولفيا .

ـ في إيرلندا لهم مركز وكنيسة اسمها الكنيسة التوحيدية ، ومعلوم بأن لإيرلندا دورًا كبيرًا في دعم أمثال هذه الحركات .

ـ لهم استثمارات في جنوب كوريا ، وقد سمحت لهم حكومة سيؤل بإقامة كنيسة لهم خارج العاصمة . إنهم متغلغلون في الجناح الأيمن للحزب الجمهوري الأمريكي يملك زعيمهم عدة شركات في العالم ومطاعم ومحل مجوهرات وشركة نشر باراعون هوس وجريدة واشنطون تايمز وفندق نيويوركر في مانهاتن .

الدين والعلمانية

١ ـ لا أدر ما سر هذا الغزل الجديد الذي توجه به العلمانيون نحو الإسلام، هل لأنهم فعلاً محبون للإسلام مقتنعون به ملتزمون بتعاليمه. أم مجرد تغيير لخطة المواجهة التي باعدت بينهم وبين الشعب المسلم فأرادوا أن يقيموا جسوراً جديدة بينهم وبين الإسلام علهم يستدرجوا الإسلاميين إلى العلمانية كما فعل كبيرهم كمال أتاتورك حين تظاهر بالإسلام حتى إذا تمكن تعاون مع يهود الدولة على القضاء على دولة الخلافة وكل ما له صلة بالإسلام. ترى هل يلدغ المسلمون جحرهم مرتين؟ اللهم لا.

٢ ـ إذا كانت العلمانية ليست ضد الدين كما يدعون فلم لم يناد العلمانيون بالإسلام وهم أبناء الإسلام ولم يخجلون من الانتساب إليه ويقفون في صف العلمانية عدوة الأديان ألم يسمعوا قوله تعالى: ﴿ **ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كثر سواد قوم فهو منهم» وقوله «المرء مع من أحب» نحن نقولها صراحة وبكل فخر نحن مع الإسلام نرفع رؤوسنا به ونعتز بالانتساب إليه ونسعد بالموت في سبيله فديننا دين العلم والمنطق. دين المثل الإنسانية الرفيعة والخلق الفاضل والتشريع العادل شد كبار العلماء المعاصرين الأوروبيين إليه أفلا يجدر بالمثقفين من أبنائه أن يحملوا لواءه إلى الإنسانية كافة حتى لا تكون فتنة ويكن الدين كله لله؟

٣ ـ تعريف العلمانية معبر عن حقيقتها: يقول الدكتور محمد محمد حسنين في كتابه اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر ذهب رعاة العلمانية إلى القول بأن العلمانية دعوة إلى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس ونبذ كل ما لا تؤيده

التجربة والتحرر من العقائد الغيبية التي هي عندهم ضرب من الأوهام ومن العواطف بكل ضروبها وطنية كانت أم دينية. فالعلمانية تعتمد المذهب التجريبي أما الإسلام فيعتمد المذهب التجريبي العلمي والمذهب الروحاني ليكون منهما منهجاً متكاملاً. ورد في دائرة المعارف البريطانية العلمانية، هي حركة أو اتجاه يدعو الناس إلى الاهتمام بشئون الدنيا وحدها دون الآخرة. أما تعريفها في القاموس الدولي الجديد: فهي عبارة عن مجموعة من التطبيقات ترفض الإيمان بأي شكل من الأشكال كما ترفض العبادة. ويعجبني في هذا المجال اقتراع أحدهم بتسمية العلمانية، بالدنيوية لأنها تسمية معبرة.

٤ ـ ومما يوضح موقف العلمانية من الدين موقف دعاتها من الإسلام وهجمتهم الشرسة عليه، ونفث سمومهم في الكتب والصحف والمجلات ضده يقول علماء النفس فلتات اللسان تدل على ما يكنه القلب. فإذا ما سمعوا اسم الإسلام اغتاظت نفوسهم لسماعه وإذا ما نادى مسلم بالدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية استلوا سيوفهم الخشبية ـ (والحمد لله أنها كانت خشبية وإلا لفتكوا بالمسلمين كما قتلت بهم الشيوعيون مبتدعو العلمانية) ـ يطعنون بها تاريخ الإسلام ورجالات الإسلام وصحابة رسول الإسلام وشريعة الإسلام. ومع ذلك يدعون أنهم ليسوا ضد الإسلام ولنستمع إلى مطاعنهم وافتراءاتهم التي نشرها الأستاذ فهمي هويدي في جريدتي الإهرام والخليج.

ـ د. **فؤاد زكريا**: من أهم عناصر الحل إزالة حاجز الخوف الذي لا يجعلنا نفصح بوضوح عن مواقفنا بكاملها تجاه هذا التيار المتطرف. إن أحدنا يخشى استعمال كلمة علمانية وهي ليست مخيفة. يجب أن نكتب بوضوح مثلاً مسألة صلاح الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان أي نقول إنه ليس هناك في أمور البشر ما يسمى قاعدة من هذا النوع.

ـ **لطفي الخولي**: مناقشاتنا وصلت إلى نوع من الالتقاء على حل إيجابي هجومي يمكن أن نصوغه في أنه لا بد من أن تقام جبهة فكرية سياسية في العمل السياسي تتبنى مشروع التقدم والنهضة.

ـ د. **طاهر عبد الحكيم**: أن يكون لنا موقف هجومي ومعناه أن يكون لنا

المشروع البديل لمصر الغد وللمنطقة العربية.

ـ د. **محمد نور فرحات**: أحد المرتكزات الرئيسية للتأثير على الأغلبية الصامتة (الجماهير) هو ضرب هذه المرتكزات الأساسية التي تنطلق منها هذه الاتجاهات الدينية وأهم هذه المرتكزات هي قولهم إن هنالك نصوصاً ثابتة صالحة للتطبيق في كل مكان وزمان فإذا ألقينا الضوء على هذه النصوص وبيَّنا أنها متغيرة تتغير باختلاف الزمان والمكان. سنكون قد خطونا خطوة كبيرة ثم يورد الأستاذ هويدي آراء أعمدة العلمانية التسع دون أن ينسب هذه الأقوال لأصحابها ورجاؤنا إليه أن يكشف عن أسمائهم وينسب كل فكرة لصاحبها لتسجل في سجل التاريخ لعل الله يبعث مؤرخاً جديداً يحقق في خلفية هؤلاء كما حقق المؤرخ الكبير ابن عربي في خلفية دعاة الفتنة الكبرى وإليكم بعض هذه الآراء معلقاً عليه بكلمات وإن اللبيب من الإشارة يفهم.

١ ـ إن تنامي الشعور الديني (لا التعصب والتطرف) لا يحدث إلا في غيبة العقل والرشد وفي عصور الانحطاط ـ يكذب هذا الزعم إقبال المتعلمين والمتنورين على الإسلام في الشرق والغرب.

٢ ـ إننا إذا انتبهنا إلى تنامي التيار الديني وإلى دور المؤسسات الاقتصادية المالية في تمويل الحركة الدينية الإسلامية وفي الزعم بأن هناك اقتصاداً إسلامياً لأدركنا حجم المؤامرة النى تحاول إفساد الحياة المصرية وقهر المجتمع المصري. ما ذنبنا إذا كان الكاتب يجهل أن هنالك اقتصاد إسلامي.

٣ ـ إن الحركات الإسلامية لا تمثل هيوتنا الحضارية بل إن هذه اللعبة التي تساهم فيها قوى خارجية هي عملية تهدف إلى إضاعة هويتنا الحضارية. ـ إذا ألغينا حضارتنا الإسلامية لم يبق لنا حضارة.

٤ ـ حد الزنا بالعصا الرفيعة على من بلغ سبع سنوات. ـ إنه يهرف بما لا يعرف، فالجهاز التناسلي لا ينضج إلا بعد الثانية عشر.

٥ ـ هل يقبل الإسلاميون وضع نص في قانون العقوبات مقتضاه إذا نطق المتهم بأبيات شعر حازت إعجاب القاضي فإنه يوقف تنفيذ العقوبة. قبلتموه أنتم في

محكمة المهداوي الماركسي العلماني.

٦ ـ إذا وقفنا عند ظاهر النصوص فلربما خصصنا فرقة من السيافين تقف أمام مؤسسات السيرك القومي لتضرب رؤوس مروضي الوحوش والحواة والراقصين على ألسنة اللهب استناداً إلى قول منسوب إلى النبي يقضي بأن حد الساحر ضربه بالسيف. ـ اطمئن فلن يضرب أحد رأسك وإن كان رأسك لا يفرق بين ألعاب الخفة والرشاقة وبين السحر والشعوذة والاحتيال الذي يرفضه الإسلام والعلم.

٧ ـ أما رموز التاريخ الإسلامي فلهم نصيبهم من النقد والتجريح: فعثمان بن عفان هو الصحابي الرأسمالي المجرح في ذمته. وسعد بن أبي وقاص لم يكن يقيم الصلاة وعمر بن عبد العزيز جاهل بالإدارة وابن تيمية شيخ الإسلام لا عقلاني وساذج وعدو للفكر الناضج والغزالي حجة الإسلام سبب تأخر العالم العربي.

ـ أما عثمان فلأنه وزع تجارته كلها على فقراء المسلمين عام العسرة. وأما سعد فلأنه مبشر بالجنة وعمر بن عبد العزيز لأنه اعتبر عهده متمماً لعهد الراشدين ولأنه رد الملك للشعب ليختاره بحرية وابن تيمية لأنه حارب البدعة والغزالي لأنه رد على الزنادقة، أعرفتم سر الهجوم عليهم.

٨ ـ الكثير من أحكام القرآن والسنة كان القصد منه علاج شرور المجتمع الجاهلي في الجزيرة العربية أي لا علاقة لها بالعصر الذي نعيشه. ـ هل ألغيتم الزكاة والشورى والمساواة والعدالة لأنها لم تعد تصلح لعصركم.

٩ ـ كان الخلفاء الراشدون يرون من حقهم سن تشريعات جديدة بصدد أمور مستجدة لم يرد بها نص بل وتغيير أحكام أوردها القرآن والسنة. ـ والآن يحق لأي حاكم مسلم أن يؤلف لجنة من رجال القانون والشريعة لتضع له قوانين لمستجدات الأمور فما الغرابة في ذلك أما تغييرهم أحكام أوردها القرآن والسنة فلم يحدث فإن كانوا يقصدون إيقاف سيدنا عمر لحد السرقة عام المجاعة فذلك لعدم توافر أركان الجريمة فالذي سرق كان بدافع الحاجة ولو كان بدافع الإجرام لما تردد في إقامة الحد عليه لذلك هدد سيده بإقامة الحد

عليه إن اضطر خادمه للسرقة وهذا هو العدل بعينه.

١٠ ـ اختلفت أحكام الشريعة من قطر لقطر حتى بات ثمة مبرر للحديث عن إسلام عراقي وآخر حجازي وثالث شامي هذا يخلط بين اختلاف وجهة نظر الفقهاء في الفرعيات وبين أحكام الشريعة أو يتعمد الخلط ليظهر تناقضاً في أحكام الشريعة ولكن المتخصصين من غير المسلمين يعتبرون ذلك ثروة فقهية تدعو إلى الإعجاب فشتان بين منصف وحاقد.

١١ ـ لا غرو أن يسود المجتمع الإسلامي جو من النفاق من الصعب أن نجد له مثيلاً في أي مجتمع آخر.

ـ الظاهر أن صاحبنا يعيش في المريخ لذلك عمي أو تعامى عن مشاهدة شيوع ظاهرة النفاق في عصرنا الحاضر لأن هذه الظاهرة تكثر كلما ضعف الوازع الديني لذلك كان المنافقون قلائل في الصدر الأول من الإسلام ومعروفون بين المسلمين يشار إليهم بالبنان خلافاً لما يدعي العلمانيون كان المنافقون يتضايقون من تطبيق الإسلام مع تظاهرهم بالصلاة والصوم وبالولاء للإسلام ومع ذلك قال الله تعالى فيهم: ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون، الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** ﴾.

أخي المسلم هل المنافقون الذين يتضايقون من تطبيق شرع الله، سراً أخطر أم العلمانيون الذين يتضايقون من المناداة بتطبيق الشريعة ويزيدون عنهم بالهجوم على الإسلام والطعن فيه والافتراء عليه كما سمعت من أقوالهم وهذا ما يؤكد عدم صدقهم في ادعائهم إن العلمانية ليست ضد الإسلام لأن الحقيقة أن العلمانية تغاير الإسلام تماماً لأنها تقوم على المظاهر المادية التي اخترعها كوميت وماركس اليهودي وكذلك بعد أن أسفروا عن وجوههم الحاقدة على الإسلام والمسلمين.

١٢ ـ بعد أن سحب الإسلاميون البساط من تحت أقدام العلمانيين وبعد أن فشل

مخططهم الذي حاولوا تحقيقه من المناظرة. راح الدكتور فؤاد يكتب الدروس التي استفادها من هذا اللقاء بأعصاب متشنجة فينقد حضور الجمهور المبكر. ويتفنن بانتقاد حركة وجه الدكتور القرضاوي ونبرات صوته وانفعالاته مما أثار ضحك القارىء العادي لإسفافه في هذا النقد. ثم استعدى السلطة على الإسلاميين لأنهم بنظره تجاوزوا الخط الأخضر مع أنه تجاوز الخط الأخضر والخط الأحمر ثم راح يوجه نصيحته للشباب المسلم بأن يتخلوا عن الإسلام لأنه على حد تعبيره لن ينقذ أحداً بل سيزيد المشاكل تفاقماً.

ونحن نقول للدكتور النصوح وفر نصيحتك لنفسك وارجع إلى الله وتشرف بحمل لواء دعوة الإسلام وتزود ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فها نحن قد محضناك النصح إشفاقاً على شيخوختك، وقابلنا نصحك بنصح أصدق وأرحم. وإن أبيت إلا العناد والمكابرة فإنه ليسرنا أن نقرع طبلة أذنيك قائلين بأننا جربنا مبادئكم الدخيلة فمزقنا شر ممزق ورفعنا رايتكم فنكس رؤوسنا عار هزائمكم فكيف نقدم على تجربتكم والاستماع إلى نصائحكم.

أما جوابنا على سؤالكم أي إسلام تمثله هذه الألوف المؤلفة فنقول لكم وبكل فخر: إنه إسلام الإيمان والخلق الكريم إسلام العلم والعمل إسلام النضال الصلب ضد الاستعمار وقد دللنا عليه في حرب فلسطين ومقاومة الانكليز في قناة السويس وهو إسلام التراث المستنير الذي نهلت من فيضه أوربا والعالم أجمع وهو إسلام الأصالة وتجاوز التغريب ورفض العقائد الدخيلة وقبول الحكمة من أي مصدر كان و إسلام التصدي للغزو الفكري بأساليبه المختلفة ومن تضايق من هذا الإسلام فليمت بغيظه وليعلم أن العاقبة للمتقين وأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والحمد لله على نعمة الإسلام وإنا لله وإنا إليه راجعون.

التنظيمات المشبوهة والعميلة غير الإسلامية

١ ـ الماسونية .

٢ ـ الصهيونية .

٣ ـ البهائية .

٤ ـ القاديانية .

الماسونية

مـأخوذة من كلمـة فرمـاسـون وهي مركبـة من كلمتي فرانـك ومعنـاهـا : الصريح . وماسون ومعناها : البناء . أي البناء الصريح أو البنـاء الحر . وهي من أقدم الجمعيات السرية في العالم ، والتي ما تزال قائمة إلى عصرنا هذا ـ.

نشأة الماسونية : ومهما قيل في منشئها فهي لا شـك مشتقـة من نظريـات متعـددة ومصـادر مختلفـة . غير أن المصـدر الـذي لاشـك فيـه هـو الكـابـالا اليهوديـة ، التي تستنـد إلى آيـات التوراة المحرفـة ، بـدليل أن النظم والتعـاليم اليهـوديـة هي التي اتخـذت أسـاسـاً لإنشـاء المحفـل المـاسـوني الأكبر عـام ١٧١٧ ميلادية . والتي جعلت حيرام مثلها الأعلى تعظيماً له ، كما سمته عريف البنائين في هيكل سليمـان بـالقـدس . وحيرام هـذا غير حيرام بـاني هيكل سليمـان ، كما أخذت ببعض التعاليم المصرية القديمة ، وبنظرية فيثاغورس .

ورد في النظـام المـاسـوني الفرنسي العـام ١٨٨٤ مـا يلي : إن عقـائـدنـا وإشاراتنا ودرجاتنا هي مصرية فرعونيـة ، ولكنهـا انتقلت إلينـا بواسطـة بني إسرائيل .

وهنـاك من يقول : إن المـاسونيـة تـأسست عـام ٣٧ ميلاديـة بـاسم القوة الخفية . أسسها الملك هيرادوس أكريبـا ، وحيرام أبيود مبتكر الفكرة ، وتبعهم الكثير من زعماء اليهود آنذاك ، وذلك للمحافظة على هيكل سليمـان ، بعـد أن أنذرهم السيد المسيح بهـدمـه وللوقوف في وجـه النصرانيـة التي بـدأت تنتشر في صفـوف اليهـود ، وسمـوا محفلهم الأول محفـل أورشليم ، أمـا حيرام فقـد لقبـه هيرادوس بابن الأرملة وبهذا اللقب عرف الماسونيون بأبناء الأرملـة ، ويقولون بأن سليمان اجتمع مع الملك هيرادوس لتهويد الطريقة .

انتشار الماسونية : لقد ظهرت الماسونية بشكلها المعروف عام ١٧١٧ في مدينة أيكوسيا باسكتلندا ، لذا فإن الماسون يحتفلون بهذه الذكرى كل عام بتاريخ ٢٤ يونيو ، وذرا للرماد في العيون يزعمون أنهم يحتفلون بعيد القديس مارتوما الذي يصادف في نفس التاريخ .

ثم انتقلت الماسونية إلى فرنسا عام ١٧٣٢ ، وإلى أمريكا عام ١٧٣٣ ، وإلى روسيا عام ١٧٧١ ، وإلى مصر عام ١٨٠٢ مع حملة نابليون ، ومن مصر انتقلت إلى البلاد العربية الإسلامية .

أما في ألمانيا فقد تأسست الماسونية عام ١٧٧٦ ، ثم انتشرت في أقطار أوربا الشرقية والوسطى ، وعرفت الماسونية الألمانية باسم الماسونية النورانية ، والماسونية الإنكليزية باسم الماسونية الحرة ، وسرعان ما التقتا في مؤتمر سويسرا وفرنسا بعد أن هوجمت الماسونية النورانية في ألمانيا . ثم عقد اجتماع عام ١٨٦٩ في براغ على قبر الحاخام ريشورن ، ومما ورد في خطابه : لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهود أمر الاجتماع مرة على الأقل في كل قرن حول قبر حبرنا الأعظم سيمون يهوداً وها قد مضى ثمانية عشر قرناً على حرب يهوذا من أجل تلك السيطرة التي وعد بها أبونا أيرام ، والتي اغتصبها الصليب منا وداسها بالأقدام . ويستفيد البعض من قول ريشورن هذا أن نشأة الماسونية تعود إلى عهد المسيح ، وبداية انتشار النصرانية في عهده .

الأهداف القريبة للماسونية : هي السيطرة على العالم .

في الاحتفال الذي أقيم في ذكرى الثورة الفرنسية عام ١٧٧٩ خطب فرانكلن في أحد المؤتمرات ومما قاله : إن هدف الماسونية هو تكوين حكومة لا تعرف الله . كما ورد في أحد تصريحاتهم : الماسونية هي سيدة الأحزاب السياسية لا خادمتها .

ورد في البيان الماسوني عام ١٧٤٤ ما يلي : (من أسرار اتحادنا هو تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية خفية . كما ورد في نشرة المشرق الأعظم الفرنسي ١٨٩٠ ص ٥٠٠ ما يلي : بعد عشر سنوات سوف تجعل الماسونية سير الأمور حسب مشيئتها دون أن تلاقي في طريقها مقاومة من أحد ، فالماسونية تخطط لتجعل من قادة الشعوب ورؤسائها عملاء يتبنون أهداف اليهود بطريق مباشر أو غير مباشر ، فيفجرون الثورات ، ويحطمون الأخلاق والمقدسات ؛ ليقيموا على أنقاضها مملكة يهوذا تتحكم في العالم وتسيطر عليه .

أهداف الماسونية البعيدة : تحطيم الأديان والقوميات والتقاليد والأخلاق والفضيلة . حتى لا تجد مقاومة في طريق تحقيق أهدافها ، وحتى تتمكن من توجيه عناصرها ، والمتجردين من هذه القيم في الطرق الملتوية ، والأساليب الدنيئة التي تمكنهم من خدمه الماسونية اليهودية ، سيراً على مبدأ مكيا فللي الغاية تبرر الوسيلة ، ورد في مجلة أكاسيا الماسونية الإيطالية سنة ١٩٠٤ ص ٢٥٦ ما يلي : (إن الغاية من وجود الماسونية هي النضال ضد الجمعيات المستبدة المنتمية إلى الماضي . ولأجل هذه الغاية يقاتل الماسونيون في الصفوف الأولى ؛ لأنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والقوميات والتقاليد) . وورد في مجلة أكاسيا الماسونية ص ٨٦١ لعام ١٩٠٣ ما يلي : إن الموظفين الذين يخدمون الدولة بإخلاص هم أعداء الماسونية ؛ لأن حاكمية الدولة هي أشد استبداداً من الدين) .

ورد عن أميبابل سنة ١٨٨٩ ما يلي : (إن غاية الماسونية كما أوضحتها قبل نصف قرن هي تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية وهي بذلك تتخذ الوصولية والنفعية أساساً للاتحاد الماسوني) .

الماسونية واليهودية والصهيونية : ورد في كتاب تاريخ الماسونية الحرة ص ٨ ما يلي : إن الماسونيين يتخذون من خطة تمكين اليهود من الاستيلاء

على العالم أساساً لأعمالهم ، ولقد عبر عن هذه الحقيقة هولت زنكر رئيس محاكم فينا بأسلوبه الساخر قائلاً : (إن بين الماسونيين المائة في فينا مائة واثنان من اليهود) دلالة على كثرتهم . إن غاية الماسونية قد انبثقت من اليهودية ، وإن أكثر عادات الماسونيين مقتبسة من معبد سليمان ، كما أن أكثر الشارات والرموز عبرانية وأن شعارهم هو نجمة داود المسدسة ، ويعتبر الماسونيون واليهود أنفسهم الأبناء الروحيين لبناء هيكل سليمان ، وأن الماسونية التي تحارب الأديان الأخرى تفتح صدرها لإعلاء اليهودية ونصرتها . والتوجيه الماسوني الذي يقطع صلة الغشيم بقرابته ودينه ووطنه مأخوذ من الفصل الرابع والعشرين من سفر حزقيال ، وروح الانتقام مأخوذة من الفصل الثالث والعشرين من هذا السفر ، واستعداد الدول لإبادة الشعوب وخاصة شعب فلسطين مأخوذ من الفصل الخامس والعشرين منه ، والحقد على كل من ليس يهودياً فهو في الفصلين السابع والثلاثين والثامن والثلاثين ، وأما الفصل التاسع والثلاثين من سفر حزقيال فهو الماسونية بعينها ؛ إذ ينص على أن الأرض مملكة لليهود وحدهم ، وهذا الفصل هو مرجع بروتوكولات حكماء صهيون ، ومصدر الغرور والحقد في نفسية اليهود ، ومما ورد في بروتوكولات حكماء صهيون : وإلى أن يأتي اليوم الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم .

أهم الجمعيات اليهودية العالمية التي أخذت عنها الماسونية :

أ ـ الكابالا : وتعني بالعربية : التقاليد وهي نوع من الفلسفة والتعاليم الروحية والسحر والشعوذة ، متعارف عليها عند اليهود ، وأشهر الحركات التي استقت تعاليمها من الكابالا حركة الزاركيم التي تزعم أن اليهود تتوفر فيهم صفات معينة ، تؤهلهم لاستخدام الاسم الأعظم في جميع أغراضهم ، وحركة شاتباي تسيفي الذي ادعى أنه المسيح المنتظر .

ب ـ الاتحاد اليهودي العام : أسسه اليهودي الباريسي جريمكس . دستور الاتحاد وشعاره إن أبناء إسرائيل يتولى بعضهم بعضاً . ويضم معظم الطبقات اليهودية الراقية ، وله نشاط ملموس في فرنسا وانكلترا ورومانيا والبلقان وتركيا والجزائر وإيران .

جـ ـ بني بريث : تأسست عام ١٨٤٢ من قبل يهود أوربا الشرقية المهاجرين إلى أمريكا ، هدفها العمل على إعلاء شأن يهود في العالم ، والحفاظ على خصائصهم العرفية والثقافية . أسست محافل في باريس وبرلين عام ١٩٠٣ ويعتبرون رؤساء الجمعيات اليهودية أعضاء طبيعيين في بني بريث رئيسها اليهودي الانكليزي سيمون .

الماسونية والأديان الأخرى : عام ١٨٦٥ وفي مؤتمر الطلاب في لييج أعلن الماسوني المشهور لافارج (يجب أن يتغلب الإنسان على الله وأن يعلن الحرب عليه وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق) .

ورد في المحفل الماسوني الأكبر ١٩٢٢ ص ١٩٨ ما يلي : سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من قوة وطاقة ، وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو الدين ، وهكذا سوف ننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها . وفي مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني سنة ١٩١١ ما يلي : يجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألوا جهداً في القضاء على مظاهرها . لما انتخب ليمي رئيساً للماسونية الأعلى سنة ١٨٩٣ خلفاً لألبرت بويك علق سورة المسيح عليه السلام بالمقلوب وكتب تحتها : قبل أن تغادر هذا المكان ابصقوا في وجه هذا الإبليس الخائن (عن الشرق الماسوني الأعظم) .

ومن مضابط المؤتمر الماسوني العالمي سنة ١٩٠٠ ص ١٠٢ ما يلي : إننا لا

نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم إنما نحن غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود ، ورد في مجلة أكاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ ص ٨٦٠ ما يلي : إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة .

أساليب ومخططات الماسون :

١ - يسعى الماسونيون للسيطرة على أجهزة الحكم في كل دولة ، لذا فإنهم لا يقبلون بين صفوفهم إلا الأغنياء ، وأصحاب المراكز الاجتماعية ، ذلك لما للأغنياء من نفوذ في تسيير دفة الحكم ، كما أنهم مؤهلون لاستلام مراكز هامة في الدولة ، يتمكن الماسون بواسطتهم من تحقيق أغراضهم . وذلك ما نصت عليه المادة ١٢٨ من نظام المشرق الأعظم يقول ليمي رئيس الماسونية العالمية الأسبق : الرجال الذين يكوّنون الحكومات يجب ضمهم إلى الماسونية أو يحرمون من وظائفهم . (إذا رفضوا الانضمام إلى الماسونية) .

ورد في تعميم المشرق الأعظم سنة ١٨٩٣ ص ٣٤٩ ما يلي : نحن نعير اهتماماً بالغاً للانتخابات النيابية ، مع العلم أن النواب لا يملكون القوة الكافية ، ولكن علينا أن نبث الأفكار الماسونية في الموظفين القابعين وراء هؤلاء النواب .

لقد استطاعوا ادخال نابليون في الماسونية ، فأنشأ محفل إزيس في مصر ، وحاول الوصول إلى فلسطين ليقطع الطريق التجاري بين انكلترا والهند ، ويقيم لليهود دولة في فلسطين حسب تعليمات سادته الماسون ، واستهل دخوله فلسطين بقوله : إليَّ يا يهود العالم لأدخل بكم أورشليم ، إليَّ إليَّ ياورثة اليهود الشرعيين ، وحين أشرف نابليون على نهايته قال : الدنيا تساس بجمعيات سرية فلا يجوز أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا .

ولما دخل كرومر مصر أسس محفل القديس يوحنا ، وحاول أن يمنح

اليهود وطناً لهم في سيناء قبل ظهور هرتزل بعقدين .

وويلسون الرئيس الأمريكي أمره رؤساءه الماسون اليهود بدخول الحرب العالمية الأولى ، وكان برنارد باروخ ويعقوب شيف اليهوديان مستشاريه اللذين لا يخرج عن رأيهما .

٢ ـ يسعى الماسونيون لاستغلال شعارات الديمقراطية الثورية ؛ لكي تكون الماسونية المستفيد الأول حين نجاح هذه الثورات والشعارات . لم يعد خافياً أن الماسونية هي التي وضعت شعار الثورة الفرنسية ـ الحرية والمساواة والأخوة ـ وهي التي أنشأت الجمعيات القومية الثورية التي قضت على الخلافة الإسلامية . ورد في الفصل الثاني من كتاب هندبوك ما يلي : (إن قادة جمعية الاتحاد والترقي وزعماءها كانوا جميعاً وبدون استثناء من البنائين الأحرار الماسون) وورد في جملة آكاسيا عام ١٩٠٣ : إن الماسونية يجب أن تتظاهر بأنها من جنود الديمقراطية ، والماسونية التي هيأت الجو للثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ عليها أن تهيء الجو للثورة الماركسية ، وعلى الماسونيين أن يعملوا بالاشتراك مع العمال، لأن الماسونية تملك القوى الفكرية والإمكانات العقلية ، وإن العمال يكوِّنون عدداً هائلاً ، ويملكون القوى التدميرية وباجتماع هتين القوتين يتولد الاضطراب الاجتماعي .

٣ ـ يسعى الماسونيون لطرح أفكار جديدة بغية إثارة الصراع بين أنصار الأفكار السائدة ، وأنصار الأفكار الجديدة ، ولتهديم القيم والمعتقدات التي تنظم حياة المجتمع ، ويقول نيس هاويت مؤسس جمعية الشعلة البافارية الماسونية : عليكم بوضع المبادىء الجديدة دون أن تفكروا في عواقبها ، ولقد عمدت الماسونية بحكم سيطرتها على أجهزة الإعلام العالمية إلى ترويج الأفكار التي ابتدعتها وإيهام القارىء بأنها علمية ثابتة ، كما تصدت لكل من خالفها من كتاب واتهمتهم بأبشع الاتهامات ، كما فعلت بالأديبين الروسيين الكبيرين دستوفيسكي

وغرغول حيث اتهمتها بالجنون ، والماسونية هي التي طرحت فكرة الماركسية واللاقومية (الامية) عن طريق ماركس وانكلز الماسونيين من الدرجة الحادية والثلاثين والمنتسبين للمحفل الإنكليزي بينما استغلت القومية لتدمير الدين .

وقد بشرت بأفكارهما المجلة الألمانية الماسونية لاتونيا حيث كتبت (لقد وجدت الماسونية في المبادىء الاشتراكية خير معوان لها . فلابد لنا من معاضدتها) .

٤ - ورد عن محفل السلامية ما يلي : (إن الماسونية هي عدوة القومية وإنها ليست بشوفينية - أي وطنية متطرفة - ولكنها أمية وبرهان ذلك أنه يقال للماسوني في المحفل أيها الأخ لا تكن شوفينياً بل كن لا قومياً) .

ومن مضابط المشرق الأعظم الفرنسي ١٩٠٤ - ص ٢٣٧ قولهم : سوف نتخذ الإنسانية غاية من دون الله كما ورد : إن ذخر البشرية الذي لا يقدر بثمن هو عدم الاعتراف بأي حقيقة مقدسة ، وأن الحقائق تنبثق من نظرة الإنسان ذاته فعليه ولابد من المحافظة على هذه الحقيقة ، وإن هذا لهو أساس الإلحاد . فالماسونية تهدف إلى تجريد أعضائها من كل القيم ، وتربطهم برباط المصلحة باسم الإنسانية ، وتحذرهم من كشف أسرارها ، ولم تفصح لهم عن غايتها حتى يبلغ العضو منهم الدرجة الثانية والثلاثين .

وإليكم ما كشفه يوسف الحاج الذي بلغ الدرجة هذه ، وحاز على درجة الأستاذ الأعظم ، وكان أول من أدخل الماسونية إلى العراق ، وأول من أسس الماسونية النسائية في بلاد العرب ، ولما انكشف له زيفها ألف كتابه (في سبيل الحق) ومما قال فيه : أما عن درجة العقد الملوكي فإن رؤساء هذه الدرجة يمثلون بدرجاتهم وحركاتهم أبطال السبي البابلي اليهودي ومما قاله : غرضنا هو التدليل على أن الماسونية إنما هي جمعية سرية يسيرها اليهود في العالم بالفعل ؛ لأغراض يهودية خالصة ، يقصد منها تفرقة الشعوب لا جمعها ،

وإضعافها لا تقويتها كما يزعمون ، وهي واسطة كبيرة من الوسائط التي استخدمها اليهود لإنشاء وطنهم القومي وإعادة مجد إسرائيل ، وتسليط اليهود على غيرهم من شعوب الأرض كافة على قاعدة : فرِّق تسد .

ولما انكشف زيف الماسونية وحقيقتها بواسطة الشخصيات التي خرجت منها لم يعد لها ذلك الأسم الجذاب ، بل أصبحت حركة مشبوهة يتحاشاها العقلاء ، لذا انحصر هدف الماسونية بعد انكشاف أمرها بحماية إسرائيل ، والتمهيد للقيام بمملكة يهوذا ينصّبون عليها ملكاً من نسل داود على عرش البابا في روما ، كما ورد في البروتوكول ١٧ . أما وسائلهم إلى ذلك فهي إفساد الشعوب بنشر الجريمة والرذيلة ، وشراء الضمائر في سبيل تحقيق حلمهم المنشود عن طريق إنشاء جماعات ، ونواد ، ومنظمات تتبنى أهداف الماسونية ، بعد أن تموه اسمها ، فكان لابد من طلاء جديد يستر حقيقتها وإليكم بعضاً من هذه التنظيمات :

١ ـ ماسونية ممم وتعني : ماسونية مسيحية مسلمة : ظهرت في لبنان باسم المجمع الماسوني المسيحي المحمدي ، أو الشرق الأعظم تتبنى فكرة المهدي المنتظر وإنه يرجع في نسبه إلى داود ومحمد ، ومن تعاليه أن المسيح لم يمت ، وأنه قام من الموت بعد الصلب ، وأن محمداً بلغ رسالة الإنجيل ، وأن اسم محمد يعني معمد ، وبسم الله الرحمن الرحيم تعني الأب والابن والروح القدس . ويسمون بالنورانيين نسبة إلى نور مؤسس الطريقة .

٢ ـ نادي الليونز الأسود . بعد أن قامت إسرائيل في ١٥ / ٥ / ١٩٤٨ صار لزاماً على أعضاء القوة الخفية أن يعملوا لحمايتها ، فأسسوا لذلك أندية وجمعيات يختارون أعضاءها من علية القوم ، ممن بيدهم الحل والعقد . ليعملوا بواسطتهم على تأمين سلامة إسرائيل ، ففي عام ١٩٥١ أسسوا في نيويورك نوادي الليونز ، ثم انتشرت في أنحاء أمريكا كافة ، ومنها إلى معظم دول العالم

ولا يشترط في المنتسب أن يقدم طلباً وإنما تختاره-إدارة النادي لعضويتها ، ويقيمون له الاحتفالات ، ويقدمون له الهدايا .

يبدأ عضو الليونز بدرجة ١٣ درجة الاستهزاء بالمسيح وينتهي بالدرجة ١٥ من درجات الماسونية . وكذا نوادي الروتاري .

٣ ـ جماعات شهود يهوه : يتظاهر شهود يهوه بالمسيحية كما يتظاهر الدونمة بالإسلام ، ويهوه هو إله شعب الله المختار وحدهم ، ففي عام ١٩٤٦ أعلن الخواجة ليفي سكرتير العصبة العالمية لليهود الأحرار في اجتماع لهم في لوس أنجلوس ما يلي :

سنضع نظاماً جديداً للتعليم ، نتبنى فيه أن الإله يهوه هو الإله الذي يجب أن يعبد ، وأن قصة المسيح بن مريم مزيفة ومزوره . تعلن هذه الجماعة عن نفسها بأنها جمعية خيرية تهدف إلى بث روح التدين في جيل طغت عليه المادة .

٤ ـ جمعية بنات برت (أبناء العهد) أسسها يهودي ألماني هنري فيز بعد أن هاجر من ألمانيا إلى أمريكا عام ١٨٤٣ ، وهي لا تقبل بين صفوفها غير كبار رؤوس اليهود ، مثل ناحوم سوكلو ، ودزنكوف ، وحاييم نخمن ، وحاييم وايزمن ، فإن رؤوساء الحكومات يتمنون رضاها وينافقون لها .

٥ ـ معابد الشيطان : لم نسمع عن جماعة في التاريخ قدست الشيطان غير جماعة اليهود ، فللشيطان في نفوسهم حرمة وتقديس ، لأنه تزعم بدهائه وذكائه ثورة الملائكة فرفض السجود لآدم . ويسمونه الزعيم لوسيفير ، ويصورونه في صحفهم وأقلامهم، ولا نستبعد أن يكون عباد الشيطان في بلادنا من اليهود ، أو من المتأثرين بهم. انطلقت معابد الشيطان من أمريكا إلى فرانسيسكو عام ١٩٦٦ ، ثم أنشأت فروعاً لها في كافة أنحاء الولايات المتحدة .

ولقد اعترفت كاليفورنيا رسمياً بعبدة الشيطان هؤلاء .

٦ ـ جمعيات محاربة التشهير باليهود ، وهدفها كتم أي صوت يحاول التشهير باليهود بالقوة ، تأسست عام ١٩١٣ ، لها ٥٠ فرع في الولايات المتحدة .

☆ ☆ ☆

الصهيونية

نسبتها : يرجع بعضهم نسبها إلى جبل صهيون في جنوبي القدس في فلسطين، فقد ورد ذكره في الكتاب المقدس (لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكناً له) .

ومنهم من يرد نسبها إلى العربية ، فيعتبرها مأخوذة من الحفظ والصون ، ذلك لعدم وجود أصل لها في العبرية ولا في الحبشية .

والمقصود بالصهيونيين الأصلاء من أبناء الجزيرة العربية الذين سكنوا أرض فلسطين قبل هجرة العبرانيين بمئات السنين ، كما تدل على قلعة القدس أو المدينة التي حطمها داود كما تستعمل اسماً للقدس والمعبد وجبل صهيون ، كما تشير إلى القيم الروحية والتاريخية التي شكلت الشعور بالقومية اليهودية وبعث اليهودية ، لاستعادة أرض فلسطين ، ثم أصبحت تشير إلى الاعتقاد بأن ملكاً من نسل داود سيأتي بعد ظهور النبي الياهو ليجمع شتات المنفيين ، ويعود إلى صهيون ، ويحطم أعداء إسرائيل ، ويتخذ أورشليم عاصمة له ، ويعيد بناء هيكل سليمان ، ويحكم بالشريعة المكتوبة ، ثم يبدأ الفردوس الذي سيدوم ألف عام .

تعريفها : الصهيونية : حركة يهودية سياسية عنصرية ، اشتق اسمها من جبل صهيون جنوبي القدس ، تهدف إلى إعادة مجد إسرائيل ، بإقامة دولة يهودية في فلسطين .

نشأتها : مرت الحركة الصهيونية في مراحل ثلاث : ١ ـ المرحلة التمهيدية قبل مؤتمر بازل .

٢ ـ مرحلة مؤتمر بازل . ٣ ـ مرحلة ما بعد مؤتمر بازل .

مرحلة ما قبل مؤتمر بازل

تتمثل بظهور مفكرين وأدباء يهود ساهموا بكتاباتهم في إنضاج فكر هذه الحركة . ولقد ظهرت فكرة الصهيونية العالمية إلى الوجود في منتصف القرن التاسع عشر ، ساهم في الدعوة إليها مفكرون يهود منهم :

١ ـ الحاخام يهودا القالي (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨) والده زعيم روحي لليهود العرب في سيراجيفو، قضى حياته في القدس ، ثم أصبح حاخام سملين عاصمة العرب ١٨٢٥ نشر في كتابه (اسمعي ياإسرائيل) اقتراحاً بإقامة مستعمرات يهودية في فلسطين لتكون نواة للخلاص المنتظر ، ولما كانت هذه الفكرة مخالفة لتعاليم الدين اليهودي قام بتبريرات لها ، فقال بظهور المسيح الأول الذي يسبق المسيح المنتظر يقود اليهود في حروب يأجوج ومأجوج لفتح فلسطين بحد السيف ، وفي كتابه الثاني وضع أسس الخلاص التي تتلخص في إقامة جمعية عامة كبرى ، وصندوق قومي لشراء الأراضي ، ودعا لجباية الضرائب من يهود العالم ، وهذا ما تبناه هرتزل فيما بعد وفي كتابه الثالث (الخلاص الثالث) شجع على كسب عطف السلطان العثماني ، ومحاولة الاستيطان الجماعي بقصد تعمير الأراضي الخراب ، ودعا لإقامة شركات تأمين وسكك حديدية ، حتى نتوسل بقوتها إلى السلطان لاستعادة أراضي الأجداد .

٢ ـ الحاخام زفي هيدش كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) بولوني استلم حاخام تورن أربعين سنة . انضم إلى جمعية الاستيطان اليهودي عام ١٨٦٠ في فرانكفورت ، ألف كتابه (السعي لصهيون) عام ١٨٦٢ صور فيه بأسلوب خداع حالات العذاب والتشرد والنفي التي يتعرض له اليهود ، ودعا للهجرة إلى فلسطين بقصد الخلاص ، واستجاب لدعوته جماعة من اليهود شرو أرضاً في ضواحي ياف عام ١٨٦٦ .

وأنشأوا مدرسة زراعية سموها (ميكوه إسرائيل) معناه : أمل إسرائيل ،

بتخطيط الاتحاد الإسرائيلي العالمي الذي تشكل في باريس عام ١٨٦٠ ، ثم أنشئت مستعمرة (بتاح تيكفاه) بمعنى : بوابة الأمل تبعد عن حيفا ٨ أميال .

٣ ـ موسى هس ١٨١٢ ـ ١٨٧٥ ألماني صهيوني من أب تاجر وأم ابنة حاخام ، درس العبرية في كولونيا ، والفلسفة والتاريخ ، ودخل جامعة بون ١٨٣٥ تأثر بماركس الذي يدرس معه في نفس الجامعة ، عمل مراسلاً لصحيفة رانبشه نزاينونغ المتطرفة ، التي يرأس تحريرها ماركس . انفصل عن ماركس أثر صدور البيان الشيوعي لعدم انسجامه معه . ألف كتاب (روما والقدس) دعا فيه إلي قومية يهودية ، لأن اليهود بنظره يعتبرون أجانب في البلاد التي يعيشون فيها . ودعا إلى اعتبار القدس مركز اليهودية ، كما تعتبر روما مركز الكنيسة المسيحية . كما يرى أنه لا مبرر لنزوح كافة اليهود لفلسطين ، بل يكفي إقامة دولة يهودية في فلسطين ويبقى معظم اليهود في أماكن استيطانهم : ليسيطروا على الفعاليات الاقتصادية والسياسية في دولهم لدعم الكيان الصهيوني .

٤ ـ بير بيتز سمولنسكين ١٨٤٠ ـ ١٨٨٥ روائي وداع لإحياء الثقافة العبرية في روسيا دعا في كتابه (المتجول في سبيل الحياة) إلى الهجرة لفلسطين ، وأن الهجرة إلى سواها إنما هو بنظره تشتيت جديد .

٥ ـ موشيه لايب ليلينبلوم ١٨٤٣ ـ ١٩١٠ كان عضواً في جمعية أحباء صهيون الروسية ، التي تعمل لتشجيع الاستعمار الصهيوني لفلسطين ، وكان من أنشط مؤيدي هرتزل ، شعاره (ادفع كويك في الأسبوع للاستيطان في أرض إسرائيل) .

٦ ـ يهوذا لايب (ليو) ينسكر . طبيب روسي ، وزعيم صهيوني ، نشر في كتابه (التحرير الذاتي) نداء يهودي روسي إلى بني قومه ، ثم تصهين وعمل على توحيد الهيئات الصهيونية التي اتخذت مقراً لها في قرصوفيه ، وانتخب

ينسكر رئيساً لمجلسها الأعلى . ودعا ينسكر في كتابه التحرير الذاتي إلى قيام دولة إسرائيل بحجة أن العالم لا يحترم شعباً لا أرض له .

٧ ـ ليردور هرتزل : مؤسس الصهيونية الحديثة ، واسمه بنيامين زئيف هرتزل ولد عام ١٨٦٠ في بودابست عاصمة المجر ، ثم انتقل مع أسرته إلى ڤينا ، ومارس فيها المحاماه ، عين مراسلاً لصحيفة المرأة الجديدة في فرنسا ، بدأ يكتب عن المسألة اليهودية ، أخرج كراساً بعنوان (الدولة اليهودية) محاولة لإيجاد حل عنصري للمسألة اليهودية . وفي عام ١٨٩٧ ترأس اجتماعاً للحركة الصهيونية في بازل ألف كتابه الدولة اليهودية ١٨٩٦ ، طالب فيه بمنح أرض فلسطين لليهود (أقترح أن ينفذ مشروع الدولة ، وكالتان الجمعية اليهودية للتخطيط السياسي،والشركة الصهيونية للتنفيذ المادي والعملي) أما الجمعيات التي أنشئت قبل مؤتمر بازل فهي :

١ ـ جمعية رعاية الاستيطان اليهودي في فلسطين تأسست عام ١٨٦٠ في فرانكفورت ، تهدف إلى جمع المال لشراء الأراضي ، وتشجيع الاستيطان من مؤسسيها الحاخام زفي هيرش كالبشر .

٢ ـ جمعية الألبانس الإسرائيلية العالمية (الاتحاد الإسرائيلي العالمي) تأسست في فرنسا عام ١٨٦٠ ، أنشأت المدرسة الزراعية قرب حيفا لشراء الأراضي الزراعية ، وإنشاء المستعمرات عليها باسم الزراعة .

٣ ـ منظمة أحباء صهيون ، بعد مصرع قيصر روسيا عام ١٨٨١ اكتشف الروس خداع اليهود ، وتعرفوا إلى أساليبهم في امتصاص أموالهم ؛ فتحرك الشعب الروسي للانتقام منهم ، مما دفعهم إلى الهجرة ، وتشكيل منظمة أحباء صهيون في روسيا عام ١٨٨٢ ، تهدف إلى إنشاء المستعمرات في فلسطين ، وتهجير اليهود الروس إليها . من زعمائها ، أو سيشكين مناحيم مندل مهندس

روسي يهودي ، وينسكر الدكتور ليووجاستر موسى ، ثم أسست حركة سرية ضمن أحباء صهيون باسم بني موسى ، اهتمت بنشر الثقافة اليهودية بين اليهود .

٤ ـ الجمعية اليهودية للاستعمار رأس أي أسسها عام ١٨٩١ في أمريكا البارون موريس دي هيرش ، وكان هدفها جمع التبرعات لإسكان المهاجرين اليهود في الأمريكتين ، ولكن ياميس ويلي السياسي اليهودي الألماني حول اتجاهها إلى فلسطين .

٥ ـ كاديمة : منظمة طلابية يهودية أسسها ١٨٨٢ في ڤينا بيرونيوم نافان كاتب يهودي نمساوي ، تهدف إلى عدم اندماج اليهود مع غيرهم ، وإقامة كيان مستقل لهم في فلسطين .

٦ ـ هالوكا : نشأت عام ١٧٥٨ في ألمانيا لجمع التبرعات لمساعدة يهود ألمانيا ، ثم أنشئت جمعية أخرى لمساعدة اليهود الأسبان ، فسميت الأولى أسكينازي ، والثانية سيفارديم ، وفي عام ١٧٥٩ وصلت من أمريكا بعثة لجماعة هالوكا قامت بجمع التبرعات للاستيطان في فلسطين ، ومنذ ذلك الحين استمرت مساعدات يهود أمريكا دون انقطاع ليهود فلسطين .

وفي ذلك الحين لم يزد عدد المهاجرين إلى فلسطين عن ثلاثة آلاف يهودي هربوا من أسبانيا أثر محاكم التفتيش فيها .

مرحلة مؤتمر بازل

انعقد المؤتمر التأسيسي الأول للحركة الصهيونية في ٢٩ آب ١٨٩٧ في بازل بسويسرا ، واستطاع هرتزل أن يكون رئيس المؤتمر والمؤتمرات الخمسة التي تلته حتى توفي . وبعد الترحيب بالمؤتمرين أعلن أن أول نتائج هذا المؤتمر تحويل المسألة اليهودية إلى مسالة صهيونية .

ودعى إلى كسب ثقة الحكومات في مساعدتهم لتوطين اليهود في فلسطين ،

وعـارض مبـدأ الهجرة الشـاملـة ، وطـالـب بـأن يبقى المنفـذون في بلادهم التي استوطنوا فيها لمساعدة الدولة المرتقبة فيما بعد . واتخذ المؤتمر القرارات التالية :

١ ـ تشكيل لجنة عمل مهمتها تبني المفاوضات ، وعقد الاتفـاقـات ، وبـذل المساعي ؛ لإقامة دولة صهيونية في فلسطين .

٢ ـ تأليف بنـك استعماري يهودي برأسمال مليون جنيـه تحت تصرف لجنـة العمل .

المقررات السرية :

١ ـ استعمال كافـة الوسـائـل ، وتسخير الـدول والشخصيـات لإقـامـة دولـة صهيون .

٢ ـ ربط كافة الجمعيـات اليهوديـة مع كافـة المنظمات الـدوليـة والسيـاسيـة لاستغلالها للغرض ذاته .

٣ ـ التظـاهر في المجتمعـات التي تحتقر اليهـود بـالشخصيـة المسيحيـة ، مـع الإيمان أن المسيحية عدوة اليهودية .

٤ ـ تـدعيم العمـل السري اليهـودي في كافـة أنحـاء العـالم ،حتى نتمكن من السيطرة على الدول الأخرى .

٥ ـ السعي الحثيث لإضعاف الدول سياسياً ، بنقل أسرارها ، وبـذر بـذور التفرقة والشقاق بين حكامها .

٦ ـ على اليهـود اعتبـار المجتمعـات الأخرى قطعـانـاً من المـاشيـة ، يجب خضوعها لحكام صهيون .

٧ ـ اللجـوء إلى التملـق للحكام ، والتهـديـد ، واستخـدام المـال في إفسـاد الحكام ، والسيطرة عليهم .

٨ ـ العمل على السيطرة على الذهب ، والاقتصاد العالمي ؛ بغية السيطرة على وسائل الإعلام والثقافة ؛ لإثارة الرأي العام ، وإفساد الأخلاق ، والمعتقدات ، وإخضاع الشعوب الأخرى لعبادة المال والشهوة .

كما تم الاتفاق على أن من يؤمن بالمبادىء التي وصفت في مؤتمر بازل يدفع اكتتاباً سنوياً للمساهمة في بناء الدولة ، وكتب ورتشيلد في صحيفته عن آثار مؤتمر بازل فقال : لو طلب إليّ أن ألخص أعمال مؤتمر بازل فإني أقول بل أنادي على رؤوس الأشهاد إنني أسست الدولة اليهودية .

المؤتمر الثاني : عقد في بازل عام ١٨٩٨ وأسفر عن إنشاء بنك رأسماله مليونا جنيه استرليني.

المؤتمر الثالث : عقد في بازل عام ١٨٩٩ تم فيه مناقشة ميثاق الصهيونية العالمية ، وسياسة الصندوق المالي للاستيطان .

المؤتمر الرابع : عقد في لندن ١٩٠٠ م اجتمع في أثنائه هرتزل بوزير خارجية بريطانيا لكسب تأييدها للمنظمة .

المؤتمر الخامس : عقد في بازل ١٩٠١ م تفاقم الخلاف حول ضرورة الاهتمام بالثقافة اليهودية ، وإعطائها الأولوية تمهيداً لإنشاء وطن قومي في فلسطين ، واقترح حاييم وايزمان تأسيس جامعة عبرية ، وعينت لجنة لبحث المشروع ، كما تقرر إنشاء البنك الوطني اليهودي لتمويل وإنشاء المستعمرات .

المؤتمر السادس : عقد في بازل ١٩٠٣ م أخر مؤتمر رأسه هرتزل حيث توفى عام ١٩٠٤ وفيه هوجم هرتزل بعنف ، وفيه رفض المؤتمرون فكرة إنشاء وطن لليهود في هضبة قريبة من نيروبي في أفريقيا ، والتي اقترحها وزير المستعمرات البريطاني (جوزف تشمبرلن) .

المؤتمر السابع : عقد في بازل ١٩٠٥ م أغسطس برئاسة ماركس نارداو .

وبعد رفض رئاسته انتخب مجلس تنفيذي من سبعة أعضاء ، منهم أربعة يؤيدون الصهيونية ، وثلاثة يؤيدون الاستمرار في شراء الأرض ؛ تمهيداً للحصول على أرض فلسطين .

مرحلة ما بعد المؤتمر التأسيسي

تميزت هذه المرحلة بنشاط مكثف ؛ لترسيخ الأسس النظرية للصهيونية العالمية ، وبالنشاط الفعال لخدمة الأهداف التي تبناها المؤتمر ، ونلاحظ في هذه المرحلة نشاطان :

أ ـ نشاط الأفراد : لقد نشط رجال الحركة الصهيونية على الصعيد العالمي لتحقيق أهدافهم السرية منها والعلنية ، وكان على رأسهم هرتزل الذي قابل الصدر الأعظم لشراء أرض فلسطين ، لقاء مبلغ كبير من المال ، كما قابل وزير المستعمرات البريطاني جوزف تشمبرلن ، كما زار روسيا القيصرية ، وكان له أثر في اتفاقية سايكس بيكو ١٦ أيار ١٩١٦ م ، التي بموجبها تقاسموا الوطن العربي ، وحصلوا على وعد بلفور ١٩١٧ م .

وممن ساهم في هذا النشاط حاييم وايزمان وكسلو ليبولد وكون جوزيف وجريد برج ليبولد جاكوب وبين بلفور ، وبتأثيرهم أقرت الأمم المتحدة صك الانتداب الإنكليزي على فلسطين ، وعينوا هربرت صموئيل الصهيوني أول مندوب سام لها في القدس ، ليعمل على تحقيق وعد بلفور .

ب ـ نشاط المنظمات : ١ ـ المؤتمر الصهيوني العالمي وهو الموجه الأعلى للمنظمة الصهيونية ، ويتألف من أعضاء اللجنة التنفيذية للمجلس الصهيوني العام ، ومن ممثلي المنظمات الصهيونية العالمية ، يعقد كل أربع سنوات للإشراف على التوجيه .

٢ ـ المجلس التنفيذي للمؤتمر : وهو مشرع الحركة ، والمسؤول عن تنفيذ

قراراتها في القدس وخارجها ، ويتألف من المكتب التنفيذي الصهيوني العالمي ، ومن الوكالة اليهودية .

٣ - الوكالة اليهودية : وهي المسؤولة عن شؤون يهود فلسطين ، وهي قسمان : القسم الأمريكي تأسس عام ١٩٦٠ م ، وهو يعمل في فلسطين ، والقسم الإسرائيلي والذي تأسس عام ١٩٦٦ م ، وهو يعمل في أمريكا ، لجمع التبرعات ، وكسب الأنصار ، والذي نجم عنهما إدارة الوكالة اليهودية عام ١٩٢٢ م .

٤ - الصناديق القومية وهي المسؤلة عن الإعمار والاستعمار في فلسطين عام ١٩٢٠ م .

٥ - النداء اليهودي الموحد **H M** من يهود أمريكا ، يقود حملة الوكالة اليهودية لدعم الاستيطان تأسس ١٩٢٧ م .

٦ - الجمعية اليهودية العالمية : تقف وراء جميع المنظمات لمدها بالمال والرجال .

أيديوليجية الصهيونية

تقوم أيديوليجية الصهيونية السياسية الاستعمارية على استغلال الدين في التوسع ، والسيطرة على العالم ، وترتكز هذه الأيديوليجية على عاملين اثنين .

١ - الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختار ، ومعنى الاختيار في الديانة اليهودية يعني : اصطفاء يتم بواسطة الآلام . وفكرة الشعب المختار من الناحية اللاهوتية فكرة غير مقبولة لأن فكرة وجود مختارين تقتضي وجود مبعدين ومطرودين،وهذا يتنافى مع عدالة الله تعالى الذي سوّى بين بني الإنسان وجعل أحبهم إليه أتقاهم وأنفعهم للناس ، وفكرة الشعب المختار كما يقول

روجيه جارودي في كتابه ملف إسرائيل : فكرة إجرامية من الناحية السياسية ؛ لأنها هي التي أضفت دائماً صفة القداسة على كل ألوان العدوان والتوسع والسيطرة . يقول موشي ديان : (إذا كنا نملك الكتاب وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نملك أيضاً بلاد التوراة بلاد الغفران أرض أورشليم وحرون وأريحا وأماكن أخرى) .

كتب الزعيم الصهيوني يهوذا لآيب ليد ينسكر عام ١٨٨٢ م تحت عنوان « نداء من يهودي روسي إلى شعبه »:(إن الشعب الذي لا يقول إن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار لابد أن يكون أعمى . (عن الفكرة الصهيونية ص ٨٤) .

٢ ـ الاعتقاد بأنهم وعدوا بأرض فلسطين بنص التوراة ، ويشيرون بذلك إلى الإصحاح ١٥ من العهد القديم (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات) ويكفي لتهافت هذه الفكرة أن ما اعتبروه وعداً لم يرد بأية وثيقة أو نص سوى في العهد القديم الذي وضعه الأحبار .

وحتى لو سلمنا جدلاً بصحة وروده ، فلا يمكن للرب أن يعطيهم أرضاً ليطردوا أهلها ويسكنوا مكانهم ، ثم يشردوهم في الآفاق ؛ لأن ذلك يتنافى مع عدالة الله تعالى كذلك .

يقول بيفن في أوسلو عام ١٩٧٨م : لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها . وأكبر دليل على أن هذه النصوص مدسوسة على العهد القديم التحقيق الذي جرى حول نص من نصوصه ، فقد نسب إلى يشوع مذبحة أريحا التي وردت في السفر من الآية ٢٠ وأنه فتحها ودمرها على رؤوس سكانها . فقد أثبت علم الآثار أن أريحا دمرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وأنها كانت غير موجودة في عهد يشوع مما يدل على أن النصوص المذكورة لا أساس لها من

الصحة (انظر كتاب الأدب لديفو ص ٤٤٧) .

وفي الإصحاح الثاني عشر لسفر صموئيل ، ترى أن داود لا يقيم وزناً للأرض الموعودة لدرجة أنه يشتري من ملك اليبوسيين أربنا (حقلاً) ليقيم عليه معبداً لقاء خمسين شاول من الفضة ، فلو أن الأرض من حقهم بنص الكتاب المقدس لما جاز له أن يدفع لأصحاب الأرض الأصليين ثمن أرضهم .

الصهيونية حركة استعمارية

١ ـ إن الدول الاستعمارية الكبرى هي التي وعدت الصهاينة بإنشاء وطن لهم في فلسطين واتفقت على انتداب إنكلترا عليها ؛ لتعمل على تنفيذ هذا الوعد .

فقد وعد بلفور وزير الخارجية البريطاني اليهودي الصهيونية بإنشاء وطن قومي في فلسطين عام ١٩١٧م . وفي عهد رئيس الوزراء اليهودي الإنكليزي دزرانيلي ، يقول في آخر رسالة الوعد الموجهة إلى روتشيليد ما يلي : وأكون لك شاكراً لو تكرمت بإبلاغ هذا البيان إلى اتحاد الهيئات الصهيونية . التوقيع : أرثر جيمي بلفور .

٢ ـ لقد علل أحد المسؤولين البريطانيين سايد بونوم موقفه من زرع الكيان الصهيوني في فلسطين بقوله : وقد قامت حجتي لإرجاع اليهود إلى فلسطين على الأسس المصلحية البريطانية بشكل بحت . (عن كتاب إسرائيل الكبرى ص ٢٥١) .

٣ ـ ويقول الكاتب الصهيوني يوري أفنيري : بأن الصهيونية كانت مظهراً من مظاهر الاستعمار الغربي في نزعه الأخير . (عن كتاب الفكر الصهيوني المعاصر ص ٣٤) .

وفي ١٤ يناير ١٩١٧م أرسل وايزمان ـ زعيم الصهيونية العالمية ـ رسالة إلى القاضي برانديس الزعيمَ الأمريكي الصهيوني مستشار الرئيس ولسون وصديقه الحميم قائلاً : إن فلسطين اليهودية التي ستخلفها بريطانيا العظمى وتساعدها أمريكا تعني ضربة مميتة إلى السيطرة الإسلامية الروسية التركية على الشرق .

وفي لقاء بين بلفور ووايزمان يقول وايزمان : ولقد أقنعت اللورد سيسل بأن ما يسمى بالاستعمار ليس إلا الصهيونية بعينها .

ويقول تشرشل في مذكراته : وإذا أتيح لنا في حياتنا ـ وهو ما سيقع حتماً ـ أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الأردن حتماً تقوم على حماية التاج البريطاني ، وتضم نحواً من ثلاث أو أربع ملايين من اليهود فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية البريطانية .

ومما قاله وايزمان للورد سيسل : (إذا كانت فلسطين يهودية فسيكون في هذا ضمان لإنكلترا من ناحية قناة السويس) .

لذا كان أول عمل أقدمت عليه بريطانيا أن عينت هربرت صمويل الصهيوني الإنكليزي الحاقد على العرب مندوباً سامياً لها على فلسطين عام ١٩٢٠ م ؛ ليشرف بنفسه على تسليمها لبني جنسه من الصهاينة . كما عينت نورمن نيتويتش اليهودي نائباً عاماً لحكومة الانتداب وتركت له سن التشريعات وإصدار القوانين .

ولم يعد خافياً تبني أمريكا للحركة الصهيونية أخيراً حتى أصبحت إسرائيل ولدها المدلل .

الصهيونية حركة عدوانية توسعية

ورد في البروتوكول العاشر لحكماء صهيون : لننهك كل إنسان بالمنازعات والعداوات والحزازات والمجاعة وانتشار الأوبئة والعوز والفاقة ، حتى يجد الأغيار (كل من هو غير صهيوني) أن لا مناص من مناشدتنا العون المادي والسلطان . ولا أدل على همجيتهم من أنهم يصفون معبودهم يهوه بأنه بدوي متعصب جبار حقود متقلب الأهواء تغلب عليه صفات التسلط والنقمة ، لذا فهم يتبعون صفات إلههم يهوه فيفتكون بمعارضيهم ، ويتضح ذلك من ارتكابهم مذابح ديرياسين والقدس وطبريا وحيفا وكذا صبرا وشاتيلا وفي صيدا وصور ، وقد تباهى بهذه المذابح ابن غوريون حين قال : لولا انتصارنا في ديرياسين لما قامت دولة إسرائيل .

ورد في البروتوكول السادس : (سنعمل بدقة ومهارة وعمق على تحطيم موارد الإنتاج عن طريق نشر الآراء الفوضوية بين العمال وتشجيعهم على استخدام المشروبات الروحية متخذين في الوقت نفسه الإجراءات الكفيلة بإبعاد القوى المتفقة من غير اليهود عن البلاد) .

وجاء في البروتوكول الرابع : (لهذا السبب علينا أن نزرع الألغام لتهديم هذا الإيمان وأن نمحو من عقول الغير مبادىء الله والروح) .

يقول الجنرال ديان عام ١٩٦٨م : في المائة الماضية قام شعبنا بإنشاء هذه البلاد وهذه الأمة وعمل على توسع نطاقها باستقدام عدد متزايد من اليهود ، وبإنشاء مزيد من المستعمرات لتوسيع حدودنا ، وليعلم كل يهودي أن هذه العملية لم تنته ، وأننا لم نبلغ نهاية الطريق . وفي حديث صحفي مع جولدا مائير عام ١٩٧٢م ، تجيب عن سؤال : ما هي الحدود التي تعتبرونها ضرورية لأمن إسرائيل ؟ فتقول : إذا كنت تريد أن تقول إنه يتعين علينا أن نرسم خطاً لحدودنا ، فهذا أمر لم نفعله وسننفذه عندما يجيء الوقت المناسب ،

ولكن يجب أن يعرف الناس أن أساسيات سياستنا عدم النص في أي معاهدة للسلام على حدود ١٩٦٧م ، فلابد من إدخال تعديلات على الحدود . كتب أحد زعماء الصهيونية في كتاب الدولة اليهودية والمسألة اليهودية عام ١٨٩٧م ما يلي : إن عدد اليهود سيظل في كل من فلسطين التي يستوطنون فيها وفي أرض الشتات في أوربا في ازدياد طبيعي مما سيؤدي إلى النتيجة التالية : أن تصبح فلسطين من جهة أصغر من أن تستطيع استيعاب مهاجرين جدد . ربما استطعنا وبطرق طبيعية أن نؤسس يوماً دولة يهودية وقد يتكاثر اليهود ويزدادون داخل هذه البلاد إلى أن تمتلىء الأرض بهم .

لم يقتصر هدف الصهيونية على حيازتهم أرض فلسطين بل تعداه إلى محاولتهم السيطرة على العالم ويبررون ذلك عقائدياً بأنهم شعب الله المختار ، الذي رشح للسيادة في الأرض وقد سبق أن دحضنا لهم هذا الوهم .

أما وسائلهم لتحقيق أهدافهم فتتلخص بما يلي :

١ ـ استخدام نفوذهم المادي في اصطناع الأزمات المالية وفي شراء الضمائر وإنشاء الجمعيات السرية التي تحقق أغراضهم ، وفي دعم مشاريعهم التوسعية وجمعياتهم الإرهابية وتشجيع الحركات القومية .

ورد في البروتوكول السادس : سنشرع رأساً في إقامة احتكارات ضخمة ومستودعات هائلة للثروة ومن الضروري في الوقت نفسه توسيع التجارة والصناعة بقوة وحيوية ولا سيما المضاربة . فالمضاربات هي التي تحول مالا بأسره إلى أيدينا . وآنذاك يحني الأغيار هاماتهم لنا طلباً للحصول على حقهم في الحياة .

ورد في يوميات هرتزل ص ٤١٩ ما يلي : (إن توسيع رأس المال الذي يخطط له الآن سيجعل من البنك اليهودي عاملاً له أهميته في العالم المالي حتى

تنمو الصهيونية لتكون قوّة حقيقية) وأشهر أغنياء العالم أل روتشيلد ويعقوب شيف الذي دعم الثورة الشيوعية .

٢ ـ استخدام العنف والإبادة مع خصومهم ظناً منهم بأن الإرهاب والعنف يعطي نتائج إيجابية ، فلقد شكل الإرهابي مناحم بيجن حزبه الإرهابي أرجون زفاي ليومي منذ الأربعينات ، وقام بدوره الهمجي في مذابح ديرياسين الشهيرة بوحشيتها عام ١٩٤٨م ، كما قام في العصر الحديث بالتخطيط لمذابح صبرا وشتيلا بمساعدة وزير حزبه الجينرال أريل شارون ، كما أن أسلوبهم الوحشي مع المجاهدين في الأرض المحتلة وهدمهم للبيوت وتهجيرهم أصحابها وتنكيلهم بالمسالمين لم يعد خافياً على أحد . ومن المؤسف أن يصبّوا حقدهم في ذبح النساء والأطفال والشيوخ والمسالمين . لقد عهد موشي ديان في أغسطس ١٩٥٣ م إلى شارون بقيادة الوحدة ١٠١ المكلفة بأعمال انتقامية ضد القرى العربية ومما كتبه موسى شاريت في يومياته في ١٣ مارس ١٩٥٠م ما يلي : كانت أول هجمة لشارون ورجاله على قرية قبية الفلسطينية بالأردن وذلك في ٤ ـ ١٥ أكتوبر ١٩٥٤م ، وذبحوا ٦٦ من الأهالي ، ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال وقال مراقبو الأمم المتحدة في تقريرهم لمجلس الأمن : إنهم عندما وصلوا القرية بعد ساعتين من المذبحة رأوا جثثاً مثخنة بالرصاص ، وآثار عدد كبير من الرصاص على الأبواب والنوافذ في البيوت التي هدمت ، مما يدل على أن السكان قد حيل بينهم وبين مغادرة منازلهم ، فبقوا فيها حتى لقوا حتفهم تحت أنقاض المنازل المنهارة .

وذكرت صحيفة هاعولام في عددها بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٧٣م ما يلي : في حرب ١٩٦٧م كان الجيش الذي هاجم سيناء تحت قيادة شارون هو المسؤول شخصياً عن مصرع مئات من الجنود المصريين إذ رفض اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الأخيرة للحرب ؛ لأن تعليمات ديان كانت تقضي بعدم الالتجاء

إلى أسر الجنود المصريين في سيناء وتأمر بإبادتهم .

وحينما ظهرت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لم يتحمس معظم رجال الأعمال اليهود لهذا الأمر ؛ لأنهم ليسوا على استعداد أن يضحوا بمكاسبهم المضمونة لقاء مستقبل مجهول ، فما كان من عصابات الإجرام الصهيونية الهاجانا وأرجون زفاي ليومي وشتيرن إلا أن سارعت لتصفية اليهود المناهضين للصهيونية في المجر وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ، وحملت ألمانيا النازية مسؤولية هذه المذابح وطالبت بالتعويضات الباهظة عن هذا الإجرام متهمة زعماء النازية بقتل ٢٥ ألف شخص في معتقلات داخاو .

وبقي هذا السر غامضاً حتى كشفه الكاتب السياسي الأرجنتيني زويلو سيزوريك بعد أربعين عاماً ، حيث نشر هذا السر في مؤلفاته عن الصهيونية حين أقدم الكوماندوز الإسرائيلي على اختطاف أيخمان من الأرجنتين وإعدامه في إسرائيل ، لأنه الوحيد الذي يعرف أن العصابات اليهودية هي التي قامت بمجازر القضاء على اليهود الأوربيين ، الذين قاوموا الصهيونية ، وبالقضاء عليه قضوا على الشاهد الوحيد الذي يدين الصهيونية مع أن أيخمان كان من أصدقاء روولف كاسنر زعيم الحزب الصهيوني مابلي الذي رأسه ابن جوريون وغولدمائير وتعاون مع المنظمة الصهيونية المجرية في إنقاذ اليهود الأثرياء وأعضاء منظمة الشباب الصهيوني .

أرسلت الأمم المتحدة الكونت برنادوت للتحقيق في جرائم الصهاينة وما إن أصدر تصريحه قائلاً : ليس هناك من يستطيع أن ينكر استحالة التوصل إلى تسوية عادلة وكاملة إلا إذا كان هناك اعتراف بحق اللاجئين العرب في العودة إلى وطنهم الذي طردوا منه ، ومن الاستهانة بأبسط مبادىء العدل أن ينكر على الأبرياء الذين وقعوا ضحية للنزاع العودة إلى ديارهم ، فهناك على الأقل التهديد المتمثل في الاستيطان الدائم في أراضي العرب الذين ولدوا في

هذه الأرض طيلة قرون من الزمان

فما كان من عصابة شتيرن الصهيونية إلا أن أطلقت عليه الرصاص حتى الموت في مدينة القدس عام ١٩٦٧ م .

٣ ـ الهجرة والاستيطان : مطلب وطني لكافة الأحزاب الإسرائيلية فبواسطته يزداد عدد اليهود في فلسطين كي يفوق عدد العرب الذي يتزايد بشكل ملفت للنظر ، ذلك بسبب ابتعادهم عن تحديد النسل كما أن زيادة السكان اليهود يساعد على زيادة عدد الجيش الإسرائيلي وأن اليهود القادمون من بلاد أوربا أكثرهم فنيون وتقنينيون فهم يساهمون في تطوير المهارات الفنية والتكنولوجيا فيها . كما تساهم بالتالي في تحقيق أهدافهم التوسعية .

لذا عملوا بمخططات سرية رهيبة على هجرة اليهود السوفييت والأوربيين إلى إسرائيل حتى وصل بهم الأمر إلى يهود أثيوبيا المتخلفين ، الذين هربوهم عن طريق السودان للاستفادة منهم في توفير اليد العاملة والكوادر العسكرية القتالية . فنشطوا في إنشاء المستوطنات الصهيونية على الرغم من معارضة الرأي العام الدولي حتى من أصدقائهم . بتدعيم من الجمعية الصهيونية الخاصة بإنشاء المستعمرات وذات البنك الخاص لهذا الغرض .

لذا راحو يسعون إليه بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة لطردهم المواطنين الذين يشتبهون في ولائهم لحركة المقاومة ، وبهدم البيوت وباستملاك الأراضي باسم المصلحة العامة ومضاعفة الأمن وبفرضهم الضرائب الباهظة التي ينوء بدفعها المواطن العربي في إسرائيل مما يضطره لبيعها . هذا بالإضافة إلى إغرائهم بأبهظ الأثمان .

٤ ـ كسب الرأي العام العالمي عن طريقين أولهما السيطرة على وسائل الإعلام العالمية ، وثانيهما : تسلل اليهود إلى المراكز السياسية الكبرى في الدول

العظمى لتبرير مشاريعها بواسطتهم .

أ ـ لا يخفي على القارىء الكريم أثر وسائل الإعلام في توجيه الرأي العام واستغلاله .

أما أسلوبهم في ضمان تأثير هذه الصحف والمجلات هو ما حددته البرتوكولات بما يلي (ويجب أن لا يرتاب الشعب أقل ريبة في هذه الإجراءات ، لذلك فإن الصحف الدورية التي ننشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا فتوحي بذلك الثقة إلى القراء . وتعرض منظراً جذاباً لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا وسيقعون في شركنا وسيكونون مجردين من الثقة) .

لقد تبين من إحصاء عام ١٩٥٦م أن اليهود الذين لا يتجاوز عددهم في العالم خمسة عشر مليوناً يصدرون ٨٩٩ جريدة ومجلة يهودية في كافة لغات العالم منها ٥٠ في إنكلترا و ٣٦ في فرنسا ، هذا عدا عن الصحف التي تسيطر عليها الصهيونية بشكل أو بآخر في السر والعلن ، فلقد خدع أحد علماء الأزهر بآراء أعداء الإسلام ففسر بعض مفاهيم الإسلام وفق ما يشتهون ، فلمع نجمه وصار اسمه في كل صحيفة وعلى كل لسان ، وما إن شرح الله صدره للحق وتراجع عن ترهاتهم حتى انطفأ ذكره ولم يجد اسمه مكاناً في صحفهم بعد ذلك . وتجرأ أحد المحسوبين على الإسلام فجرد قلمه يجرح به صحابة رسول الله ﷺ ، فتسابقت عدة صحف مأجورة تخط أغاليطه على صفحاتها بمداد قلمه الأحمر لإثارة اهتمام القارىء المسلم ويمتنعون في نفس الوقت عن نشر أي رد يكشف الحقيقة الناصعة والبطولات الرائعة لصحابة رسول الله الأخيار .

لقد صرح أحد زعماء العرب أنهم سيرمون إسرائيل في البحر فاستغل أعلامهم هذا التصريح ، وراح يستعطف به الرأي العام العالمي وحكوماته المسيرة فلاقى تحركهم الإعلامي دعماً دولياً منقطع النظير لدولتهم الناشئة ، ومن هذه الأساليب أنهم يتفقون مع أحد المتسلطين على الإيقاع بفئة مسلمة

فيعهدون لتلك بالإيعاذ لصحفهم العميلة بإثارة الشبهات حول هذه الجماعة واتهامها بالعنف والتطرف حتى توطن النفوس على تقبل ضربها .

هذا بالإضافة إلى أثر الإعلام في إخفاء أخلاق الناشئة وإشغالهم عن أهم قضاياهم المصيرية بقضايا الجنس وغيرها .

ومن الأساليب الإعلامية إخراج أفلام سينمائية أو تليفزيونية تهدف إلى إظهار قوة إسرائيل وضعف خصومها العرب ، مما يعطيها مركزاً قوياً فتهابها الدول الضعيفة وتدفعها للالتجاء إليها .

لقد شاهدت فيلماً فيديو منتشراً في الدول العربية عن عملية عسكرية يخلصون فيها طائرة مختطفة في مطار أفريقي . ومن وسائلهم إخراج كتب عن التجسس وعن حروبهم وأفكارهم الصهيونية ؛ يظهرون فيها دورهم البطولي ، وكذا في الصحف ووكالات الأنباء ، والأمثلة في هذا المجال لا تحصى .

ب ـ أما تسللهم إلى مراكز قيادية في الدول العظمى فقد منحهم في الماضي والحاضر فرصاً كبرى تمكنوا بسببها من تأسيس دولتهم ، فوصول بلفور اليهودي إلى وزارة خارجية بريطانيا ساعد على إعطاء وعد بلفور وعلى تعيين المندوب السامي البريطاني في فلسطين من اليهود ، ليعمل على تسليمها لهم .

أما نفوذ اليهود في أمريكا فهذا لا يحتاج إلى دليل لأن المرشحين لمركز الرئاسة في أمريكا يتنافسون في خطب ودهم والالتزام في دعم قضيتهم .

أما في روسيا فيكفي أن نعلم أن الزعماء الخمسة الذين قاموا بالثورة البلشفية هم من يهود ، وهم لينين ، زينوفيف ، كارينيف ، ترونسكي ، باكوف ، سفروولوف ، وشك البعض في يهودية لينين المتزوج من يهودية ، وأن أول رئيس جمهورية سوفيتية كان يهودياً وكذا الرئيس الثاني ورئيس

أركان الجيش السوفيتي الذي زار بعض دول المواجهة بعد حرب الأيام الست كان يهودياً .

بهذا ندرك الدور الخطير الذي يضطلع به اليهود في تحقيق أغراضهم عن طريق اليهود القادة في الدول العظمى في الشرق والغرب .

مما تقدم نلاحظ ما يلي :

١ ـ إن للصهيونية منظمات دولية ، يدين لها يهود العالم بالولاء ، تسهر على مصالح اليهود الأساسية خططت لإقامة دولة إسرائيل ونجحت ، وتعمل الآن على مساندتها وتقويتها يعمل بعض هذه المؤسسات في جمع التبرعات ، والبعض الآخر في إنشاء المستوطنات ، والبعض في الاتصال برجال السياسة والحكم ، والبعض في الاقتصاد ، وهكذا يعمل الجميع بتخطيط وتنسيق .

فهل في بلاد العروبة والإسلام منظمات دولية يساندها العرب والمسلمون حكومات وأفراداً لنتمكن من الاهتمام بقضايا العروبة والإسلام .

٢ ـ إنشاء الأغنياء اليهود مصارف خاصة بهم رصدوا أرباحها لتحقيق أهداف الصهيونية الاستعمارية التوسعية .

فهل وصل أغنياؤنا ـ وهم لا يقلون عن أغنياء اليهود ـ إلى الحد الأدنى من التضحية كي يقدموا جزءاً يسيراً من فائض ثرواتهم التي ينفقونها في الترف وبطر المعيشة لتحرير بلاد العروبة والإسلام .

٣ ـ لقد عملت وسائل الإعلام الصهيونية على تكوين الشخصية الصهيونية في كسب الرأي العام الدولي إلى جانب قضاياهم المصيرية . فهل ساهمت وسائل الإعلام العربية والإسلامية في بناء الشخصية المسلمة المجاهدة ، أم أنها تساهم في تمييعها دون أن تشعر وتشغلها عن قضاياهم المصيرية بقضايا الجنس والاهتمامات الأخرى .

وهل استطاعت كسب الرأي العام الدولي لصالح قضايانا التحريرية أم أنها غفلت عنها . لابد للنجاح من الأخذ بالأسباب ، ومن الأسباب أن نقابل تخطيط خصومنا بتخطيط ، وتعاونهم باتحاد ، واستعدادهم بإعداد أكبر . عندها تكون الغلبة لأصحاب الحق الشرعيين وللمخلصين العاملين .

الشيخية والبابية والبهائية

الطريقة الشيخية : يعتبر الشيخ أحمد الإحسائي - المولود سنة ١١٥٧ هـ - شيخ الطريقة الشيخية ، وهي طريقة باطنية صوفية ، تبشر بظهور المهدي المنتظر . ولما توفي الشيخ الإحسائي تسلم مشيخة الطريقة من بعده تلميذه كاظم الرشتي - المولود سنة ١٢٠٩ هـ - والذي توفي في كربلاء عام ١٨٤٣ م .

الدعوة البابية : وبوفاة الرشتي انقسم الشيخيون إلى ثلاثة فرق أقواها بزعامة الملا حسين البشروني ، الذي هام وجماعته في الأرض يبحثون عن المهدي المنتظر الذي بشر به الإحسائي والرشتي ، وأسفرت النتيجة عن لقاء غريب مريب بين البشروني وبين رجل يدعى علي محمد الشيرازي في مدينة شيراز . ويدّعي البشروني أن علياً هذا تنطبق عليه صفات المهدي المنتظر وبهذا دخلت الدعوة الشيخية منعطفاً جديداً حيث حلت الدعوة البابية محل الطريقة الشيخية وكان ذلك في ٢٣ آيار سنة ١٨٤٤م ولقب مؤسس البابية علي محمد الشيرازي بالباب ، كما لقب البشروني باب الباب ولقب الدعاة الأوائل الذين آمنوا ببابيته وعددهم ثمانية عشر داعية بحروف الحي ، والذين انطلقوا للتبشير بدعوته البابية الجديدة ، ويكشف لنا الدكتور عبد الفتاح بركة عن حقيقة مؤسسي هذه الطرق في محاضرته في ندوة المحاضرات عام ١٣٩٣ هـ ص ٢٤٩ فيقول : لما سقطت حكومة روسيا القيصرية عام ١٩١٧م قامت الثورة الشيوعية بإذاعة التقارير غير المذاعة تؤكد أن حكومة القيصر أرسلت قسيسين إلى إيران باسمين مستعارين هما أحمد الإحسائي وكاظم الرشتي . وما أن أذاعت الثورة الشيوعية اسم القسِّيسَيْن حتى سارعت الحكومة البريطانية إلى الاتصال بهما وتمويلهما للاستفادة من جهودهما التبشيرية والتخريبية .

ولا أظن أن لقاء البشروني بعلي محمد الشيرازي كان بمحض الصدفة ، بل

الأرجح أنه أحد عملاء الاستعمار الغربي المرشح لقيادة الحركة في مرحلتها الجديدة ، فعرفه عليه الرشتي وأعطاه كلمة السر وطلب إليه الاتصال به والادعاء بأن صفاته تطابق صفات المهدي المنتظر وكان له ما أراد .

عقيدة البابية : ادعى علي محمد الشيرازي مؤسس البابية أنه المهدي المنتظر منذ كان عمره خمساً وعشرين عاماً . وروجت له المؤسسات المحلية فافتتن به الكثيرون . ولما توفي أستاذه الرشتي سمى نفسه الباب (عقيدة شيعية) وادعى أنه الوسيلة للوصول إلى الله وأوّل حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) بأنه هو علي المقصود . ثم ادعى أنه يوحى إليه وأنه أنزل عليه : (البيان العربي) وسماه كتاب الله ، وبناء على ذلك نادى بنسخ الشرائع السابقة ، وكان يؤمن بالتناسخ وينكر البعث ، وكان يعتمد على العنصر النسائي ؛ لتزداد دعوته انتشاراً . ففي مدينة قزوين بإيران اعتنق آل البرغاني الدعوة البابية وعلى رأسهم الملا محمد صالح وابنته قرة العين وكانت من الجميلات الذكيات فصار لها شأناً كبيراً . لقد نقلت مجلة الجوهرة التونسية في عددها الثامن من السنة الرابعة ص ٧٠ خطبة قرة العين جاء فيها : (اسمعوا أيها الأحباب والأغيار أتباع الباب وغيرهم ، اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وأن اشتغالكم بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل ، وأن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد ، وسيخضع له الأقاليم السبعة المكونة وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد . ثم تدعو قرة العين إلى الإباحية فتقول :

مزقوا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال واصلوهن بعد السلوة وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة فما هن إلا زهر الحياة وإن الزهرة لا بُدَّ من قطفها وشمها لأنها خلقت للضم

والشم ، فخـذوا حظكم من هـذه الحيـاة ولا شيء بعـد الممات) وفي ذلـك إنكار صريح للبعث .

ذهبت قرة العين في صبـاهـا إلى كربـلاء ، تطلب العلم مـع زوجهـا وابن عمها ، وهناك التقت بالرشتي وتأثرت بدعوته ، ثم التحقت بعد وفاته بـالـدعوة البـابيـة في شيراز . ثم أعلنت نسـخ كتب الإحســائي والرشتي ، بسبب ظهـور الباب ، فغضب عليها مريدوها فرحلت إلى بغداد ، وهنـاك استـأنفت دعوتها في وجوب تجديد الشريعة الإسلاميـة ، وإحلال البيـان محل القرآن ، فـأمرهـا الوالي التركي بمغادرة بغداد ، فرحلت إلى كرمنشاه في موكب حافل من الرجال والنساء ، فأجلاها حاكمها ، فرحلت إلى قزوين مسقط رأسهـا ، فسجنهـا حـاكم المدينة ، فهربت من السجن بواسطة أحد أتباعها المـدعو ميرزا حسين ، الملقب بالبهاء ، وأخفاها في بيته في طهران .

وكان أن سجن والي شيراز البـــاب علي محمـــد الشيرازي ؛ لثبــوت كفره الصريح ، وأمر الشاه ناصر الدين بقتله حـداً ؛ لثبوت ادعائـه النبوة ، وإنكاره البعث ، وإيمـانـه بـالتنـاسخ ، ولقولـه بنسخ الشريعـة ، وبينمـا كان البـابيـون مجتمعون في بدشت سنة ١٨٤٨ للبحث في إنقـاذ البـاب ، ولتحـديـد موقفهم من الشريعة الإسلاميـة ونسخهـا ، دخلت عليهم قرة العين فجـأة وقـد أسفرت عن وجهها الجميل لأول مرة ، وقـد لبست أحسن ثيـابهـا ، وازينت وأعلنت بـأعلى صوتها أنها الكلمة وقالت : (وليقم كل من في هذا اللقاء وليقبل صـاحبـه فـإن أحكام الشريعــة الإسـلاميــة قــد نسخت بظهـور البـــاب) . واستـــاء معظم الحاضرين منها ، وحاول بعضهم قتلها ، واستطـاع بعض الأتبـاع استلام زمـام المبادرة ، وسيطروا على قيادة الدعوة ، وساروا بـاتجـاه يخـالف تعـاليم الإسلام جملـة وتفصيلاً ، وبكل وضـوح ، وأصدر علمـاء المسلمين فتـواهم بتكفير البـاب وأتباعه ، وتم إعدام الباب المسجون في قلعة ماكو صبيحة الثامن من تموز سنـة

١٨٥٠ ، فنقل أتباعه جثته إلى عكا مركز دعوتهم الجديدة . وفي ٣٠ أغسطس ١٨٥٢ تسللت قرة العين على رأس ثلاثين رجلاً من بغداد إلى طهران ؛ ليثأروا لمقتل الباب باغتيال الشاه ناصر الدين ، فأخفقت في مسعاها ، وأعدمت مع من كان معها ، وحينما كانت أمام الجلاد حاولت استمالته إلى دعوتها ، وأهدته منديلها الحريري ، فتناوله منها وخنقها به . وهكذا انتهت الدعوة البابية وبدأت الدعوة البديلة ألا وهي البهائية .

البهائية :

أسسها ميرزا حسين علي نوري المولود عام ١٨٣٣م وكان من أتباع قرة العين ، وهو الذي عمل على تهريب قرة العين من السجن ، وخبأها في بيته في طهران . نفاه الشاه مع الكثيرين من أتباعه إلى بغداد ، وهناك بدأ نشاطه ، وراح يتردد على السليمانية والمناطق الكردية ، ويعلن عن نفسه أنه الباب الجديد الذي بشر به الباب السابق بقوله : إن الباب من يظهره الله . فوجد بين العوام أنصاراً ، فنفاه والي بغداد إلى الأستانه ، وهناك اختلف مع أخيه يحي على زعامة الحركة ، فانتصر عليه ، ورحل إلى عكا ، واستقر فيها .

ادعى ميرزا حسين أنه الباب ، ثم أنه المهدي المنتظر ، ثم ادعى النبوة الخاصة ، ثم أدعى النبوة العامة ، وإنه لجميع البشر ، ثم ادعى الألوهية آخر حياته على أساس نظرية الحلول وأن الله حالّ به ، فكان يمشي في الأسواق مغطياً وجهه ببرقع ، حتى لا يشاهد بهاء الله أحد من خلقه ، ولقب نفسه البهاء ، وبذا عرفت دعوته بالبهائية . ومنع ادعاء الألوهية لغيره مدة ألف سنة ، وقد ألف الكتاب الأقدس .

وكتاب الإيقان ، وكتاب إشراقات وتجليات ، وكتاب طرازات كلمات فردوسية ، ثم أهلكه الله في مايو ١٨٩٢ ودفن في قبر سمي : بيت البهجة على

سفح جبل الكرمل في فلسطين .

عقيدة البهائية :

١ ـ إنكار المعجزات التي يأتي بها الأنبياء ، وإنكار البعث والحشر والوعد والوعيد والجنة والنار .

٢ ـ الصلاة تسع ركعات في البكور والزوال ، ونسخوا صلاة الجماعة ، وحولوا القبلة إلى عكا مقر وفاة الباب .

٣ ـ الحج للرجال دون النساء ، وحرموا الحجاب ،وأباحوا الاختلاط ، ونادوا بمساواة الذكر بالأنثى في ميزان الميراث .

٤ ـ إلغاء الحدود والاستعاضة عنها بعقوبات مادية .

٥ ـ تحريم الجهاد واستعمال السلاح ، فالجهاد عندهم باللسان فحسب .

٦ ـ أولوا معاني القرآن حتى أخرجوها عن دلالتها اللغوية والشرعية .

٧ ـ الدعوة إلى دين موحد عالمي يجمع الجنس البشري .

صلة البهائية بالصهيونية العالمية والاستعمار :

يظهر ذلك في تأييد عبد البهاء خليفة البهاء وولده وبكل صراحة لتجمع اليهود في فلسطين ، فقد جاء في الكتاب المسمى (مفاوضات عبد البهاء) ص ٥٩ ما يلي : وفي زمان ذلك العصر الممتاز ، وفي تلك الدورة ، سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة ، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة ، وتكون فلسطين وطناً لهم .

وجاء في دائرة معارف القرن العشرين الجزء الرابع عشر ص ٣٧٧ ما يلي : إن بعض دعاة البهائية فسر الفقرة الثانية من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر

التثنية التي تقول : (جاء الرب من سيناء وأشرق على ساعير وتلألأ في جبل فاران) فقال البهائي في تفسير هذه الفقرة من التوراة : (تدل هذه الآية على دلالة واضحة عن أنه لابد أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات ، ويظهر حتى يكمل بني إسرائيل ، وينتهي أمرهم إلى الرب الجليل ، فيجمع شتيتهم من أقصى البلاد ، ويدفع عنهم كل العباد ، ويسكنهم في الأرض المقدسة ، ويرجع موازينهم القديمة) .

وفي القدس المحتلة عقد مؤتمر البهائية العالمي سنة ١٩٦٨ حيث تحتضن اليهودية العالمية الدعوة البهائية . وقد كشف المؤتمر بأبحاثه التي طرحها عن مدى الارتباط الوثيق بين الصهيونية والبهائية ، وقد قيل في حفل الاختتام : (إن الحركتين اليهودية والبهائية متممتان لبعضها البعض ، وتجتمعان في أكثر النقاط) . ولقد ثبت أن المحافل البهائية في الوطن العربي أوكار تجسس لصالح إسرائيل ، لذا فقد صدر قرار مصري عام ١٩٦٠ بحل المحافل البهائية لإدانتها بالتجسس لصالح إسرائيل ، كما صدر قرار مشابه في العراق ، وأنه لا يزال لهذه الفئة المحظورة بعض النشاط الخفي . وكشف البهائيون هويتهم الصهيونية حين استقبلوا الجيش الإنكليزي عند دخوله حيفا في الحرب العالمية الأولى استقبال الفاتحين ، وأعلنوا ولاءهم للقائد الإنكليزي ، ومكافأة لولائهم للإنكليز حلى القائد الإنكليزي صدر زعيمهم عباس بأرفع النياشين ، كما وأن البهائيين في إسرائيل يعاملون معاملة اليهود سواء بسواء منذ قيام دولة إسرائيل ، كما وأن اعتراف الأمم المتحدة بالبهائية كمذهب عالمي كان استجابة لضغوط الماسونية والصهيونية ، أما وجه التشابه بين الماسونية والبهائية والذي يؤكد أن البهائية دسيسة ماسونية أو وجه آخر للماسونية فهو يتلخص فيما يلي :

١ ـ كلتاهما تنكران جميع الأديان ، وتتنكران لها باستثناء اليهودية .

٢ ـ تؤمنان بأنهافرعان من نسل يسي الذي سيرفع العلم الالهي على جميع الأمم

٣ ـ كلتاهما نسخا فكرة الجهاد ، وتظاهرتا بالأخوة الإنسانية العالمية ، وتؤمنان بالتقية والباطنية .

٤ ـ كلتاهما تذهبان إلى أن عام ١٨٤٤ هي سنة انتهاء أزمة الأمم ، وبدء دور سيادة يهود على العالم كله ، كما وأن البهائيين يؤرخون بهذا التاريخ .

ومما يؤكد عمالتهم : الدعم المادي الذي يصلهم ، والنشاط الكبير الذي يقومون به ، فمحافل البهائية في فرانكفورت والبرازيل وشيكاغو وبقية المدن تعتبر ملفتة للنظر ، لضخامتها ، وجمال بنيانها ، وكثرة النشرات والمطبوعات التي توزعها . ومما يؤكد عمالتهم لإسرائيل :

أ ـ قرار مكتب مقاطعة إسرائيل ، بوضع اسم البهائية في القائمة السوداء لثبوت صلتها بالصهيونية .

ب ـ قرار مؤتمر المنظمات الإسلامية الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٩٣ هـ في مكة المكرمة والذي مثلت فيه مئة وخمسون مؤسسة إسلامية باعتبار البهائية حركة صهيونية غير إسلامية .

☆ ☆ ☆

القاديانية والأحمدية

مؤسسها ميرزا غلام أحمد المولود عام ١٨٧٨ وفي ربوة من قاديان بإقليم البنجاب الباكستاني ، وربوة مدينة أنشأها القاديانيون لأنفسهم لتشملهم الآية الكريمة : ﴿ **وآويناهم إلى ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ . أعلن دعوته رسمياً عام ١٩٠٠ م فادعى أنه نبي مرسل ، وأن منكر رسالته كافر ، لا تؤكل ذبيحته ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولما مات ولده وكان لا يؤمن به امتنع والده ميرزاً وأتباعه من الصلاة عليه . وكانت مجلة الأديان التي تصدر بالإنجليزية في قاديان شهرياً منذ عام ١٩٠٢ لسان حال هذه الجماعة . ألف كتابه (براهين الأحمدية) وصدر القسم الأول منه عام ١٨٨٠ وفيه ادعى أنه المهدي المنتظر ، ويعرف عن نسبه في كتابه الاستفتاء ص ٧٢ فيقول : أنا المسمى بغلام أحمد بن ميرزا مرتضى ، سمعت من أبي أن آبائي كانوا من الجرثومة المغولية ، ولكن الله أوحى إلي أنهم كانوا من بني فارس ، لا من الأقوام التركية ، ومع ذلك أخبرني ربي بأن بعض أمهاتي كن من بني فاطمة . وهذا يؤكد أنه ينتسب إلى المغول . اشتغل ما بين عام ١٨٦٤ ـ ١٨٦٨ كاتباً في المحكمة الابتدائية بيالكوت ، وكان يتقاضى مرتباً زهيداً ، وما أن أصبح زعيم حركة دينية حتى أغدق عليه الإنجليز حكام الهند المستعمرين لها وعلى جماعته بالمرتبات العالية ، والمراكز الرفيعة ، وعرفاناً بهذا الجميل يثني على الحكومة البريطانية فيقول : (لقد بالغت هذه الحكومة في الإحسان إلينا ولها عندنا أياد وأي أياد) نقلاً عن الملفوظات الأحمدية .

كان عليل الجسم ، أصيب بالهستريا ، وكان يسميها أحياناً بالمراقي ، كما كان مصاباً بنوبات عصبية تصل به إلى الإغماء ، وكذا أصيب بالسكري ، وبصداع شديد مزمن ، وتوفي في مايو عام ١٩٠٨ بعد أن أصيب بالكوليرا التي أودت بحياته ، فخلفه الحكيم نور الدين .

عقائد القاديانيين

١ ـ ادعاؤه النبوة : ورد في (كتابه هامش حقيقة الوحي) ص ٧٢ قوله : (أنا أفضل من جميع الأنبياء والرسل) كما ورد في إعلانات الغلام ص ١٨٠ ما يلي : (أقسم بالله الذي أرسلني والذي لا يفتري عليه أحد إلا الملعونين أنه أرسلني وجعلني مسيحاً موعوداً) وفي كتابه (حقيقة الوحي) ص ١٦٣ يقول الغلام (الذي لا يؤمن بي لا يؤمن بالله ورسوله) وادعاؤه النبوة يقتضي أن ينكر عقيدة الإسلام في ختم النبوة والرسالات والكتب السماوية .

٢ ـ يفسر القاديانيون (وخاتم النبيين) من الآية بمعنى : زينتهم وختمهم وطابعهم ، ليفتح الغلام باب النبوة ، كي يحشر نفسه استجابة لأمر أسياده الإنجليز . جاء في كتاب الشهادتين صفحة ٤١ للغلام قوله : (إن النبي محمداً له ثلاثة آلاف معجزة ، ولكن معجزاتي زادت على مليون معجزة) وورد في جريدتهم الفصل ٢٢ مايو ١٩٢٢ (الخاتم هو الطابع فإذا كان النبي طابعاً فكيف يكون طابعاً إذالم يكن في أمته نبي) وورد في كتاب حقيقة النبوة لابن غلام بشير ص ٢٨٨ ما يلي : ومما هو واضح كالشمس في رائعة النهار أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً بعد النبي ﷺ .

٣ ـ أما تصور الغلام عن الله الذي يوحي إليه فهو يصوم ويصلي ، وينام ويخطىء ويصيب ، قال في كتابه البشرى الجزء الثاني ص ٧٩ : (قال لي الله إني مع الرسول محيط إني مع الرسول أجيب أخطىء وأصيب) . وفي ص ٩٧ يقول : (قال لي الله إني أصوم وأصلي وأصحو وأنام) وصدق الله إذ يقول : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم** ﴾ ولعل الغلام أراد أن يصف الله بصفات البشر حتى يسهل عليه القفز من مرتبة النبوة إلى مرتبة الألوهية ، إن وجد من يسلم بنبوته ، وقد كتب فيهم الدكتور محمد إقبال

فيلسوف الهند في رسالته الشهيرة (الإسلام والأحمدية) رداً على أباطيلهم .

٤ ـ ادعاؤه أن عيسى بعث من قبره ، وهاجر إلى كشمير ، وتوفي هناك عن عمر يناهز المائة والعشرين عاماً ، وأنه قد حل فيه هو ومحمد على السواء ، فهو بذلك جمع النبوتين ، وأنه أوحي إليه بالإنجليزية ، ورد في كتابه براهين أحمدية ص ٤٨٠ قوله : (أنا ألهمت عدة مرات بالإنجليزية فظننت من اللهجة كأنه إنجليزي قائم على رأسي يتكلم) .

٥ ـ ولابد لمدعي الرسالة من أن يخترع كتاباً لذا ألف كتاباً مقدساً سماه « الكتاب المبين » وادعى أنه أوحي به إليه ، وهو يتضمن مجموع الإلهامات التي يدعي أنه أوحي إليه بها وهو مقسم إلى عشرين جزءاً وسمي الإلهام الواحد آية . قال الخليفة الغلام أحمد في جريدة الفضل في عددها بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٢٤ ما يلي : (لا قرآن سوى القرآن الذي قدمه المسيح الموعود) وبهذا يصرحون بنسخ القرآن وبنبوة الغلام وبإنكار ختام الرسالات والنبوات .

٦ ـ يرى أن الجهاد في سبيل الله قد نسخ ، وأنه أصبح بعدم استخدام العنف والأدوات بل بالوسائل السلمية والإقناع . ورد في مجموعة إعلانات الإمام الجزء الرابع ص ٤٩ ما نصه (اتركوا الآن فكرة الجهاد لأن القتال للدين قد حرم وجاء الإمام والمسيح ونزل نور الله من السماء فلا جهاد بل الذي يجاهد في سبيل الله فهو عدو الله) فماذا يريد المستعمرون والإنجليز أكثر من هذه الخدمة . إنها دعوة صريحة لتمكين الاستعمار والقبول بحكمة . لقد أمر أتباعه صراحة بطاعة الإنجليز المستعمرين الذين يحكمون الهند امتثالاً لأمر الله وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم) فهو يأمرهم بطاعة الإنجليز أولي الأمر منهم .

يقول العلامة أبو الحسن علي الندوي في رسالته القاديانية : لقد تحقق علمياً وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية . فقد أهم بريطانيا

وأقلقها حركة المجاهد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ١٨٤٢ م ، وكيف ألهب شعلة الجهاد والفداء ، وبث روح النخوة الإسلامية والحماسة الدينية في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحي ، وكيف التفت حوله وحول دعوته آلاف المسلمين ، عانت منهم الحكومة الإنجليزية في الهند مصاعب عظيمة . واقتنعت أخيراً أنه لا يؤثر في المسلمين وفي اتجاههم مثل ما يؤثر قيام رجل منهم ، بأسم منصب ديني رفيع ، يجمع حوله المسلمين ، ويخدم سياسة الإنجليز ، ويؤمنهم من جهة المسلمين وعائلاتهم ، وقد وجدت الحكومة الإنجليزية ضالتها في ميرزا غلام أحمد القادياني .

الأحمدية :

انشقت القاديانية بعد نشأتها شعبتين عرفت الأولى باسم الأحمدية أو جماعة لاهور وزعيم هذا الفرع (خواجة كمال الدين) و (مولاي محمد علي) ولهذا الفرع نشاط كبير في آسيا وأفريقيا وأوربا . ترجم محمد علي القرآن إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٢٠ وألف كتابه الإسلام عام ١٩٢٦ ، وانتشرت هذه الدعوة في أفريقيا وخاصة في المستعمرات البريطانية وفي أوربا ، ولا عجب فإن لهذه الحركة في أفريقيا وحدها ما ينوف عن خمسة آلاف مرشد وواعظ ، متفرغون للدعوة والإرشاد ، تخرجوا جميعاً من قاديان ، ولها دائرة معارف خاصة بها ، ولها مئات الكتب بالأوربية والعربية والإنجليزية مما يؤكد الدعم الأجنبي لهذه الحركة عامة والإنجليزي خاصة .

القاديانية :

وأما الفرع الثاني فهو القاديانية بزعامة غلام أحمد ميرزا وخليفته من بعده الطيب نور الدين ، ثم خليفته الثاني ابنه بشير الدين محمود ، والفرق بين الأحمدية والقاديانية أن القاديانيين يؤمنون بنبوة غلام أحمد ميرزا ، بينما تنظر

إليه الأحمدية على أنه مصلح ديني فحسب .

وبالجملة فهما حركة واحدة تستوعب الأولىما ضاقت به الثانية وبالعكس ، كما أن كلمة القاديانية التي يسميهم بها الناس كانت نسبة إلى قاديان مدينة مؤسس الحركة غلام أحمد ميرزا . أما الفرقة الثانية فهم يسمون أنفسهم أحمديين كذلك تسمية أحمديين يطلقها الطرفان على أنفسهم .

القاديانية ربيبة الاستعمار الإنجليزي : يروي المرزا غلام أحمد قصة عمالة والده في كتابه التحفة القيصرية ص ١٦ فيقول : (إن والدي من الموالين المخلصين للحكومة الإنجليزية وقد أمد الحكومة السامية خلال الثورة الكبرى ـ التي ثار فيها الشعب الهندي ضد الاستعمار الإنجليزي عام ١٨٥٧ ـ بخمسين فرساً اشتراها بماله الخاص وبخمسين فارساً وكان هذا العون أكثر بكثير من طاقته) كما ساهمت عائلة الميرزا في دعم حكم السيخ أحقد فئة باغية على الإسلام ـ حين استولوا على مقاطعة البنجاب وما حولها قبل الاحتلال الإنجليزي .

وفي كتاب شهادة القرآن ص ١٠ يقول الميرزا غلام أحمد : (لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ومؤازرتها ولقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر من الإنجليز من الكتب والنشرات ، لو جمع ما فيها أو لو جمع بعضها إلى البعض لملأ خمسين خزانة ولقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم) .

وفي عام ١٩٣١ زار الهند ولي عهد الملك البريطاني فرحب به بشير الدين محمود بن الميرزا غلام أحمد قائلاً : يانجل ملكنا المعظم وولي عهد المملكة البريطانية ـ أنا إمام الجماعة الأحمدية وخليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام ـ يعني والده ـ أرحب بك بالنيابة عن أفراد الجماعة الأحمدية أجمعين وأؤكد لك بأن الجماعة الأحمدية هي وفية للحكومة البريطانية وستبقى وفية لها بإذن

الله تعالى . عن كتاب تحفة شاه زاده ويلز تأليف ميرزا بشير الدين محمود أحمد ورد في صحيفة الفضل ٧ / ١١ / ١٩١٨ كلمة لابن الغلام أحمد بشير قال فيها : لماذا لا نفرح بدخول الإنجليز الشرق الأوسط وقد قال إمامنا الغلام أحمد بأنني أنا المهدي المنتظر وحكومة إنكلترا سيفي . نحن نبتهج بهذا الفتح ، ونريد أن نرى لمعان هذا السيف وبريقه في العراق والشام وفي كل مكان . إن الله أنزل ملائكة لتأييد الحكومة ومساعدتها .

رأي العالم الإسلامي في القاديانية والأحمدية : إزاء هذه المخالفات الصريحة لتعاليم الإسلام في الإيمان بمدع للنبوة والوحي ، وفي عدم الإيمان بختم النبوة ، وفي إيمانهم بنسخ القرآن ، وفي إعلان تبعيتهم لأعداء الإسلام المستعمرين . أجمع علماء المسلمين على اعتبار هذه الطائفة خارجة عن الإسلام ، وكان ذلك حين انعقد في كراتشي مؤتمر عام ١٩٥٣ اشتركت فيه نخبة من العلماء يمثلون كافة الطوائف الإسلامية في باكستان الشرقية والغربية ، وقدموا اقتراحاً إلى المجلس التشريعي يطالبون فيه اعتبار القاديانيين أقلية غير مسلمة ، وأن يخصص لهم مقعداً واحداً في مجلس الشعب عن مقاطعة البنجاب . كما اتخذ المؤتمر الإسلامي المنعقد في باكستان قراراً باعتبار القاديانية حركة غير إسلامية،وكذا اتخذ المجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي عام ١٣٩٣ هـ قراراً بإخراج القاديانية من دائرة الإسلام لكفرهم وعمالتهم للمستعمرين وكان خاتم هذه القرارات مجلس النواب الباكستاني باعتبار القاديانيين غير مسلمين .

تعاونهم مع اليهود : لقد اختار القاديانيون الأحمديون مركزهم في يافا ليبقوا تحت الحماية الإنجليزية قبل تأسيس إسرائيل ، وما أن قامت دولة إسرائيل حتى منحتهم إنكلترا جوازات سفر بريطانية ، ومنحتهم إسرائيل حرية الدعوة والتبشير بالأحمدية . ورد في كتاب القاديانية لمحمد خير القادري

ما يلي : (يقع مكتب التبشير الأحمدي في جبل الكرمل في حيفا في إسرائيل ولنا فيه مسجد ودار للنشر ومكتبة عامة لبيع الكتب ومدرسة يصدر عنها مجلة شهرية اسمها البشرى التي توزع في البلاد العربية ، وقد قام هذا المكتب بنقل الشيء الكثير من تعاليم المسيح الموعود إلى اللغة العربية . وقبل مدة قابل مبشرنا رئيس بلدية حيفا وناقش معه عدة مسائل منها إنشاء مدرسة بقرب جبل الكبابر ، وقد شرفنا رئيس البلدية يرافقه أربع شخصيات هامة ، واستقبلهم رجال فرقتنا وعقدوا لهم حفلة ترحيبية .)(لما أراد مبشرنا محمد شريف العودة إلى مركز الأحمدية في باكستان أرسل إليه رئيس إسرائيل رسالة طلب فيها أن يزوره قبل سفره إلى باكستان) والأحمديون يمارسون حقوقهم ونشاطاتهم في إسرائيل بتشجيع من حكومة العدو .



الفهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

دار الطباعة والنشر الإسلامية
مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣

هذا الكتاب

لقد أدى عدم التعاون بين دعاة الإصلاح إلى نشوء فرق وأحزاب وتنظيمات سياسية وعقدية تباينت أهدافها وغاياتها ، واختلفت وجهات نظر العلماء فى الحكم عليها ، وهل هى ظاهرة صحية أم مرضية ؟

وإذا كانت الساحة تغص بالعديد من الجماعات والفرق التى تعمل للإسلام أو ترفع رايته صادقة أو كاذبة فإن المسلم فى حاجة لأن يعرف أى هذه الجماعات على طريق الحق وأيها بعيدة عنه ؟ وهذا البعد هل كان نتيجة خطإ فى التصور أو تحديد الغايات أو اختيار الوسائل ؟ أو كان نتيجة إصرار على محاربة الإسلام وطمس معالمه تحت مسميات إسلامية ؟ .

الكتاب يتعرض لكل هذا بموضوعية ، ويكشف عن العلاقات الخفية بين العديد من هذه الفرق وبين أعداء الإسلام الذين يموّلون هذه الدعوات الهدامة ويقدمون لها الدعم والحماية .

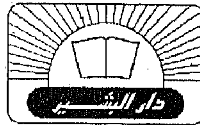
والكتاب دراسة عميقة للحركات المعاصرة فى ضوء الإسلام كى يختار المسلم طريقه عن فهم واقتناع ويعرف أعداءه الذين يكيدون لدينه ويتآمرون عليه وكيف يتعامل مع إخوانه الذين يختلف معهم فى الرأى حول بعض القضايا .

والهدف : أن يجتمع شمل العاملين للإسلام ليكونوا صفا واحدا فى مواجهة أعداء الإسلام من العَلمانيين والشيوعيين واليهود والماسون وصنائعهم وعملائهم .

ودار البشير إذ تقدم هذا الكتاب تدعو الله أن ينفع به وأن يجعله فى ميزان حسنات صاحبه .

وعلى الله قصد السبيل ،،

الناشر



دار البشير للثقافة والعلوم

طنطا أمام كلية التربية النوعية

تليفاكس: 308909 - 302404 ☎ / 228277 ـ 210907